شاهر مصباح فنيني



الأطماع الصليبية والصهيونية

في الوطن العربي والمشرق الإسلامي

الصهيونية المسيحية البريطانية ودورها في تسليم فلسطين لليهود



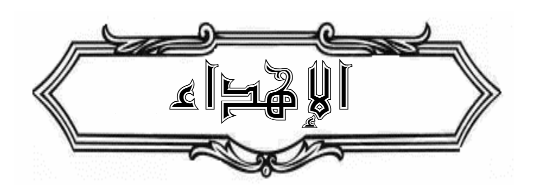
دار رواد المجد
دار العصماء

الأطماع الصليبية والصهيونية
في الوطن العربي والمشرق الإسلامي

الصهيونية المسيحية البريطانية
ودورها في تسليم فلسطين لليهود

شاهر مصباح قنيبي





الإهداء

إلى أسرتي الصغيرة،

وروح والدتي ووالدي رحمهما الله،

وإلى أعز الأصدقاء وأوفاهم

صهيب وعلياء وإسراء وتسنيم

وإلى التي جعلت لهم من نفسها واحة عطف وحنان، زوجتي هند.

وإلى أشقائي وشقيقاتي.

وإلى أرواح الشهداء وكل من ضحى من أجل القضية الفلسطينية وقضايا الأمة العربية والإسلامية.

وإلى روح الأستاذ محمد حسنين هيكل، الذي كشف بكتبه الغطاء، وأزال الغشاوة عن أبصار وأسماع الملايين من الأمة مما ران على قلوبهم وضرب على آذانهم من تضليل للحقائق وتزييف للوقائع، وذلك بما كشفه من معلومات كانت من قبل حكراً على أجهزة المخابرات والدوائر السرية، والتي آمل أنها ساهمت وتساهم في إنارة الدرب لأجيال الأمة على طريق الحرية والاستقلال ومعرفة الأعداء.

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل المتواضع.





ولدت وترعرعت في مدينة الخليل في فلسطين في حقبة زمنية ملتهبة من الصراع الإقليمي والدولي، ففي فلسطين كان الاحتلال اليهودي لها قد مضى عليه خمس سنوات فقط، وكان الصراع المحلي والإقليمي محتدماً، من توحيد الضفتين تحت راية الملك عبد الله الأول ملك شرق الأردن عام ١٩٥٠ إلى الثورة المصرية والإطاحة بالملك فاروق عام ١٩٥٢ واكتشاف خلية لافون التجسسية الإسرائيلية في مصر عام ١٩٥٤، إلى تأميم قناة السويس والعدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ وصراع الملوك والرؤساء العرب لاسيما بين آل سعود والنظام الهاشمي (في العراق والأردن) وانقلابات سوريا المتتالية وبعد ذلك مشكلة نهر الأردن وتحويل مجراه من قبل إسرائيل وردود الأفعال العربية الباهتة حيال ذلك، وكان هناك المد القومي العربي بقيادة جمال عبد الناصر وتحالف دول عدم الانحياز ومؤتمر باندونج، وكانت حرب التحرير الجزائرية وما واكبها من إعلام وتأييد عربي واسع على مستوى كافة الشعوب العربية، وكانت هناك محاولة عبد الكريم قاسم لضم الكويت عام ١٩٦١ وما صاحبها من فزعة عربية لحماية الكويت من أطماع قاسم، وعلى المستوى العالمي كانت الحرب الكورية عام ١٩٥٠، وكانت أزمة الصواريخ السوفياتية في كوبا وما رافق ذلك من حرب باردة بين القطبين، وفي الضفة الغربية وفي مدينة الخليل كانت معركة السموع عام ١٩٦٦ على الحدود الغربية المتاخمة بين الخليل وفلسطين المحتلة والمجابهة الجوية بين الطيران الأردني والإسرائيلي وسقوط طائرة الطيار الأردني موفق بدر سلطي في ١٩٦٦/١١/١٣ أمام أعين آلاف المواطنين في مدينة الخليل وما تبع ذلك من مظاهرات عارمة في معظم أنحاء الضفة الغربية والمطالبة بالتسليح، وعلى إثر تلك المظاهرات قامت السلطات الأردنية (في

محاولة امتصاص غضب الجماهير بتنظيم استدعاء وتدريب عسكري للشباب من فئات عمرية معينة ثم أعادهم إلى منازلهم دون تزويد أي منهم بالسلاح)، كما قامت بإرسال أرتال من الدبابات والمدرعات التي عبرت الشارع الرئيس في قلب المدينة (شارع باب الزاوية) في خطوة فُهم منها إتاحة الفرصة لأكبر عدد من المواطنين لمشاهدة تلك الأرتال المدرعة حيث كان بالإمكان أن تتجه إلى الخطوط الغربية من خلال شوارع جانبية من أطراف المدينة دون أن تمر من قلب المدينة، وقد علمت من المرحوم والدي أنه أثناء ذهابه لأداء صلاة الفجر في أحد المساجد شاهد عدداً كبيراً من المدرعات تنسحب فجراً قادمةً من الخطوط الغربية متجهةً شرقاً عبر طريق حلحول بيت لحم، وقد تكون تلك الأرتال المنسحبة هي نفسها التي دخلت قبل أسبوعين من ذلك الانسحاب، أو قد تكون عملية استبدال وإعادة تموضع، ومع استمرار المظاهرات قامت السلطات الأردنية بإرسال وحدات من الجيش قيل لنا وقتها: إنها وحدات جيش البادية (شديدة الولاء للنظام) وذلك للسيطرة على مسار الأحداث وفرض الأمن وإعادة الهدوء إلى الضفة الغربية، وقد كنا أطفالاً وفتياناً نستفز تلك الوحدات ونهتف لها (على السموع) أي اذهبوا إلى قرية السموع التي اعتدى عليها اليهود للدفاع عنها والثأر لها بدلاً من أن تأتوا لمواجهة المدنيين.

استمرت مظاهرات الضفة إلى ما قبل شهر ٦/ حزيران عام ١٩٦٧ بقليل بعد أن ذهب الملك حسين إلى القاهرة وتصالح مع الرئيس جمال عبد الناصر وهدأت الجماهير بعدها.

أثناء اندلاع حرب ١٩٦٧ ومنذ اليوم الأول كانت جموع المواطنين في الخليل تنتقل من مركز حكومي لآخر مطالبة بالسلاح إذ لجأ البعض والقليل منهم لإخراج البنادق الإنجليزية القديمة من مخابئها فقد كان ممنوعاً على المواطنين اقتناء أو حمل السلاح تحت أي حجم أو عيار ولو حتى المسدسات..!

كان المدعو نايف سلطان وهو في حينها موظفٌ في مديرية التربية والتعليم في الخليل، همزة الوصل بين الجموع الغاضبة من الأهالي والسلطات الحكومية (أو هكذا بدا لعامة الناس) فكان المذكور يغيب لفترات متباعدة ليعود إلى جموع المواطنين التواقة والمطالبة بالسلاح (وكان معظمهم لم يتدرب أو يحمل أي قطعة سلاح في حياته وكنت من ضمنهم ومن أصغرهم سناً)، ويعود المذكور سلطان ليخبر جموع الغاضبين بأن السلاح السريع هو الآن في الخان الأحمر في أريحا وفي طريقه إليهم، وقد تبين كذب تلك الأخبار إذ لم تصل أي قطعة سلاح (لا سريع ولا بطيء) وسقطت الضفة الغربية ودخلت القوات الإسرائيلية مدينة الخليل يوم ١٩٦٧/٦/٨ في حين كان الإعلام العربي يذيع ويعلن من صوت العرب تساقط الطائرات الإسرائيلية كالذباب!!

ولعل جمهور المواطنين في الضفة الغربية ربط وفهم خلو الضفة الغربية من السلاح من خطاب ألقاه الملك الراحل الحسين بن طلال من خلال الإذاعة الأردنية حث فيها الجيش والشعب على القتال والمقاومة قائلاً... اقتلوهم... بأسلحتكم، بأيديكم، بأسنانكم، بأظافركم.

إذ أن من يملك السلاح ليس بحاجة للقتال بالأيدي والأسنان والأظافر.

كان مختار حارة القزازين في الخليل المرحوم ديب بدر من أحد العقلاء الواقعيين في المدينة إذ شاهدته بأم عيني يستوقف اثنين من المسلحين بالبنادق الإنجليزية من آل الجعبة ويطلب منهم العودة إلى منازلهم وإخفاء سلاحهم لأن مثل هكذا بنادق لن تفعل شيئاً مع القوات الإسرائيلية الغازية، وانحنى إلى الأرض والتقط منها قطعة حصى (حجر صغير جداً) وقذف أحد المسلحين بها وسأله هل سببت هذه الحصى أي أذى لك؟ أجابه المسلح بالطبع لا، فأجابه المختار رحمه الله كذلك فإن بندقيتك هذه لن تفعل شيئاً مع القوات الغازية !!.

كانت جموع المواطنين الغاضبين ترفض الاستسلام وأقسموا على المواجهة والمقاومة ولو بالسكاكين والخناجر وكان بعضهم يحمل السيوف (في إشارة ضمنية إلى أن هذا ما ورثته عن أجدادي أما أنا فلم يكن بوسعي اقتناء أي سلاح آخر) وبالطبع لم تكن هناك مقاومة نهائياً ودخلت القوات الإسرائيلية مدينة الخليل والضفة الغربية دون أي مقاومة نظراً لخلو المدينة والضفة من أي سلاح فعلي مع المواطنين وانسحاب الجيش الأردني دون قتال بالرغم من تعرضه للتدمير والغارات المتواصلة أثناء انسحابه من الخطوط الغربية الأمامية باتجاه الشرق بل إنَّ الشيخ محمد علي الجعبري رئيس بلدية الخليل قام بتسليم مفتاح الخليل للقائد الإسرائيلي المحتل (هكذا أذاع راديو العدو الإسرائيلي وقتها).

كانت هناك أخبار يتداولها معظم الناس في الضفة الغربية وذلك قبل حرب ١٩٦٧ بأشهر قليلة ونقلاً عن حزب التحرير بأن هناك خطة واتفاقية سرية على تسليم الضفة الغربية لإسرائيل في الحرب القادمة وبالرغم من أن تلك الأخبار كانت مجرد خيال في حينه وأبعد عن تصورات الناس و لم يصدقها أحد مع إصرار حزب التحرير على صحة معلوماته المهم ليس في حزب التحرير ولا في المعلومات بل في النتيجة والواقع وأن الضفة الغربية سقطت بالفعل دون قتال وانسحب الجيش الأردني من الضفة دون قتال وكان ذلك الانسحاب على الأقل ما شاهدناه في الخليل أثناء انسحاب الجيش الأردني يومي ٦-١٩٦٧/٦/٧ ودخول القوات الإسرائيلية دون مقاومة من أحد، وبعد ذلك ومع انتشار الكتب والتحاليل التي تناولت الحرب عرفنا الحقيقة في أن جميع الجيوش العربية المصرية والسورية والأردنية لم تقاتل كجيوش قتالاً حقيقياً ليس لعدم شجاعتها أو عدم قدرتها على القتال بل لأن هناك من سعى قبل الحرب إلى توريط الآخرين واستدراجهم إليها، ويذكر الأستاذ محمد حسنين هيكل أن الرئيس الراحل حافظ الأسد أبلغه في مقابلة معه أن حركته التصحيحية كانت تستهدف أفراداً في حزب البعث متواطئين مع المخابرات

البريطانية في توريط مصر وجرها إلى الحرب بغض النظر عن موائمة الظـــروف[1]، ولعل مقولة القائد العام للقوات المسلحة المصرية قبل الحرب بأيام للرئيس جمال عبد الناصر (برقبتي ياريس) حاضرةً للجميع حين أكد عبد الحكـــيم عـــامر لرئيـــسه استعداده الوهمي للحرب والمواجهة.

وإذا كان هناك في سوريا من وَرّط وفي مصر من توَرّط، وما بين من وَرَّط في سوريا ووُرِّط في مصر كان هناك مساراً آخر للأحداث فيذكر الأستاذ هيكـــل أن الملك حسين بعد عودته من رحلته التاريخية إلى مصر قبل أيـــام مـــن الحـــرب في ١٩٦٧/٠٥/٣٠ وتوقيعه ميثاق التعاون العسكري المشترك عـــاد ليجتمـــع مـــع الجنرالات الإسرائيليين بعد أربع ساعات من عودته من مصر، ويضيف السيد هيكل أن الملك الراحل أبلغ ذلك للدكتور شلايم في مقابلة مسجلة أورد شـــلايم نـــصها كاملاً في كتابه[2] ويضيف السيد هيكل في كتابه المذكور أن موشي ديـــان وزيـــر الدفاع الإسرائيلي بعث بإخطار إلى رئيس الوزراء (مجرد إخطار) بأنه لفت نظره أن القوة التي بدأت تحاصر القدس اكتشفت أنه ليس أمامي (والقول لديان) مقاومة من أي نوع وأن قوات الجيش الأردني تنسحب بانتظام من المدن وإن كان بعض السكان يقاومون ولم يكن في أيدي هؤلاء سلاح مؤثر لأن السلطات الأردنية لم تكن تسمح للمدنيين في الضفة الغربية والقدس بحمل السلاح، وفي صباح ١٩٦٧/٦/٧ أصـــدر الجنرال ديان أمره للقوات الإسرائيلية بأن تنتقل إلى داخل القدس، لم يكن أمره قتالاً وإنما كان أمره انتقالاً[3] ويضيف هيكل نقلاً عن الجنرال أوزي باركس قائد الجبهة الوسطى، يقول الجنرال:

(١) محمد حسنين هيكل - عام من الأزمات - ص ٢٠٩.

(٢) محمد حسنين هيكل - كلام في السياسة - عام من الأزمات - ص ٢٢٤ - ٢٢٥.

(٣) محمد حسنين هيكل - كلام في السياسة - عام من الأزمات - ص ٤٦٩.

تغير ذلك فجأة يوم ١٩٦٧/٦/٧ حين عرفنا من الإشارات والتحركـــات أن الجيش الأردني ينسحب ويخلي الضفة الغربية وحينئذ فإن إغراء الأرض المفتوحـــة جعلنا نتقدم ونطيع ديان حين قال لنا هيَّا بنا[١].

ويذكر الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل أن الأردن انسحب مـــن الـــضفة الغربية وفق الخطة التي وضعها القائد الإنجليزي للجـــيش الأردني جلـــوب باشـــا والقاضية بانسحاب الجيش الأردني من الضفة الغربية ليتجنب تدمير الجيش الأردني أما الأرض فيتم استعادتها بالمفاوضات السياسية[٢] وهذا ما أكده الملـــك حـــسين للصحفي كينيف لاف والتي نشرها (الأخير) في كتابه حرب الـــسويس مكـــررة (١٩٥٦-١٩٦٧) إذ جاء في كتابه المذكور: وفي صـــباح ١٩٦٧/٦/٧ أصـــدر موشي دايان أمره بالانتقال إلى الضفة الغربية (انتقال وليس قتال) لأن الضفة الغربية كانت قد أخليت من الجيش الأردني، والمذهل والكلام لهيكل أن الملك حسين قام بترتيب خروج خمسة وعشرين طائرة F١٠٤ والتي تشكل العمود الفقري لـــسلاح الجو الملكي الأردني وتم تهريبها إلى قواعد أميركية في تركيا قبل حرب ١٩٦٧ بأيام، ويضيف هيكل أن أساس سياسة جلوب باشا بالانسحاب كانت عقيدة لا تقبـــل اللعب خلاصتها أن الأردن لا يستطيع مواجهة إسرائيل وبالتالي يجب إخلاء الضفة الغربية عند أي مواجهة أما الخوف على الأردن فهو إما من سوريا أو من السعودية والجيش الأردني مهمته المحافظة على استقرار العرش والنظام العـــام في الـــبلاد[٣]، ويذكر هيكل في نفس المرجع أن الملك حسين وجه أمراً إلى الفريق عـــامر خمـــاش وزير الدفاع الأردني آنذاك بالانسحاب المنظم من الضفة والقدس إذا بدت إشارات تدل على أن الجيش الأردني معرض لمواجهة تؤثر على قوتـــه واســـتعداده وذلـــك

(١) محمد حسنين هيكل - كلام في السياسة - عام من الأزمات - ص ٤٨١.

(٢) محمد حسنين هيكل - كلام في السياسة - عام من الأزمات - ص ٢٢٤.

(٣) محمد حسنين هيكل - كلام في السياسة - عام من الأزمات - ص ٤٣٩، ٤٤٠.

بصرف النظر عن أي تعليمات يصدرها له القائد العام المصري الفريق عبد المـــنعم رياض، ويستطرد هيكل أن عقيدة أي ملك على ذمة كمال أدهم مدير المخابرات السعودية وقتها هي المحافظة على الملك والأسرة وبقاء العرش واستمرار توارثه بسهولة بين أبناءِ الأسرة ابناً عن أب عن جَد وذلك هو ضمان الاستقرار الملكي[1].

حتى عام ١٩٦٧ وما عاصرته وقتها من أحداث كنت في الرابعة عشر مـــن عمري و لم أكن بالطبع وفق الثقافة السياسية والشعبية السائدة أدرك وقتـــها كنـــه وحقيقة الصراع في المنطقة و لم نكن ندرس سوى تاريخ أوروبا في العصور الوسطى والهجوم على الباستيل والثورة الفرنسية وحروب نابليون والظلم العثماني للعرب ثم الثورة العربية الكبرى ووعد بلفور، وكانت المناهج المدرسية تمر مرور الكرام علـــى الحروب الصليبية التي أقنعتنا أنها انتهت مع آخر حملة صليبية ثامنة على شمال إفريقيا في تونس دون أن ندرك أو ننتبه أننا في حروب صليبية مستمرة حتى الآن وأن ما نشهده من صراعات على المنطقة في الشرق الأوسط وشمال إفريقيا عامة وفلسطين خاصـــة هو امتداد للحملات الصليبية والأطماع الأوروبية والصهيونية في المنطقة، وامتداداً لأطماع الغرب الأوروبي في تركة الدولة العثمانية (الرجل المريض) وتقاسم تركتها بين الدول الطامعة.

في مثل تلك الظروف والأحداث بدأت بصورة لا إرادية وبدافع خفي أتجه إلى الأحداث التاريخية والاهتمام بمادة التاريخ إذ كان ترتيبـــي الأول على الفـــصل في تلك المادة، ومع نهاية الثانوية العامة توجهت إلى الأردن وتقدمت بطلب التحـــاق بكلية الشهيد فيصل الثاني العسكرية في عمان (قرب العبدلي وقتـــها)، وبـــسبب أحداث أيلول عام ١٩٧٠ والجو المشحون لم يحالفني الحظ في القبول بالرغم مـــن اجتيازي المقابلة الأولى فحصلت بعدها على بعثة عسكرية إلى الإتحاد السوفيتي من

(١) محمد حسنين هيكل - كلام في السياسة - عام من الأزمات - ص ٤٤٢، ٤٤٤.

خلال الأخوة في سوريا ودون أن أشعر قام أحد أشقائي بإخفاء جواز سفري لمنعي من المغادرة وتوهمت حينها أنني فقدت جواز سفري فأعلنتُ عنه في الصحف والإذاعة لأتبين بعد ذلك الحقيقة بعد ضياع فرصة البعثة العسكرية وبالتالي لم يكن أمامي سوى القبول بالأمر الواقع والدراسة في الجامعة الأردنية.

في الجامعة الأردنية كان موعدي ثانية مع مادة التاريخ أثناء دراستنا للمدارس والأفكار الاقتصادية العالمية، بدءا من آدم سميث أبو الاقتصاد الحُر مروراً بروبرت توماس مالتوس صاحب نظرية النمو السكاني وأن الحروب هي حل مشاكل النمو الاقتصادي مرورا بريكاردو وسيسموندي ثم الصراع الاقتصادي التاريخي والحتمية التاريخية لصراع الطبقات وصدور البيان الشيوعي لماركس وإنجلز عام ١٨٤٨م، ثم كان موعداً آخر مع القضية الفلسطينية في مقرر المادة الحرة تحت إشراف أستاذ العلوم السياسية الدكتور محمد الحلاج والعائد وقتها من الولايات المتحدة.

وفي نهاية السنة الرابعة وبالرغم من تعرضي لحادث حريق من الدرجة الثالثة في الأطراف السفلى مع عملية ترقيع جلدي (Skin Graft) وبالرغم من عرض طبيب الجيش إعفائي من التدريب العسكري للطلاب الخريجين إلا أنني أصررت على التدريب لتحقيق حلمي في حمل السلاح والحياة العسكرية (الأسلحة والمشاة ومهارة الميدان) ولمدة عشرة أيام في معسكر خو في الزرقاء.

بعد تخرجي في الجامعة الأردنية بتسع سنوات، ومع تكرار الاعتداءات الإسرائيلية على لبنان ومجازر صبرا وشاتيلا قررت العودة إلى الدراسة الجامعية وحصلت عام ١٩٨٨ على الإجازة في الحقوق (القانون).

ومع انغماسي في الحياة العملية واظبت على متابعة كافة الكتب والنشرات التي تتحدث عن القضية الفلسطينية والصراع الاستعماري في المنطقة وعليها، وقد رأيت أن أضع ملخصاً لأهم مطالعاتي في كتاب لعله يفيد الأجيال العربية سيما النشء

والجيل الجديد الذي ابتعد عن القراءة بحكم تعقيدات الحيـــاة الحديثـــة وســـيطرة تكنولوجيا الكمبيوتر ومخرجاتها عله يساهم في إنارة الطريق لمعرفة العدو من الصديق وصولاً لرفعة الأمة وانتصارها على أعدائها واستعادة أمجادها.

ولا أرى مندوحةً من التنويه أن كافة المعلومات والأحداث المذكورة في هـــذا الكتاب مستقاة من مراجع وكتب نشرت وبيعت جميعها في المكتبات العربيـــة أو معارض الكتاب العربية سيما معرض الكتاب الدولي في الكويت.

ونظراً لما للصراع في فلسطين والمنطقة من صلة باليهود وأطماعهم وعدوانيتهم وجذورهم المتشعبة في فلسطين وأوروبا وكافة أنحاء العالم، رأيت أن أفـــرد جـــزءاً كاملاً من هذا الكتاب للإطلاع على الشخصية اليهودية وعلاقتها بالعالم وأثر ذلك وارتباطه بالصراع على فلسطين والمنطقة بشكل عام.



الجزء الأول

الفَصْلُ الأَوَّلُ

اليهود والشخصية اليهودية

أصل اليهود:

يطلق لفظ اليهودي بشكل عام على كل شخص اعتنق يوما الدين اليهودي، والواقع أن الكثيرين من هؤلاء ليسوا ساميين من حيث الأصل العرقي.

أما قاموس أكسفورد الإنجليزي فإنه يعرّف اليهودي بقوله: إنه شخص يعني باللغة الدارجة مرابياً جشعاً لا يعرف الرحمة[1].

وقد يتبادر إلى ذهن البعض أن اليهود هم نسل النبي يعقوب عليه السلام، وأنهم هم الذين هاجروا إلى مصر ثم عادوا منها مع موسى عليه السلام، والحقيقة أن أولئك هم فئة قليلة قد تكون قد اندثرت مع مرور الزمن أو بقي منها أعداد ضئيلة جداً، في حين أن معظم يهود العالم في الوقت الحالي ليسوا ساميين من حيث الأصل العرقي، فقد شرعت الأعراق غير السامية والتركية والفنلندية في القدوم إلى أوروبا من آسيا منذ القرن الأول عبر الممر الأرضي الواقع شمال بحر قزوين وأطلق على تلك الشعوب الوثنية اسم الخزر وقد استقروا في أقصى شرق أوروبا حيث شكلوا مملكة الخزر القوية وسيطروا نهاية القرن الثاني على معظم المناطق الواقعة في أوروبا الشرقية غربي جبال الأُورال وشمال البحر الأسود، وكونوا إمبراطورية لهم في منطقة القفقاز.

وتشير بعض المراجع اليهودية أن التحول إلى اليهودية كان عام ٧٤٠ م في القرن الثامن الميلادي مفضلين إياها على المسيحية والإسلام بناءً على رؤيا من

(١) يونس محمد إبراهيم- الدوافع العدوانية في النفسية الصهيونية- ص ٦١.

ملكهم بولان "خاقان الخزر" وعاشت دولتهم حتى القرن الثالث عشر حتى سقطت في أيدي الروس وهكذا بقي الكثير من اليهود داخل روسيا بعد سقوط مملكتهم وهذا يفسر أن أكبر كتلة بشرية يهودية انتشرت وهاجرت إلى مختلف أنحاء العالم بما في ذلك فلسطين كانت من روسيا.

ومن يهود الخزر انحدر اليهود الأشكناز وهي المجموعة المسيطرة على إسرائيل وعلى يهود العالم، الأمر الذي يوضح حقيقة علاقة اليهود بفلسطين إذ أنها ليست علاقة قومية ووطنية مكانية.

وكلمة خزر مشتقة من جذر الفعل التركي "قز" ويعني التجوال والرحيل والبداوة وربما كان هذا التجوال تفسيراً لعدم ولاء اليهود للدول التي يقيمون فيها وانحسار ولائهم لعقيدتهم وأبناء جلدتهم فقط كما أن هذا المعنى يلتقي مع مصطلح العبيروا أو الخاسروا وهو مصطلح كلداني يعني عساكري الحدود أو المرتزقة وهم جماعات الرحل والأجانب المستعدين للانضمام لأي جيش ما مقابل الغنائم والأجر.

وما بين القرن العاشر والقرن الثالث عشر، وبسبب العداء لدولة الخزر، انهارت إمبراطورية الخزر حيث هاجر اليهود منها إلى أوروبا وبالذات إلى بولندا، وتعرضوا في أوروبا إلى اضطهاد من جديد واتهموا بتسميم آبار المياه وقتل الأطفال لاستخدام دمائهم في طقوسهم الدينية، وجلب الطاعون والأمراض معهم فطردوا من بريطانيا عام ١٢٩٠ ومن فرنسا عام ١٣٠٦-١٣١١ ومن ليتوانيا عام ١٥٠١ ومن البرتغال عام ١٤٩٧ ومن إسبانيا عام ١٤٩٢ وتكرر طردهم من فرنسا عام ١٣٩٤، ومن سكسونيا عام ١٣٤٨ ومن هنغاريا عام ١٣٦٠ ومن بلجيكا عام ١٣٧٠ ومن سلوفانيا عام ١٣٨٠ ومن النمسا عام ١٤٣٠ ومن الأراضي المنخفضة (هولندا) عام ١٤٤٤ ومن إيطاليا عام ١٥٤٠ ومن بافاريا عام ١٥٥١، أي أن العصور المظلمة لليهود بدأت مع بوادر الثورة الصناعية في أوروبا، وقد عادوا إلى بريطانيا عام ١٦٠٠ وإلى هنغاريا عام ١٥٠٠ ثم طردوا منها ثانية عام ١٥٨٢

وعادوا إلى سلوفانيا عام ١٥٦٢ ليطردوا منها ثانية عام ١٧٤٤ وعادوا إلى ليتوانيا عام ١٧٠٠.

بعد سلسلة المعاناة والتراجعات لأوضاع اليهود في أوروبا بشكل عام خلال القرنين الرابع عشر والخامس عشر وتراجع مستوى حياتهم سياسياً واقتصادياً واجتماعياً حيث عاشوا في زوايا مظلمة من المجتمع وتم تحجيم دورهم في حركة الحياة.

وكما هو معروف في المجتمعات الإنسانية فإن أي أزمة أو شدة لا بد أن تؤدي في نهاية المطاف إلى البحث عن قنوات الانفراج وأسبابها، وهكذا عمل اليهود على تدارك أوضاعهم وتنظيم أنفسهم وانبروا للسيطرة على الاقتصاد والتجارة لأن من يملك الاقتصاد يملك السياسة وصنع القرارات أو التأثير فيها، وهكذا بدأ اليهود تنظيم أنفسهم إلى أن سطع نجمهم مرة أخرى في أوروبا وبدأت الدول الأوروبية تتهافت لإقامة العلاقات معهم حتى غدت كلمة تاجر توحي مباشرة إلى اليهود.

وهكذا وإذا كان القرنان الرابع عشر والخامس عشر قرنين تراجع فيهما دور اليهود وأفل نجمهم فإن القرن السادس عشر شهد مرحلة من العلاقات الإيجابية بين اليهود والحكومات الأوروبية.

ومع اضطهاد اليهود مرة أخرى في ألمانيا عاد الكثير من اليهود الأشكناز إلى روسيا وأوكرانيا وبولندا.

وفي بداية القرن التاسع عشر ظهرت في أوروبا الشرقية حركة الهسكلاه والتي دعت إلى التحرر الديني وطالبت بالعدالة لليهود كقومية تعيش في أوروبا الشرقية وكان ذلك جرساً منبها لليهود المتطرفين للتفكير في وطن قومي لليهود حيث أسسوا حركة شيبان صهيون عام ١٨٨١ والتي جاء هرتزل وطورها عندما أقنعها بفكرته التي نصت على ربط الشعور القومي المتصاعد لدى اليهود بوطن قومي على أرض فلسطين وهكذا تم تأسيس الحركة الصهيونية العالمية.

آراء المفكرين العالميين في الشخصية اليهودية:

١- فولتير ١٦٩٤ -١٧٧٨:

ورد عن الأَديب الفرنسي الساخر فولتير أن اليهود من بقايا السامية البدائية وأنك لتجدهم مجرد شعب جاهل ومتوحش زاول لمدة طويلة أحسن أنواع البخل وأبغض أنواع الخرافات ويحمل الكراهية للشعوب التي تسامحت معه وكانت سبباً لتراثه وفي تعزيز الروح اليهودية الانطوائية الانعزالية.

٢- سلامون شختر:

عبر سلامون شختر في خطاب ألقاه بمدرسة اللاهوت اليهودية العليا بقوله أن معنى الاندماج في الأمم هو فقدان الذاتية اليهودية، وهذا النوع من الاندماج مع ما يترتب عليه من نتائج هو ما أخشاه أكثر مما أخشى المذابح والاضطهادات[١].

آراء الحكماء والأدباء اليهود:

١- النبي أشعيا واليهود:

خير وصف لليهود ما جاء على لسان نبيهم أشعيا في الإصحاح التاسع إذ يخاطب الشعب اليهودي قائلاً أيديكم تنجست بالدم وأصابعكم بالإثم وشفاهكم تكلمت بالكذب ولسانكم يلهج بالشر، ليس من يدعو بالعدل وليس من يحاكم بالحق، تتكلمون على الباطل ويتكلمون بالكذب فقد حبلوا بتعب وولدوا إثما فقسوا بيض أفاعي ونسجوا خيوط العنكبوت الآكل من بيضهم يميت والتي تنكسر تخرج أفعى أعمالهم أعمال إثم وفعل الظلم في أيديهم وأرجلهم إلى الشر تجري وتسرع إلى سفك الدم الزكي وليس في مسالكهم عدل جعلوا لأنفسهم سبلاً معوجة وكل من يسير فيها لا يعرف سلاما تكلمنا بالظلم والمعصية جبلنا ولهجنا من القلب بكلام الكذب وقد ارتد الحق إلى الوراء والعدل يقف بعيداً لأن الصدق سقط في الشارع والاستقامة لا

---

(١) يونس محمد إبراهيم- الدوافع العدوانية في النفسية الصهيوينة - ص١٣ -١٤.

تستطيع الدخول خيوطهم لا تصير ثوباً ولا يكتسون بأعمالهم وأفكارهم أفكار إثم في طرقهم اغتصاب وسحق، طريق السلام لم يعرفوه[1].

وخاطبهم يهوه قائلاً حقاً إنه كما تخون المرأة قرينها هكذا خنتموني يا بني إسرائيل.

آرميا ونبوخذ نصر:

عندما دخل نبوخذ نصر أُورشليم -القدس- وسبى اليهود خاطبه أرميا قائلاً له" لا تظن أنك بقوتك وحدها استطعت أن تتغلب على شعب الله المختار إنما ذنوبهم الفاجرة التي ساقتهم إلى هذا العذاب[2].

٢- كادمي كوهين:

يقول الكاتب اليهودي كادمي كوهين إن اليهود أداة تنفيذ بأيدي أسيادهم الأُوربيين قبلاً ثم الأميركيين لاحقاً ولهذا فإنهم يقومون عنهم بدور تفويضي في المنطقة أي خلقوهم على شكل دولة في منطقة الشرق الأوسط ولكنها تدور في فلك أميركا وأوروبا عند الطلب[3].

٣- سولين - والخطر اليهودي على أوروبا وأميركا والعالم عامة:

يقول الكاتب الكبير في سولين إذا أردنا معرفة أسباب النكبات التي تعرض أو سيتعرض لها العالم والتي أَسفرت أو ستسفر عن مذابح رهيبة ونكبات اقتصادية عامة وعمليات التخريب المتقنة للنظم والأفكار الاجتماعية يتوجب علينا أن نتعلم البحث عن مدى ما في ظاهرها ونتائجها من الطابع والأَثر والمبادهة اليهودية ومقدار توافقها مع الأغراض الصهيونية إذا أردنا تجنب التعرض لمثيلاتها في المستقبل لوجب علينا أن نتقن أصول كشف الألوان والأساليب والأَضاليل التي تعتمدها

---

(١) يونس محمد إبراهيم- الدوافع العدوانية في النفسية الصهيونية- ص ١٠٢.

(٢) يونس محمد إبراهيم- الدوافع العدوانية في النفسية الصهيونية- ص ٩٠.

(٣) يونس محمد إبراهيم- الدوافع العدوانية في النفسية الصهيونية- ص ٩٤.

اليهودية والماسونية والتي تتخلل جميع شؤوننا اليومية ولذا كـــان لزامـــاً علينـــا أن لا نتسرع في الحكم لها أو عليها إلا بعد أن نتأكد من صحتها إذ ربما كان اليهودي الغادر يكمن خلفها ويتربص بنا الدوائر هذا الخصم الذي نراه تارة ضعيفا كدودة الأرض وتارة أخرى شرساً كأسد الغاب والذي يدفعه بغضه العنـــصري الأعمـــى لارتكاب الكوارث والمصائب لينزلها على البشرية جمعاء.

مفكرون ضد اليهود

١- كارل ريتر - ١٧٧٩ -١٨٥٩

وهو مفكر ألماني وأستاذ في التاريخ تأثر بالأفكار الهدامة لبروتوكولات حكماء صهيون التي كانت تدعو إلى تفوق العرق اليهودي، وعلى النقيض طرح أفكـــاراً مناهضة للأفكار اليهودية بتفوق العرق الجرماني، ويعد ريتر مؤسس الفكر النـــازي ونشر عام ١٨٤٩ أفكاره قائلاً: لكي يعود السلام والحرية الاقتـــصادية إلى العـــالم يجب أولا القضاء على الرأسماليين والممولين اليهود وعلى جميـــع أعـــضاء الحركـــة الثورية العالمية الذين يوجهون الشيوعية ويسيطرون عليها، ومضمون الفكر النازي يرى تفوق العنصر الجرماني والذي يتوجب عليه إخضاع العالم بالقوة العـــسكرية ويجب أن تكون الطاعة لقائد الدولة الجرمانية من دون نقاش، حيث اقتنع رجـــال الحرب الألمان بالفكر النازي بعد الحرب العالمية الأولى لما شاهدوه من إذلال ألمانيـــا بواسطة اليهود ووضعوا خططهم للاستيلاء على أوروبا وأميركـــا للقـــضاء علـــى الممولين اليهود والاستيلاء على ثروتهم الطائلة.

٢- الموسيقار الألماني ريتشارد فاجنر ١٨١٣/١٨٨٣

وقد طبع فاجنر كتابه أضواء على اليهود في الموسيقى عام ١٨٥٠ ثم عام ١٨٦٩ وصور اليهود باعتبارهم تجسيدا للقوة والمال والتجارة منكـــراً علـــيهم أي إبـــداع في الموسيقى والثقافة ثم نشر سلسلة مقالات بعنوان الفن الألماني والسياسة طرح فيها فكرته الخاصة برسالة الشعب الألماني الخالص المعادية للمادية الفرنسية واليهودية.

وقد اتهم فاجنر اليهود بالهيمنة على الحياة الثقافية في ألمانيا وطالب بحرمانهم من حقوقهم السياسية وتحدث عن دمار أو إبادة اليهود أي تخليص الحياة الثقافية من اليهود بالقوة أو دمجهم عن طريق الفن والموسيقى، وقد تركت أفكار فاجنر أثراً عميقاً على هتلر.

٣- بول أنطون دي لا جارد ١٨٢٧ -١٨٩١

وهو مفكر ومستشرق ألماني كان يؤمن بتفوق الشعب الألماني ويرفض مبدأ المساواة وكان يؤكد أنه لا يكن أي عداء لليهود كأفراد وإنما يعادي أمة سامية وثنية غربية يعرقل وجودها الموضوعي اتحاد أوروبا الوسطى تحت قيادة ألمانيا ولذا لا بد من طرد أعضائها أو ترحيلهم بالقوة.

٤- هنريش جون ترايتشكه ١٨٣٤ -١٨٩٦

وبالرغم من أن هنريش وصف الهجوم على اليهود بأنه وحشي إلا أنه عزى ذلك الهجوم إلى أنه رد فعل طبيعي للمشاعر القومية الألمانية ضد عنصر غريب (الشعب العضوي في مواجهة الشعب العضوي المنبوذ) ثم طرح شعار "اليهود مصيبتنا" وحذر الألمان من تدفق اليهود من الخزان البولندي وقد تبدى هذا الرفض لليهود في شكل تعاطف مع المشروع الصهيوني.

٥- هيوستن ستيوارت ١٨٥٥ -١٩٢٧:

وهو مفكر إنجليزي ألف أهم كتب ((العنصرية أسس القرن التاسع عشر سنة ١٨٩٩)) وكان يؤمن بتفوق الإنسان النوردي الأشقر وكان يرى أن اليهود يشكلون عرقاً هجيناً متحركاً هامشياً طفيلياً لا جذور له وهم غير قادرين على الإبداع ولا يوجد لديهم إحساس ديني بل إن وجودهم ضد الإنسانية.

٦- جولدين سميث ١٨٢٣/١٩١٠

مفكر إنجليزي نشر عام ١٨٧٨ مع بداية هجرة يهود اليديشية من روسيا إلى إنجلترا عملاً حاول فيه أن يبرهن على استحالة أن يصبح اليهود مواطنين في دول

أوروبا المضيفة وحاول أن يبرهن على أن وجودهم يمثل خطراً أساسياً على بلـــده، ولهذا السبب نادى سميث بحل صهيوني للمسألة اليهودية.

٧- يوجين ديرينج ١٨٨٦

أصدر كتابه معلنا فيه أن العنصر اليهودي هو أسوأ عناصر الـــسامية وهدفـــه التسلط على العالم واستعباد الشعوب الأخرى.

من صفات اليهود:

ذكر الدكتور قدري حنفي في دراسته التي تحمل عنوان شباب عجوز بعـــضاً من صفات اليهود وهي:

الانطوائية - الكآبة - التشكيك - التشاؤم - البخل - الجبن - الشعور بالدونية - البرود العاطفي - الإحساس بالفشل - خشونة المظهر - انفعالية الأعماق - الغموض - الإبداعات والتفنن في المواقف السلبية تجاه الإنسان الآخر والمقصود بالإنسان الآخر كل من هو غير يهودي أو ليس الرب يهوه أنبأهم أنهم هم الذئاب وبقيـــة الخلـــق فرائس لهم؟.

ومن تعاليم اليهود / المبدأ الحاخامي أفضل الثوريين شاب مجرد من الأخـــلاق ومن العجيب أن هذا المبدأ تم إحياؤه وتطبيقه في القرن الواحد والعـــشرين تحـــت ما أسموه الفوضى الخلاقة.

وكان من الأَدب الثوري لليهود نشر الأَدب الثوري عن طريق الحفلات الموسيقية والمسرحيات والاجتماعات الخطابية للمناقشة وفتح الحانات والملاهي وتنظيم وإدارة الدعارة وتوريط صناع القرار بأخطاء فادحة تؤدي إلى التشهير بهم فيما أسموه التلطيخ الذي يؤدي بصاحبه إلى الاستسلام والانقياد التام لمن لطخوه مع استغلال الدعاية الإعلانية وتوجيه الصحف والنشرات إلى ذلك خاصة توريط الشخصيات الاجتماعية والسياسية المرموقة لكي ينهاروا ويصبحوا فرائس سهلة للابتزاز والاستغلال والتحول إلى أدوات طيعة للاستغلال والتوجيه.

ومن أدوات هذا الأسلوب التغلغل في الحركات الرياضية والشبابية والتنظيمات الاجتماعية والمشاريع والمعارض الفنية وذلك حتى يتمكنوا من تعطيل ضمائر الضحايا بل القضاء عليها إلى الأبد عن طريق نشر الفسوق والفجور والرذيلة والدعارة وكافة شرور الأمور.

وقد استعملت هذه الأساليب الرخيصة في إشعال الثورة الفرنسية وكذا استخدمت في روسيا وإسبانيا وفي ألمانيا وفي أميركا أثناء الثورة الشيوعية واستخدمت في بريطانيا وهي تستخدم حتى الآن في معظم دول العالم سيما النامية (المتخلفة منها) والتي يتم توريط حكامها في الفساد والتلطيخ ليكونوا أدوات طيعة لدى مخططي السياسة اليهود أو الصليبيين ولعل في قضية عقد الجوهر التي تم حبكها ضد الملكة ماري أنطوانيت خير مثال على أساليب اليهود في التلطيخ فبالرغم من الوضع المالي السيئ لفرنسا ومواظبتها على الاقتراض من بارونات المال اليهود ابتكر أحد العملاء السريين لبارونات المال اليهود أسلوباً خبيثاً للإيقاع بالملكة أنطوانيت.

إذ اعتمد ذلك العميل (وايزهاوبت) خطةً فأرسل مندوباً سرياً لأَحد كبار الصاغة وسلمه تكليفاً كاذباً باسم الملكة لصناعة عقد جوهر ثمين شبيها بالعقود الأسطورية فقام الصائغ بصناعته وقدمه إلى الملكة لتحكم عليه ولكنها رفضت العقد ونفت علمها بأي رسالة تطلب صناعته من قبلها، وهنا عمل الشياطين اليهود عملهم وحركوا آلات مطابعهم لفضح الملكة المظلومة.

وتم توزيع الآلاف المؤلفة من النشرات التي تندد بالملكة زاعمة أن عشيقاً سرياً لها هو الذي أهداها هذا العقد إعجاباً بمفاتنها وأكثر من ذلك وإمعاناً في التلطيخ أرسل المتآمرون كتاباً إلى الكاردينال برنس دي روهان يحمل توقيعاً مزوراً من الملكة وفي الرسالة طلب من الكاردينال موافاة الملكة في قصر البالية للبحث بشأن العقد.

وعهد المتآمرون إلى إحدى غانيات القصر التنكر بملابس الملكة ومقابلة الكاردينال ليلاً، ووصلت القضية إلى الصحف ثانية وانتشرت الأهازيج الجنسية الرخيصة التي تتناول أكبر الشخصيات السياسية والدينية في البلد وقد نبشت هذا

البرهان الليدي كوينــزيورو صاحبة كتاب الكهنوت الشيطاني والتي اكتــشفت أن مرابي اليهود الإنجليز أمثال بنيامين جولد شميد وأخاه إبراهيم وشريكهما موشي ميكانا وموشي مونتفيوري كانوا متواطئين مع يهود أوروبا في إشعال الثورة الفرنسية.

وقصة مصر مع البنك الدولي عام ١٩٥٦ ليست ببعيدة عنا عندما امتنع البنك عن تمويل مصر آملاً في أن تنهار الحكومة ويسقط عبد الناصر.

طبيعة اليهود من المنظور الأممي العالمي التاريخي:

بدأ الشتات والسبي الثالث بعد سبي نبوخذ نــصر عــام ٥٨٦ ق.م وســبي الرومان عام ١٣٣ ق.م إذ بدأ السبي الثالث بعد سقوط الأندلس على يد الملكــين فردوناندس وإيزابيلا عام ١٤٩٢م وعانى اليهود والمسلمون الأمرَّين على يد محاكم التفتيش الإسبانية وبدؤوا الانتشار في الأرض بعد ذلك.

ومع هذا التشتت بدؤوا يقيمون في جماعات متصلة مع بعضها البعض ومنفصلة عمن حولها من الناس في نفس المجتمع وهو ما عرف بالغيتوات، حيث ظهرت هذه الظاهرة الانعزالية لدى اليهود عام ١٥١٥/١٥١٦، وكانت البندقية إحدى المــدن الإيطالية التي لم تكن خاضعة لسلطة الباباوات أول من أدخل نظام الجيتو في حيــاة اليهود، عندما أصدر مجلس المدينة عام ١٥١٦ أمراً أجبر فيه اليهود في المدينة علــى السكن في حي مغلق خاص بهم وفي عام ١٦١٦ فرض نظام الجيتو علــى يهــود فرانكفورت بناءً على اتفاق خاص بين مجلس المدينة وســكانها اليهــود وفي عــام ١٦٢٤ فرض هذا النظام في مدينة فينا أيضاً وكان ذلك بناءً على طلــب اليهــود أنفسهم[١]، وأصبح نظام الجيتو يتسع وينتشر عالمياً حيث إنــك لتــرى الأَحيــاء والضواحي الخاصة باليهود أينما انتشروا في كافة أنحاء العالم.

---

(١) تاريخ الصهيونية - صبري جرجس - الجزء الأول - مركز الأبحاث - ص ١٥.

الفصل الثاني

اليهود من المنظور القرآني

كشفت الأحداث العالمية حتى يومنا هذا عن حال اليهود وأظهرت للعالم أنهم شرذمة تثير الفتن والخراب والفساد حيثما حلت في كافة البلاد التي يقيمون فيها قال تعالى: ﴿وَيَسْعَوْنَ فِي ٱلْأَرْضِ فَسَادًاۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة ٥/٦٤].

﴿مِّنْهُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ﴾ [آل عمران ٣/١١٠].

﴿وَقَطَّعْنَٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أُمَمًاۖ مِّنْهُمُ ٱلصَّٰلِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَۖ﴾ [الأعراف ٧/١٦٨].

وإن كان هناك قلة من اليهود الذين عبّر القرآن عن احترامهم:

﴿وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف ٧/١٥٩].

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُواْۖ وَكَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ [السجدة ٣٢/٢٤].

﴿وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ﴾ [الأعراف ٧/١٣٧].

إلا أنّ هذه الفئة ممن كانوا مع موسى واتبعوه أمّا النوع الثاني من اليهود من بني إسرائيل هم أصحاب تاريخ أسود- مظلم كالح الظلام يقوم على الكفر بالله ومحاربة الحق وتكذيب الرسل وقتل الأنبياء ونقض العهود ورفض القيود وارتكاب الجريمة وممارسة الظلم والسعي في الفساد.

فقد طلبوا من موسى رؤية الله جهرة ورفضوا إعطاء العهد عن بني إسرائيل وتخلوا عن المن والسلوى.

واستبدالهم الذي هو أدنى بالذي هو خير مما تنبت الأرض ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ﴾ [البقرة: ٦١].

صفاتهم في القرآن الكريم:

١- الأخلاق السقيمة واللئيمة وتجرؤهم على الذات الإلهية:

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ ۚ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا۟ بِمَا قَالُوا۟ ۘ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا ۚ وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ ٱلْعَدَٰوَةَ وَٱلْبَغْضَآءَ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ ۚ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة ٥/٦٤].

واليهود معروفون على مدار التاريخ بإشعال الفتن والاضطرابات في المجتمعات التي يسكنون فيها كوسيلة من وسائل تدمير الآخرين وبالتالي السيطرة عليهم.

فها هم في المدينة يشعلون فتنة حين اعتدى اليهودي على إحدى نساء المسلمين وها هم يتحالفون مع كفار مكة ضد المسلمين وينقضوا عهودهم مع الرسول ﷺ.

﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ﴾ [المائدة: الآية ٧٨].

وها هم يتآمرون على قتل الرسول ﷺ بالصخرة أو بتسميم لحم العنزة (الشاة).

وها هم يشعلون الفتن في كافة أرجاء الدولة الإسلامية في عهد الخلفاء الراشدين ويتآمرون على الإسلام بالتظاهر في الدخول في الإسلام (أمثال كعب الأحبار ووهب بن منبه ورافع بن حريملة وعبد الله بن سبأ) وإثارة العنف في المجتمع المسلم.

فالآية الكريمة (كلما أوقدوا ناراً) تدل على الاستمرارية في إشعال النار والفتن وها هم في العصر الحديث يشعلون النار والفتن في أوروبا وحيثما حلوا.

٢- الحرص على المال:

ولتجدهم أحرص الناس على حياة، والحرص على الحياة يؤكد الذل والمهانة والجبن في سبيل البقاء والتمسك بالحياة وعدم التضحية في سبيل الكرامة والأهداف النبيلة.

٣- الجبن

﴿لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ﴾ [الحشر ٥٩/١٤].

وعندما طلب سيدنا موسى دخول فلسطين معه أبوا جبناً ومهانة بقوله تعالى:

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٠﴾ يَٰقَوْمِ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْأَرْضَ ٱلْمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَارِكُمْ فَتَنقَلِبُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴾ [المائدة الآية ٢٠- ٢١].

وكان جوابهم لموسى: ﴿ قَالُوا۟ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا۟ مِنْهَا فَإِنَّا دَٰخِلُونَ ﴾ [المائدة: الآية ٢٢].

وقد كتب الله عليهم التيه في الأرض: ﴿فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ ۛ أَرْبَعِينَ سَنَةً ۛ يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ ۚ فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ [المائدة ٥/٢٦].

٤- نقض العهود:

ومع الجبن، النكث بالعهد ﴿قَالُوا۟ وَمَا لَنَآ أَلَّا نُقَٰتِلَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِن دِيَٰرِنَا وَأَبْنَآئِنَا ۖ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقِتَالُ تَوَلَّوْا۟ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[البقرة- ٢٤٦].

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقۡطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ [البقرة - ٢٧].

وقولـــه تعـــالى: ﴿فَبِمَا نَقۡضِهِم مِّيثَٰقَهُمۡ وَكُفۡرِهِم بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَقَتۡلِهِمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَقَوۡلِهِمۡ قُلُوبُنَا غُلۡفُۢۚ بَلۡ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيۡهَا بِكُفۡرِهِمۡ فَلَا يُؤۡمِنُونَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء الآية: ١٥٥].

﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُواْ عَهۡدٗا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۚ﴾ [البقرة ٢/١٠٠].

٥- اليهود أشد عداوة للذين آمنوا:

﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ ٱلنَّاسِ عَدَٰوَةٗ لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلۡيَهُودَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْۖ﴾ [المائدة ٥/٨٢].

﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكۡتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ﴾ [آل عمران ٣/١٨٧].

٦- المكر والغدر اليهودي:

﴿إِذۡ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحۡنُ عُصۡبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ٨ ٱقۡتُلُواْ يُوسُفَ أَوِ ٱطۡرَحُوهُ أَرۡضٗا يَخۡلُ لَكُمۡ وَجۡهُ أَبِيكُمۡ وَتَكُونُواْ مِنۢ بَعۡدِهِۦ قَوۡمٗا صَٰلِحِينَ﴾ [يوسف ٨-٩].

﴿يَٰبُنَيَّ لَا تَقۡصُصۡ رُءۡيَاكَ عَلَىٰٓ إِخۡوَتِكَ فَيَكِيدُواْ لَكَ كَيۡدًاۖ إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لِلۡإِنسَٰنِ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾ [يوسف ١٢/٥].

وقوله تعالى: ﴿وَسۡـَٔلۡهُمۡ عَنِ ٱلۡقَرۡيَةِ ٱلَّتِي كَانَتۡ حَاضِرَةَ ٱلۡبَحۡرِ إِذۡ يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا وَيَوۡمَ لَا يَسۡبِتُونَ لَا تَأۡتِيهِمۡۚ كَذَٰلِكَ نَبۡلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡسُقُونَ﴾ [الأعراف الآية ١٦٣].

صفحات من غدر اليهود بالمسلمين:

أ) غدر بنو قينقاع ومكرهم بالمرأة المسلمة:

وكانت بعد معركة بدر بستة أشهر فكان يهود بنو قينقاع أول من نقض العهد مع رسول الله ﷺ فكان من أمرهم أن امرأة مسلمة قدمت سوقهم وجلست إلى صائغ منهم فجعلوا يراودونها عن كشف وجهها فأبت فعمد الصائغ إلى طرف ثوبها فعقده إلى ظهرها فلما قامت انكشفت سوأتها فضحكوا منها فجاء رجل من المسلمين لنجدتها فقتلَ اليهوديَّ إلا أن اليهود شدُّوا عليه وقتلوه فاستصرخ أهل المسلم المسلمين على اليهود، فجاء الرسول ﷺ وحاصرهم خمسة عشر ليلة ليحكم عليهم بالجلاء عن المدينة.

واستوهبهم عبد الله بن أبي بن سلول رأس المنافقين فوهبهم الرسول له وأُخرجوا إلى أذرعات خارج المدينة.

ب) كيد بنو النضير وغدرهم:

وكانت بعد غزوة أحد، عندما خرج الرسول ﷺ إلى يهود بني النضير يستعينهم على دية قتيلين من بني عامر اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري، وذلك للجوار الذي عقده لهم رسول الله ﷺ، فوجدها اليهود فرصةً للتآمر على الرسول وأجمعوا على أن يصعد أحدهم إلى السطح لإلقاء صخرة على الرسول ﷺ وكان المكلف بذلك عمرو بن جحاش بن كعب فصعد لتنفيذ المؤامرة ولكن الله عصم رسوله وأخبره الوحي بذلك فقفل عائداً إلى المدينة وكان بعد ذلك أن هيأ الرسول ﷺ المسلمين لمحاربتهم فحاصروهم ست ليال وأمر بقطع النخيل وحرقها وتم إجلاءَهم إلى خيبر وفيهم نزلت الآية:

﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِ ۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا۟ ۖ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا۟ ۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُوا۟ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴾ [الحشر ٥٩/٢].

ونزل أيضاً: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الحشر: ٥]، وقد سّمى عبد الله بن عباس سورة الحشر بسورة بني النضير لأن معظمها جاء في بني النضير، وأَرْسَل المنافقون بقيادة عبد الله بن أبي بن سلول ليهود بني النضير ليشدوا أزرهم، وتهيأ الطرفان للقتال إذ أرسل لهم الرسول ﷺ لواءً بقيادة علي بن أبي طالب وبعد حصارهم ستة أيام أرسلوا إلى الرسول طالبين الجلاء عن المدينة فوافقهم الرسول شرط عدم حمل أسلحتهم وقد رحلت طائفة من بني النضير إلى بلاد الشام.

ج) غدر اليهود في معركة الخندق وغزوة بني قريظة:

وكانت تلك الغزوة التي قادها الرسول ﷺ في السنة الخامسة للهجرة على يهود بني قريظة في المدينة وانتهت باستسلام اليهود بشرط تحكيم سعد بن معاذ الذي كان حليفاً لهم في الجاهلية والذي حكم بقتل الرجال وسبي الأموال والنساء والذراري وتوزيعها على المسلمين، فبالرغم من عهود الرسول مع اليهود، فقد تحالف اليهود مع الأحزاب وهاجموا نساء المسلمين أثناء انشغال المسلمين في حماية المدينة حول الخندق وحاولوا فتح ثغرة تمر الأحزاب من خلالها إلى داخل المدينة والقضاء التام على المسلمين، وهذا هو حال اليهود الدائم في الغدر مصداقاً لقوله تعالى: ﴿أَوَكُلَّمَا عَٰهَدُوا۟ عَهْدًا نَّبَذَهُۥ فَرِيقٌ مِّنْهُم ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [البقرة: ١٠٠].

وبعد حصار دام خمسة وعشرين ليلة استسلم اليهود وطلبوا تحكيم أبي لبابة بن المنذر الذي أشار بالذبح، فرفض اليهود وقالوا ننزل على حكم سعد بن معاذ فقال له اليهود، يا أبا عمرو حلفاؤك ومواليك وأهل النكاية ومن قد علمت وسعد ساكت، فلما أكثروا عليه قال "لقد آن لسعد أن لا تأخذه في الله لومة لائم ولما انتهى سعد إلى النبي قال النبي ﷺ للصحابة قوموا إلى سيدكم، فأنزلوه عن حماره

وقالوا يا سعد إن هؤلاء نزلوا على حكمك، قال وحكمي نافذ عليهم، قالوا نعم، قال وعلى المسلمين قالوا وعلى المسلمين قال وعلى من ها هناك وأشار إلى جهة الرسول ﷺ" قال ﷺ نعم وعلي، قال فإني أحكم أن يقتل الرجال وتسبى الذراري وتقسم الأموال.

فقال رسول الله ﷺ "لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات".

د) غدرهم في خيبر:

وكانت بعد صلح الحديبية بعشرين يوماً في السنة السابعة للهجرة ومدينة خيبر هي مدينة مليئة بالحصون وبها ماء تحت الأرض وطعام يكفيها سنوات، وكان اليهود (وهذا طبعهم) يتعاملون بالربا كما كانت خيبر وكرا للدس والتآمر على المسلمين وهم الذين حرضوا بني قريظة على المسلمين، ولم يشأ اليهود في خيبر السكوت على هزائمهم المتلاحقة على يد المسلمين، فأرسلوا وفداً مكوناً من سلام ابن أبي حقيق وحُيي بن أخطب وكنانة بن أبي حقيق وغطفان وبقية القبائل الوثنية الكبرى، فخرجت قريش بقيادة أبي سفيان وخرجت غطفان بقيادة عيينة بن حصن والحارث بن عوف في بني مرة حتى نزلوا قريباً من المدينة، وكان الرسول ﷺ قد حفر الخندق بمشورة سلمان الفارسي فهمّ الجمع من قريش واليهود ومن تحالف معهم من القبائل بالميل على المسلمين ميلة واحدة.

نزل المسلمون بوادي الرقيع وكان بين اليهود وبين بني غضفان، وهناك نادى الرسول ﷺ لأعطين الراية رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، فنودي له بعلي وكان به رمد في عينه، فتفل النبي ﷺ فيها وأعطاه الراية، ونازل علي كرم الله وجهه قائد اليهود مرحب فقتله وكان ذلك بشرى للمسلمين، وفى تلك الغزوة تزوج الرسول ﷺ من أم المؤمنين صفية بنت حيي المصطلق.

وخابت آمال اليهود والمتحالفين معهم، وصدق الله وعده ونصر عبده وهزم

الأحزاب وحده وخرج المسلمون من المحنة منتصرين ونزل الوحي في ذلك: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذْكُرُواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَآءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٩﴾ إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠ ﴿١٠﴾ هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُواْ زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾[الأحزاب٩ -١١].

هـــ) غدرهم في عهد الخلفاء الراشدين:

تآمر اليهود من خلال عبد الله بن سبأ على قتل الخليفة عمر بن الخطاب بخطة يهودية مجوسية على يد أبي لؤلؤة الفيروز وظهر ميمون القداح في الكوفة سنه ٦٢٧ والذي تظاهر بالإسلام وراح يدس على المسلمين محاولاً تحريف القـــرآن وابتـــداع ما أسماه الظاهر والباطن لآياته.

و) الغدر في بروتوكولات حكماء صهيون:

وقد جاء في البروتوكول الأول من بروتوكولات حكماء صهيون يجـــب أن يكون شعارنا كل وسائل العنف والخديعة وورد أيضاً يجب ألا نتـــردد لحظـــة في أعمال الرشوة والخديعة والخيانة إذا كانت تخدمنا في تحقيق غاياتنـــا وقـــد تقـــدم ديزرائيلي - واسمه الحقيقي دي إسرائيلي - وهو رئيس وزراء بريطانيا عـــام ١٨٦٨ وكان رئيس الوزراء في الفترة ١٨٧٤ إلى ١٨٨٠ بنصيحة مفادها "لا بأس بالغدر والكذب والوقيعة إذا كانت هي طريق النجاح"، كمـــا أوصـــى دي إســـرائيلي بنصيحته البريطانيين والحقيقة أنه كان يوصي اليهود أنفسهم.

ودي إسرائيلي هذا كان يهودياً عشق النصرانية تطبيقاً لسياسته وفلـــسفته في الخديعة والكذب إذ كانتا طريقَهُ للنجاح".

كان دزرائيلي سياسياً بريطانياً كما كانت له أعمال أدبية وكتابات غير روائية مختلفة، من أشهر رواياته تانكرد، أو الصليبية الجديدة والتي حاول فيها التوفيق بين

جذوره اليهودية ومطامعه الإمبريالية البريطانية وهو الذي اشترى أسهم قناة السويس لحساب الحكومة البريطانية.

٧- قتل الرسل:

﴿كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُواْ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾ [المائدة ٥/٧٠].

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [آل عمران ٣/٢١].

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَقَفَّيْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ بِٱلرُّسُلِ ۖ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ ۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمْ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسْتَكْبَرْتُمْ فَفَرِيقًا كَذَّبْتُمْ وَفَرِيقًا تَقْتُلُونَ ﴾ [البقرة الآية ٨٧].

٨- الغرور والاستعلاء اليهودي على البشرية:

ومن يقرأ نصيحة دزرائيلي المذكورة في الفقرة السابقة يجدها تتفق نصا وروحاً مع ما ورد في التلمود" في أن اليهود أحب إلى الله والملائكة وأهم من عنصر الله كعنصر الولد من أبيه، ومن يصفع اليهودي كمن صفع الله، والموت جزاء الأممي إذا ضرب اليهودي، ولولا اليهودي لارتفعت البركة من الأرض واحتجبت الشمس وانقطع المطر واليهود يفضلون الأُمميين كما يفضل الآدمي البهيمة والأُمميون جميعاً كلاب وخنازير وبيوهم كحظائر البهائم نجاسة والربا الفاحش جائز مع غير اليهودي وغير جائز مع اليهودي وكل خير يفعله اليهودي مع الأممي فهو خطيئة وكل شر يفعله مع الأممي فهو قربان لله وكان قد نقل عن الحاخام شمعون وارنرد أحد حاخامات الجيش الإسرائيلي في فتوى لأحد الجنود الذي يسأل عن قتل المدنيين غير المسلحين من رجال ونساء وأطفال، وكانت الفتوى أفضل الأغيار أقتله أفضل الأفاعي اسحق عظامها.

والغرور والاستعلاء والعنصرية من الصفات الذميمة التي اتــصف بهــا بنــو إسرائيل على طول تاريخهم فهم ينظرون إلى الأُمم غير اليهوديــة نظــرة ملؤُهــا الاحتقار والازدراء والدونية، فهم يزعمون أن الشعوب الأُخرى من غــير اليهــود خلقت على شكل البشر احتراماً لليهود ليسهل على اليهود تــسخيرهم للخدمــة ولكي تأنس الأسياد بالعبيد فهم (غير اليهود) بهائم في صورة بشر.

٩- الإفراط في حب المال:

خير وصف لحب اليهود للمال ما ورد في القرآن الكريم:

﴿سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ أَكَّٰلُونَ لِلسُّحۡتِۚ﴾ [المائدة ٥/٤٢].

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَأَكۡلِهِمُ ٱلسُّحۡتَۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [المائدة ٥/٦٢].

﴿وَأَخۡذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدۡ نُهُواْ عَنۡهُ وَأَكۡلِهِمۡ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِۚ﴾ [النساء ٤/١٦١].

١٠ - قسوة القلوب:

﴿ثُمَّ قَسَتۡ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلۡحِجَارَةِ أَوۡ أَشَدُّ قَسۡوَةٗۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنۡهُ ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخۡرُجُ مِنۡهُ ٱلۡمَآءُۚ وَإِنَّ مِنۡهَا لَمَا يَهۡبِطُ مِنۡ خَشۡيَةِ ٱللَّهِۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة ٢/٧٤].



الفصل الثالث

التنظيمات والخطط اليهودية

النورانيون:

روتشيلد واجتماع فرانكفورت:

في عام ١٧٧٣م كان ماير روتشيلد لا يزال في التاسعة والعشرين من عمره وقد دعا لملاقاته في فرانكفورت اثني عشر رجلاً من كبار الأغنياء اليهود لإقناعهم بتجميع ثرواتهم وتأسيس مجموعة واحدة ليكون بإمكانهم تمويل الحركة الثورية العالمية، كانت الخطط والأفكار تتلخص في التحكم والمناورة بثرواتهم المالية الضخمة والمتحدة مما سيؤدي إلى خلق ظروف اقتصادية مشبعة بالقلق فتتفشى البطالة بين الجماهير وتؤدي إلى حالة مجاعة وبؤس بين عامة الناس فتصب أسباب الانهيار الاقتصادي على الملك وأعوانه من النبلاء والكنيسة وأرباب الحرف، ويندس المحرضون والرعاة والمأجورون بين صفوف الشعب ليشيعوا مشاعر الحقد والبغضاء ويطالبوا بالانتقام من الطبقات الحاكمة التي يشهرون بها بالفضائح الجنسية كما يلصقون بها كل الاتهامات الأخرى حقيقية كانت أم باطلة وهذا ما سمي فيما بعد خطة أو بروتوكولات حكماء صهيون الهادفة للسيطرة على العالم، وقرر المجتمعون تأسيس مجمعٍ سريٍّ يعمل على تحقيق أهدافهم للسيطرة على العالم أسموه المجمع النوراني، وكلمة نوراني مشتقة من كلمة لوسفر Lucifer التي تعني حامل الضوء أو الكائن الفائق الضياء، وهكذا أنشئ المجمع النوراني لتنفيذ طقوسهم الخاصة وهذا يؤكد صوابية تسمية المسيح أسلافهم بكنيس الشيطان، ويدعي رؤساء المجمع النوراني اليهودي امتلاك المعرفة السامية فيما يتعلق بشؤون الدين والعقائد والاحتفالات الدينية والطقوس، وكان هؤلاء هم الذين صمموا العقيدة الإلحادية

المادية التي نشرت عام ١٨٤٨ في البيان الشيوعي الذي كتبه كارل ماركس وفردريك إنجلز.

بروتوكولات حكماء صهيون (مؤامرات اليهود)- مخطط وايزهاوبت:

وهي قرارات مشيخة إسرائيل، وظلت سراً دفيناً إلى أن اكتشفتها الحكومة البافارية، ثم اكتشفتها سيدة مسيحية عام ١٩٠٢ فقام بترجمتها الكاتب الروسي سرجيوس نيلوس.

وقد نشرت لأول مرة في جريدة زناميا في سان بطرس بيرج، وبدايتها كانت عام ١٧٨٤ إذ اكتشفت الحكومة البافارية في ألمانيا براهين قاطعة على المؤامرة الشيطانية لليهود، كان آدم وايز هاوبت أستاذاً يسوعياً للقانون في جامعة أنغولد شتات، وارتدّ عن المسيحية ليعتنق المذهب الشيطاني اليهودي وفي عام ١٧٧٠ استأجره المرابون الذين قاموا بتنظيم مؤسسة روتشيلد لمراجعة وإعادة تنظيم البروتوكولات القديمة على أسس حديثة التي كانت تهدف في نهاية المطاف إلى السيطرة على العالم بعد تخريبه وإشاعة الفوضى والفساد والانحطاط الأخلاقي وكذا تدمير الاقتصاد وإثارة الحروب والفتن بين المجتمعات وقد انتهى وايزهاوبت من مهمته عام ١٧٧٦، وكان المخطط الذي رسمه وايزهاوبت يستدعي:

١) القانون هو الذي يكبح جماح النفوس البشرية، وما القانون إلا القوة وما دام الذهب في عصرنا هذا أعظم نفوذا مما لدى الحكومة الديمقراطية، وما دام الذهب في حوزتنا - نحن اليهود - ففي استطاعتنا أن نشتري به كل ما نشاء ونسيطر به على من نريد شعارنا القوة والرياء وفي سبيل هذه السيطرة لا ينبغي أن نحجم عن اللجوء للرشوة والخداع والخيانة في سبيل بلوغ مآربنا.

٢) تدمير جميع المجتمعات والأديان.

٣) تقسيم الشعوب التي سماها الجويم (القطعان البشرية) إلى معسكرات قيادية تتصارع إلى الأبد بسبب المشاكل التي يشعلها اليهود بينهم.

٤) تسليح هذه المعسكرات حتى يدمر بعضها بعضاً بعد أن يتم افتعـــال حـــوادث تؤدي إلى الصدام بينها، وكان من وسائلهم في ذلك:

أ) الرشوة والمال والجنس.

ب) استمالة أساتذة الجامعات والمعاهد العلمية.

ج) استمالة الطلبة المتميزين في الأوساط العلمية وشحن أدمغتهم بأفكار أممية.

د) استخدام العملاء من الفئات أعلاه في المراكز والوظائف الحساسة ليـــسهل عليهم الانقضاض على فرائسهم وتخريب المجتمعات.

هــ) السيطرة على الصحافة وكافة أجهزة الإعلام الأخرى.

٥) إشعال الحروب بين الدول حتى يتيسر نقل الحرب إلى الميدان الاقتـــصادي ممـــا يضطر الفريقين المتحاربين إلى وقوعهما في قبضتنا لتفوقنا في هذا المضمار.

٦) خلق الضائقة المالية في الحكومة لتنمية روح الكراهية في العمال على الحاكمين والهيمنة على الجهاز الحكومي لأن في أيدينا الصحافة وفي قبضتنا البرلمان.

٧) سيصبح من السهل بعد ذلك أن يتحكم الغوغاء في الحكم وسيفضي ذلـــك إلى الفوضى التي نديرها من قبل وكلائنا.

٨) إغراق الشعوب في الفساد والانحلال الأخلاقي والقضاء على المتميزين والمتفوقين منهم(١).

٩) العمل على بث روح التفرقة وانعدام الثقة وبذر الخلافـــات وتـــشجيع كافـــة محاولات الهدم والتحطيم.

١٠) السيطرة على الثروة عن طريق الاحتكارات العالمية - الكارتـــل والترســـت والكونستوريوم.

---

(١) قامت المخابرات الإسرائيلية باغتيال علماء الذرة المصريين والعراقيين والإيرانيين بالإضافة لاغتيال وتهديد علماء الصواريخ الألمان في مصر في ستينيات القرن الماضي.

١١) تقوية القوة البوليسية التي تخضع لنا داخل الحكومات ودعم الصحافة ووسائل النشر، وبهاتين الوسيلتين اللتين نسيطر عليهما نعلن حكم الإرهاب على كل من يقف ضد أهدافنا بإثارة القلاقل والفتن ضد حكمه.

١٢) رفع ضعاف الأخلاق والضمائر إلى سدة الحكم ليكونوا أداة طيعة في أيـــدينا ولرغباتنا.

١٣) التزام مبدأ السرية في كل نشاط سياسي لنا.

١٤) العمل على تركيز السلطات الثلاث في يد أقل عدد من المرتـــشين لـــسهولة السيطرة والتحكم بالعدد المحدود.

١٥) السيطرة على الوكالات العالمية.

١٦) زعزعة الأيمان والعقائد في القلوب حتى لا يبقى على الأرض سوى اليهودية.

١٧) الانتشار في كل المنظمات السرية في شتى أطراف العالم[١].

١٨) تكليف وكلائنا من الفاسدين والمرتشين بتلويث غيرهم، وبالتالي فإن هـــؤلاء سيصبحوا أكثر ليونة لشدهم إلى طرفنا.

١٩) تشجيع الاغتيالات الفردية بأن نلقي في روح القاتل بأنه ســيكون شـــهيداً وبطلاً[٢].

٢٠) تشجيع الدول للاستدانة منا لنفسها حين نريد، والاعتماد على البورصة والأوراق المالية وألاعيبها بعد كل هذا سيكون لدينا خطوة أَخيرة نحو عرش صهيون.

وكان مخطط وايزهاوبت يرتكز على ما يلي:

١) إلغاء الحكومة الوطنية.

---

(١) وهذا يفسر عدم قيام المنظمات السرية المتأسلمة، كالقاعدة والنصرة وداعش بأي عملية ضد إسرائيل والذي يدل على اختراقها من الموساد الإسرائيلي.

(٢) تضليل الشباب.

٢) إلغاء مبدأ الإرث.

٣) إلغاء الملكية الخاصة.

٤) إلغاء الشعور الوطني.

٥) إلغاء المسكن العائلي الفردي.

٦) إلغاء كل الأديان الموجودة.

وكانت فرانكفورت مركزاً للمؤامرة، ولعل تسليط الضوء على هذه الأهداف التي شملتها تلك الوثيقة يكشف أنها كانت تشترك في معظم أهدافها وأساليبها مع الشيوعية العالمية التي كان اليهود وراءها أيضاً بقيادة كارل ماركس وفردرك إنجلز تحت مظلة الشيوعية، وسيطرة البروليتاريا[١] وشعار يا عمال العالم اتحدوا.

كانت تلك الوثيقة التي اكتشفتها السلطات البافارية معدة لترسل إلى فرنسا لتساهم في الإعداد للثورة، حيث أرسلت بالفعل عام ١٧٨٤ إلى جماعة النورانيين في فرنسا، إلا أن صاعقة ضربت حاملها أدت إلى وفاته وأثناء تفتيش جثته عثرت السلطات البافارية على الوثيقة التي كان اسمها بروتوكولات حكماء صهيون.

وداهمت السلطات البافارية محفل الشرق الأكبر عام ١٧٨٥ وأغلقته واعتبرت جماعه النورانيين خارجة على القانون[٢].

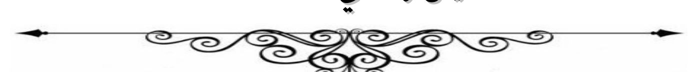


(١) الطبقة العاملة في النظرية الشيوعية.

(٢) ترى أليست الخطط والأهداف أعلاه هي ما تنفذه إسرائيل والصليبية العالمية بحذافيره بنا بنداً بنداً وتحت ستار الربيع العربي!!؟؟ ألا نشهد كل ذلك في بلادنا؟ فهل من مدكر؟

الفصل الرابع

اليهود في الشتات



اليهود في أُوروبا:

نظراً لطبيعة نفسية اليهود الشريرة التي تعمل على نفث السموم في أي مجتمع يقيمون فيه وممارستهم للنشاط الربوي والمضاربات المالية (وقصة شايلوخ وتاجر البندقية للأديب العالمي شكسبير "ليست ببعيدة عنا")، فقد كان هذا السلوك الخاص باليهود من أسباب إثارة الثورات والفتن الداخلية في المجتمعات الأوربية.

وقد كان اليهود أكبر داعمي الملوك ضد النبلاء إذ كان الملوك يوفرون الحماية لليهود لمصلحتهم الأمر الذي أثار الحنق والغضب في نفوس عامة المواطنين.

وقسم المجتمع الأوروبي إلى قسمين متصارعين وبدأت معاناة اليهود في عموم أوروبا وتؤكد المؤرخة اليهودية باربارا تشمان أن جذور الكراهية لليهود في أوروبا وجدت خلال الحروب الصليبية لأسباب متعددة فهم (أعداء المسيح وقتلته) بالإضافة لنشاطهم الاقتصادي الربوي واللا أخلاقي الذي كان يعمل على هدم المجتمع.

وكانت الفوائد العالية التي كان يتقاضاها المقرضون اليهود وعجز المقترضين عن سدادها، كثيراً ما تؤدي إلى تخلي المقترضين عن عقاراتهم لصالح المقرضين سداداً لديونهم لصالح اليهود وكان تجميع الأموال وتراكمها في أيديهم سبباً لمزيد من حياة الرفاه والرغد لليهود في وسط المجتمعات التي يعيشون فيها الأمر الذي أثار الحنق والغضب ضدهم.

وكانت الانتفاضة قد بلغت ذروتها ضد اليهود خلال سنين ١١٨٩-١١٩٠ الأمر الذي استمر غضباً ضد اليهود حتى عام ١١٩١ فقام الملك إدوارد الأول بطردهم خارج بريطانيا في ١٢٩٠/٨/٣١.

اليهود في إنجلترا:

لما كان الملك إدوارد الأول ملك إنجلترا هو أول من طرد اليهود من بلاده فقد قرر سادة اليهود في فرنسا وألمانيا أن تكون إنجلترا بالذات هي هدفهم الأول وقد قر قرار المتآمرين أول الأمر على شق الشعب الإنجليزي وإيقاع الخلاف بين الكنيسة والدولة ومن أجل ذلك أدخلوا إليها مذهب كالفن واسمه الأصلي هو كوهين وقد غير اسمه إلى كلوفين ثم إلى كالفن.

وقد نجح اليهود في تقسيم الشعب الإنجليزي إلى معسكرين بروتستانتي وكاثوليكي وقسم المعسكر البروتستانتي إلى ملتزمين ومستقلين.

وفي عام ١٦٨٩ أشعل اليهود الفتنة بين البروتستانت والكاثوليك في إنجلترا إلى أن اصطدم الطرفان وانتصر البروتستانت على الكاثوليك في ١٦٨٩/٠٧/١٢ ومع وصول القائد الهولندي وليم عرش بريطانيا أقنع الخزانة الإنجليزية الاستدانة من اليهود مقابل أن يوافق الجانب الإنجليزي للمقرضين اليهود على فتح مصرف وحصلوا على حق إصدار العملة الإنجليزية.

اليهود في فرنسا:

من المقولات المشهورة للإمبراطور الفرنسي لويس التاسع عن اليهود.

أفضل حجة مع اليهودي أن تغرز خنجرك في معدته.

استطاع اليهود من خلال المحفل الماسوني حرف بعض رجال الدين المسيحيين وطبقة النبلاء عن استقامتهم وقيمهم باتجاه المحافل الماسونية الأمر الذي أتاح لهم كسب تأييد أعضاء الجمعية الوطنية فدفعوا بالأمير فيليب الذي نصبوه رئيساً للمحفل الماسوني لتقديم مشروع قانون حقوق الإنسان الذي قضى بإلغاء كافة القيود على حرية اليهود وهكذا اكتسبوا حقوقهم وغدوا كالفرنسيين وتسللوا إلى كافة مرافق الدولة المهمة والحساسة مما دفع القس ليمان أن يكتبَ في كتابه

"السيطرة اليهودية": بعد أن تسلح اليهود بقانون حقوق الإنسان انقضوا كخفافيش الظلام على خلايا الشهد التي عملت الأجيال الفرنسية على ملئها .بمضمون رحيقها دون رحمة أو شفقة بينما كانوا يكيلون لأصحابها أقذر الشتائم والسباب كالتي وجهها لامند في خطابه أمام المحفل الماسوني (معبد الحقيقة) قائلاً "إن كل الأديان عدا الدين العبراني هي أديان مخادعة ومهينة للقيم الإنسانية ومذلة للرب".

الثورة الفرنسية واليهود:

بدأ اليهود يستعيدون شيئاً من كرامتهم وحقوقهم مع الثورة الفرنسية فاستظلوا بقانون حقوق الإنسان ليحصلوا على حقوقهم التي حرموا منها وبدؤوا مع ذلك بإزالة الجيتوات وبدؤوا التجمع على شكل سنهدرين وعادوا إلى التقليد اليهودي واجتماعهم العلني.

ومع ذلك وبالرغم من النقلة النوعية في حصولهم على حقوقهم في فرنسا بعد الثورة الفرنسية فقد بدؤوا المعاناة مرة أخرى في روسيا وأُكرانيا ومع قيام النازيين بمطاردتهم وقتلهم في ألمانيا.

نابليون واليهود

نداء نابليون لعودة اليهود إلى فلسطين:

بعد هزيمته أمام أسوار عكا وجه نابليون نداءه المعروف إلى يهود العالم في ١٧٩٩/٥/٢٢ دعاهم فيه إلى العودة إلى فلسطين والقتال معه من أجل تحرير القدس والعودة إلى أرض الميعاد كما عمل نابليون عام ١٨٠٧ على إعادة تشكيل مجلس السنهدرين الذي ضم في أروقته ممثلين ليهود أوروبا ورؤساء طوائفهم وعمل على تحويل أنظار اليهود نحو فلسطين خدمة لمطامعه في الشرق وكان من قرارات مجلس السنهدرين القرار الثالث والذي نص على ضرورة إيقاظ وعي اليهود إلى حاجتهم للتدريب العسكري لكي يتمكنوا من واجبهم المقدس الذي يحتاج له دينهم **وفكّر**

نابليون بضرورة وجود كيان يفصل سوريا عن مصر للسيطرة علـــى المنطقـــة استعمارياً، لأنه كان يؤمن أن من يسيطر على الشرق الأوسط يـــسيطر علـــى العالم، ومن هنا كان انطلاقه إلى مصر كنقطة انطلاق لهذا الهدف، فأصدر دعوتـــه لليهود بالعودة إلى أرض الأجداد والآباء وإعادة بناء مجد إسرائيل الضائع في القدس تمهيداً لتحقيق أحلامه ببناء إمبراطورية فرنسية في الشرق واستغلال اليهود في التأثير على الدولة العثمانية لمصلحته، إلا أنه أخفق وعاد منهزماً إلى بلاده.

وجاء في خطاب نابليون الذي وجهه لليهود "من نابليون بونـــابرت القائـــد الأعلى للقوات المسلحة للجمهورية الفرنسية في إفريقيا وآسيا إلى ورثة فلـــسطين الشرعيين، أيها الإسرائيليون، أيها الشعب الفريد الذي لم تـــستطع قـــوى الفـــتح والطغيان أن تسلبه نسبه ووجوده القومي وإن كانت قد سلبته أرض الأجداد فقط إن مراقبي مصائر الشعوب الواعين المحايدين وإن لم تكن لهم مقدرة الأنبيـــاء مثـــل أشعيا ويوئيل قد أدركوا ما تنبأ به هؤلاء بإيمانهم الرفيع من أن عبيد الله سيـــسعون إلى صهيون وهم ينشدون، وسوف تعمهم السعادة حين يستعيدون مملكتـــهم دون خوف، انهضوا بقوة أيها المشردون في التيه إن أمامكم حرباً مهولة يخوضها شعبكم بعد أن اعتبر أعداؤه أن أرضه التي ورثها عن الأجداد غنيمة تقسم بينهم حـــسب أهوائهم، لا بد من نسيان ذلك العار الذي أوقعكم تحت نير العبودية، وذلك الخزي الذي شل إرادتكم لألف سنة، إن الظروف لم تكن تسمح بـــإعلان مطـــالبكم أو التعبير عنها بل إن هذه الظروف أرغمتكم بالقسر على التخلي عن حقكم، ولهـــذا فإن فرنسا تقدم لكم يدها الآن حاملة إرث إسرائيل، وهي تفعل ذلـــك في هـــذا الوقت بالذات وبالرغم من شواهد اليأس والعجز، إن الجيش الذي أرسلتني العنايـــة الإلهية به ويمشي بالنصر أمامه وبالعدل وراءه قد اختار القدس مقراً لقيادته وخلال بضعة أيام سينتقل إلى دمشق المجاورة التي استهانت طويلا بمدينـــة داود وأذلتـــها،

يا ورثة فلسطين الشرعيين، إن الأمة الفرنسية التي لا تتاجر بالرجال والأوطان، كما فعل غيرها تدعوكم إلى إرثكم بضمانها وتأييدها ضد كل الدخلاء.

انهضوا وأظهروا أن قوة الطغاة القاهرة لم تخمد شجاعة أحفاد هؤلاء الأبطال الذين كان تحالفهم الأقوى شرفاً لأسبرطة وروما وأن معاملة العبيد التي طالت ألفي سنة لم تفلح في قتل هذه الشجاعة، سارعوا، إن هذه هي اللحظة المناسبة، التي قد لا تتكرر لآلاف السنين للمطالبة باستعادة حقوقكم ومكانتكم بين شعوب العالم تلك الحقوق التي سلبت منكم لآلاف السنين وجودكم السياسي كأمة بين الأمم، وحقكم الطبيعي المطلق في عبادة إلهكم يهوا طبقاً لعقيدتكم .

وافعلوا ذلك في العلن وافعلوه إلى الأبد"[1].   **التوقيع**

نابليون بونابرت

ولكن بالرغم من هذا الشعور المتعاطف مع اليهود، وإن كان دافعه الحقيقي مصلحة فرنسا وليس اليهود، وبعد أن وعى نابليون حقيقة اليهود ومؤامراتهم اجتمع بوزراء حكومته بتاريخ ٣ نيسان ١٨٠٦ وبحث معهم السيطرة اليهودية في فرنسا قائلاً: ليس بوسع الحكومة الفرنسية السكوت بعد الآن عن استهتار اليهود بوجودها ولن تسمح لهم أن يثابروا على اقتراف جرائمهم القذرة بحق شعبها ولن نرضى بعد اليوم أن يبقى نفوذهم يخيم على أجمل مقاطعاتها الألزاس المتاخمة للحدود الشرقية، أيها السادة إن الوضع الحالي لهذا الشعب الحقير في بلادنا هو وضع دولة ضمن دولة يعمل ما يرغب ويشاء ولذا أرى أن تسرع الدولة إلى تجريده من ملكية هذه المقاطعة ومنع مرابيه من تعاطي مهنة ارتهان الأراضي هذه المهنة الرهيبة التي مكنته من الاستيلاء على أكثر الأملاك الفرنسية.

---

(١) وقد قيل أن باعث نابليون على ذلك كان محاولة استمالة وزير مالية وتموين عكا الذي كان من الجالية اليهودية.

أيها السادة إن هناك قرى عديدة أخليت من سكانها وسلمها القضاء إلى اليهود مقابل دريهمات قليلة كان أصحابها الفلاحون قد استدانوها منهم بفوائد مالية ولما عجزوا عن سدادها في وقتها المحدد، قاضاهم اليهود وسلخوا عنهم أملاكهم ومن ثم طردوهم من أرض آبائهم وأجدادهم فهل يعقل أن تسكت الحكومة عن هذا الاحتلال القذر؟؟!

هل ترضون أن يترك حبل الخداع اليهودي على غاربه حتى اليوم الذي لا يبقى فيه فرنسي واحد في الوطن؟ أيها السادة ألا تشعرون معي بهذا الخطر؟ ألا يضركم أن تظل مفاتيح الألزاس وسترازبورغ في أيدي هذا الشعب المؤلف من الخونة والجواسيس؟ ولهذه الأسباب وضمانا لسلامة أمتنا أطلب منكم أن توافقوا على اقتلاع جذور هذا الشعب اللئيم من أرض وطننا المفدى.

وكان نابليون يسمي اليهود بالشيطان وقال فيهم يجب ألا ينظر إلى اليهود كعنصر متميز بل كغرباء، وسيكون إذلالا مرّاً لنا أن نحكم هؤلاء وهم أذل شعب على وجه الأرض وكتب إلى أخيه جيروم ملك وستفاليا قائلاً: ما من عمل أكثر خسة يمكنك فعله أكثر من استقبالك اليهود، لقد قررت إصلاحهم ولكني لا أريد زيادتهم في مملكتي وقد فعلت كل ما يمكن أن يبرهن على احتقاري لأخطر شعب على الأرض.

ويتابع نابليون: لهم عقيدة تبارك سرقاتهم وأفعالهم السيئة، يجب منع اليهود من ممارسة التجارة كما نمنع الصانع الذي يغش الذهب من ممارسة مهنته، اليهود جراد فرنسا الذي سيبيدها.

ومن المفارقات تغير موقف نابليون مرة ثانية وانقلابه على نفسه عندما أعلن أنه سيعمل ما بوسعه ليتمكن اليهود من المحافظة على مكاسبهم ليتسنى لهم العيش بسلام حتى ينسوا آلامهم القديمة الناجمة عن ترك وطن كنعان وغدت فرنسا تاليا مزرعة يهودية في عهده وقد كان للماسون وتعاليمه أكبر الأثر على انقلابه هذا.

كما كانت حاجته للمال للصرف على جنوده وحروبه الخارجية سببا آخر من أسباب انقلابه هذا لصالح اليهود.

سقوط نابليون ودور اليهود في هزيمته:

في الوقت الذي لم تكن فيه هزيمة نابليون في روسيا عام ١٨١٢ بسبب البرد والثلج، و لم تكن هزيمته في معركة واترلو عام ١٨١٥ بسبب ضعف جنوده.

كان السبب تآمر اليهود عليه وتربصهم بجنوده وبجرحى حملته أثناء تراجعهم عن موسكو، فقاموا بتنفيذ الخطة التي رسموها لهؤلاء الجرحى إذ أبادوهم جميعاً ويقدر عددهم بمئات آلاف المسيحيين بعد أن كانوا قد عملوا على قطع خطوط الاتصال الذي منع وصول المؤن والذخائر إلى الجيش كما كانت هزيمته في واترلو عام ١٨١٥ بسبب تآمر اليهود عليه وتحالفهم مع البلجيك حلفاء بريطانيا، حيث قام ناثان روتشيلد قطب المال اليهودي بنقل كل أفكار وخطط نابليون إلى البلجيك حلفاء بريطانيا مما أوقع الهزيمة في جيشه.

أما ناثان روتشيلد قطب المال اليهودي فقد تدبر أمره وجعل أخوته ملوك المال في أوروبا وأصبحوا السلطة النافذة الخفية.

وكانت سويسرا مركزاً لقيادتهم وقرروا بالتالي جعل سويسرا محايدة وعدم زجها بأي من المنازعات ضماناً لسلامتهم وسلامة أموالهم، حيث بدؤوا حياكة المؤامرة، وكانت وسيلتهم الاقتصادية المعروفة هي التحكم بمرافق الدولة وأذرعها المالية والسيطرة على مصانع السلاح والأدوية وصناعة السفن والمناجم وأفران الفولاذ.

وكانت تلك الطرق المتبعة في إسقاط كافة الحكومات المعادية لليهود وخلاصة تلك الخطط الخبيثة كانت في زرع العملاء السريين في المراكز الرئيسة لشعب الجيش من تجهيز ومواصلات واستخبارات وبالتالي إثارة الاضطراب والفوضى فيما أسموه حديثاً الفوضى الخلاقة وهي نفس الأساليب التي اتُّبعت في الثورة الإسبانية عام

١٩٣٦ والثورة الشيوعية عام ١٩١٧ وفي إلحاق الهزيمة بالجيش الألماني عام ١٩١٨ وهزيمة هتلر في روسيا في الحرب العالمية الثانية وهم في أساليبهم الخبيثة في إشـعال الفتن والاضطرابات في الدول فإنهم أوجدوا واحداً من الأصول الأساسية في التخطيط الثوري في تطوير الأَحداث الصغيرة حتى تصبح أعمال شغب، والتسبب في إحداث مواجهة فعلية بين الشعب والشرطة ثم الجيش والشعب والمفسدين المندسين تماماً كما تم استغلال قضية كتابة الشعارات على الجدران في درعا في سوريا عام ٢٠١١ ليتم تطويرها إلى حركة تمرد واسعة في كافة أنحاء سوريا من أجل تدمير سوريا وهو ما حدث في مصر في ٢٠١٠/٦/٦ عندما تم استغلال حادثة مقتل الطالب خالد سعيد في الإسكندرية للتحريض ضد الدولة وإثارة القلاقل لتدمير المجتمع.

ولعل في إشعال مجزرة الأحد الدامي في ١٩٠٥/١/٢٢ في روسيا مثالاً آخر على ذلك فقد قامت أعمال شغب في ١٩٠٥/١/٢ في معامل بوتيلوف الضخمة في بطرسبرج ودعي للإضراب العام - إلا أن الأب جابون - عمل على حل المشكلة سلمياً عندما نظم مسيرة في ١٩٠٥/١/٢٢ إلى القصر اشترك فيها آلاف العمال وأُسرهم وزوجاتهم وأولادهم وعند وصول المسيرة إلى أبواب القصر انهالت عليهم زخات الرصاص من كل حدب وصوب حاصدة العمال وأُسرهم وناشرة الفوضى حيث تبين أن القيصر نيقولا الثاني لم يكن متواجداً لا في القصر ولا حتى في المدينة وتبين أن ضابطاً في الحرس هو الذي أصدر القرار بإطلاق النار لتكون الشرارة التي تدير محرك المؤامرة.

وعمل اليهود على إثارة وإشعال الحرب بين روسيا واليابان عام ١٩٠٤ عندما فرض أصحاب المال اليهود الحظر على تمويل روسيا بالمال وفرضوا عليها عقوبات اقتصادية وجرّوها إلى حافة الإفلاس ومع اشتعال الحرب نكث آل روتشيلد بوعودهم بالمساعدة في حين أنهم تولوا من خلال شركة كوهن بوب وشركائها في نيويورك إمداد اليابان بكل القروض التي طلبتها.

اليهود في روسيا:

بعد أن تولى القيصر إسكندر الثاني العرش عام ١٨٥٥ سنّ كثيراً من القوانين التي جاءت لمصلحة اليهود ورفع القيود عنهم وسمح لهم بتولي المناصب ولكن هل أثمر ذلك مع اليهود؟

كانت النتيجة عكسية إذ خشي أقطاب اليهود أن تؤدي هذه السياسة إلى ذوبان اليهود في المجتمع وبالتالي الإفلات من سيطرة قادهم عليهم فعملوا على بث الفوضى والفتن وهذا ديدهم في كافة أماكن وجودهم.

وخططوا لقتل القيصر، ففشلت أول محاولة لذلك عام ١٨٦٦ وفشلت المحاولة الثانية عام ١٨٧٩، ونجحت الثالثة في ١٨٨١/٣/١٣ بعد أن نجحوا في استدراجه وتوريطه مع غانية يهودية اسمها هسيا هلفمان في مؤامرة تم خلالها قتل أكثر من ثلاثين ألفاً من الشعب.

وكانت خطة المؤامرة ترمي إلى إشعال الفتنة والحرب بين روسيا وبريطانيا لإنهاكهما عسكرياً واقتصادياً وبالتالي سيسهل ذلك السيطرة على مقدرات الدولتين عن طريق مزيد من القروض والمزيد من الفوائد والإنهاك الاقتصادي وكانت الصحافة اليهودية تبذل قصارى جهدها لإشعال تلك الحرب بين الدولتين لاسيما الصحافة اليهودية في الإمبراطورية النمساوية في فينا العاصمة.

بعد مقتل القيصر إسكندر الثاني صدرت قوانين صارمة من قبل حكومة إسكندر الثالث ضد اليهود عرفت بقوانين مايو والتي نصت على أحكام وقوانين قاسية ضد اليهود الأمر الذي حدا بهم مرة أخرى إلى الهجرة خارج روسيا إلى أوروبا الغربية والشرقية وهولندا والولايات المتحدة وكانت هذه الهجرة هي البدايات العملية الرئيسة لهجرة اليهود إلى فلسطين حيث انتشرت المنظمات التي كانت تنظم وتساعد وتمول الهجرة إلى فلسطين.

اليهود في إسبانيا:

لم تكن أخلاق اليهود في بريطانيا وممارساتهم المالية فيها بأحسن منها في إسبانيا.

فقد تمكن المرابون اليهود في القرن السادس عشر الميلادي من الاتفاق مع الحكومة على جباية الضرائب من عامة المواطنين ضماناً للقروض التي كانوا يمنحونها للدولة الأمر الذي أثار حنق وغضب عامة الناس عليهم فهب الشعب على إثرها بصورة جماعية لارتكاب مجزرة دموية تميزت بالفظاظة انتقاماً للثأر من جرائم المرابين اليهود وموجهيهم من النورانيين.

واليهود الأسبان هم أصل اليهود السفارديم - الشرقيين - نسبة إلى سفارد إسبانيا بالعبرية.

اليهود في ألمانيا:

هتلر واليهود ١٨٨٩ - ١٩٤٥:

كان فيما كتبه هتلر عن اليهود خير وصف لأساليب اليهود ومخططاتهم في السيطرة على الاقتصاد واحتوائه عن طريق الإقراض بالربا الفاحش الأمر الذي أعاد الكرَّة في السيطرة على الأملاك المرهونة لديهم وبالتالي المزيد من التحكم في مفاصل الاقتصاد.

إضافةً إلى استغلالهم الرذيلة ودور الدعارة والملاهي والحانات والأفلام الهابطة والخليعة وسيلة لهدم أخلاق الناس وانتشار الزنا والخنا في المجتمع الألماني.

وقد وضّح هتلر أن الصراع الذي احتدم في ألمانيا بين البروتستانت والكاثوليك هو من فعلهم وهم الذين أشعلوا نيران الحرب العالمية[١].

---

(١) تماماً كما فعلوا في القرن الواحد والعشرين عندما بثوا بذور الفتنة بين السنة والشيعة تحت ستار الربيع العربي متواطئين متآمرين مع أفراد العائلات الحاكمة الرجعية والمتآمرة معهم ومع الصليبية العالمية لهدم المجتمعات العربية والإسلامية.

أليسوا هم اليهود الذين كانوا يتحالفون مع ملوك أوروبا ضد شعوبها ونبلائها وها هم يتحالفون مع ملوك وأمراء العرب.

ومن مقولاته في اليهود:

لقد اضطررت لسد أنفي كل مرة ألتقي أحد لابسي القفطان لأن الرائحة التي تنبعث من أردائهم تنم عن العداء المستحكم بينهم وبين الماء والصابون ولكن قذارتهم المادية ليست شيئاً مذكوراً بالنسبة إلى قذارة نفوسهم فقد اكتشفت مع الأيام أن ما من فعل مغاير للأخلاق وما من جريمة بحق المجتمع إلا ولليهود فيها يد.

ومن أقوال هتلر أيضاً: إن ذكاء اليهود متجه دوماً نحو الهدم والتخريب فهم وإن فعلوا خيراً أحياناً فعن غير قصد لأنهم يعتقدوا فيه الشر بفعله.

لقد عد هتلر التغلغل اليهودي في الوسط الاجتماعي الألماني بمثابة طاعون خلقي أدهى وأخطر من الطاعون الأسود لا بل وأشد فتكاً نظراً للسلوكية المنحرفة ذات القيم التي كانوا يمارسون احترافها لترويج الدعارة والاتجار بالرقيق الأبيض وقال فيهم:

لقد سرت القشعريرة في جسدي عندما اكتشفت أن اليهودي هذا المخلوق الذي يتظاهر بالوداعة خداعاً هو الذي يستثمر البغاء السري والعلني ويجعل منه تجارة رائجة ورابحة، وحدا به موقفه المعروف من اليهود القول أيضاً:

إنني متصرف حسب ما يشاء العلي القدير خالقنا لأنني بدفاعي عن نفسي ضد اليهودي إنما أناضل في سبيل الدفاع عن عمل الخالق[1].

أما على مستوى ألمانيا بشكل عام فقد تولى عدد من اليهود الألمان دعم عودة اليهود إلى فلسطين بأنفسهم ففي عام ١٨٩١ صدرت كراسة بعنوان أين نذهب باليهود الروس "كان اليهود الروس قد بدؤوا حملة هجرة واسعة إلى أوروبا وأمريكا بعد أحداث مقتل القيصر إسكندر الثاني عام ١٨٨١ وتدفقوا على أوروبا وأمريكا الأمر الذي بدأ يخلق قلاقل ومشاكل جديدة في أوروبا".

---

(١) كفاحي - إدولف هتلر - ترجمة لويس الحاج - ص ٢٩، ٣٠.

وهكذا كان الحل حسب وجهة نظرهم فكان الجواب هو ذهاب اليهـــود إلى فلسطين وسوريا وكان ذلك من قبل الكاتب اليهودي بردهايمر الذي وجه نـــداءً تحت عنوان "يا صهيونيي العالم اتحدوا" حيث تضمن الكراس مشروعاً لاســـتيطان فلسطين وإنشاء السكك الحديدية فيها تحت رعاية ألمانيا، وفي عام ١٨٩٣ صـــدر كتاب البعث الثقافي للشعب اليهودي في أرضه للكاتب اليهودي ناتان بترونيـــاوم يدعو إلى استعمار فلسطين كوسيلة لحل المشكلة اليهودية، وفي عام ١٨٩٣ انعقـــد أول مؤتمر يهودي في برلين في ألمانيا وتقرر إنشاء منظمة موحدة وتأسيس صندوق مالي لتشجيع الاستيطان اليهودي في فلسطين.

اليهود والدولة العثمانية:

هاجر آلاف اليهود بعد سقوط الأندلس إلى الدولة العثمانية هاربين من محاكم التفتيش، وكان السلطان بايزيد الثاني على رأس السلطة العثمانية عندما تقـــدم لـــه حاخام من اليهود في أوروبا طالباً السماح لهم في الهجرة إلى تركيا وقد لبى لهم ذلك دون قيد أو شرط، وقام المجاهد الكبير باربروسا الذي حول البحـــر الأبـــيض إلى حوض عثماني بتهريبهم من إسبانيا إلى تركيا هرباً من محاكم التفتيش.

امتيازات الحماية للدول الأوروبية داخل الدولة العثمانية وتطويعها لخدمة اليهود:

تعتبر فترة الحكم المصري لبلاد الشام الممتدة من ١٨٣١-١٨٤٠ فترة العصر الذهبي لليهود والحركات الصهيونية اليهودية الداعمة للعودة إلى فلـــسطين فمـــع احتلال إبراهيم باشا لبلاد الشام تنبهت الدول الأوروبية لأهمية فلسطين وربطها بين مصر والشام وسارعت إلى مكافحة محمد علي وابنه إبراهيم باشا وألزمته بـــالجلاء عن بلاد الشام مقابل ضمان الحكم لأسرته في مصر، وفي المقابل اتخذت الإجراءات العملية للنفاذ إلى فلسطين لإحكام سيطرتها عليها والضغط على الدولة العثمانية.

وسارعت بريطانيا إلى فتح قنصلية لها في فلسطين في مدينة القدس عام ١٨٣٨

والتي وجهت معظم جهودها ونشاطها لحماية اليهود في فلسطين وخدمتهم، حيث كان وليم ت يونج أول قنصل لها في القدس وكان من توجيهـات بالمرسـتون إلى قنصله في القدس: سيكون جزءاً من واجباتك كنائب قنصل بريطاني في القدس أن توفر الحماية لليهود بصفة عامة وسوف يكون عليك في أقرب فرصة الإبلاغ عـن الوضع الحالي للسكان اليهود في فلسطين، وتبعتها ألمانيا التي افتتحت قنصليتها عام ١٨٤٢، وافتتاح ست قنصليات غربية خلال خمس سنوات أمر له دلالته في تنبيـه الغرب الصليبي إلى أهمية السيطرة على فلسطين وإضعاف العرب وكانـت تلـك القنصليات الإسفين الذي دق في نعش الدولة العثمانية وفَرضَت على الدولة العثمانيـة اتفاقيات حماية لرعاياها الذين يتمتعون بحماية قنصليات بلادهم إلى حد أن تلـك القنصليات تحولت لرعاية مصالح الأقليات الدينية فتبنت كل قنصلية أقلية أو أكثـر لحمايتها، إذ تبنت فرنسا الموارنة الكاثوليك، وتبنت روسيا الأرثـوذوكس، وتبنـت بريطانيا البروتستانت والدروز وشيوخ الخليج بالإضافة إلى أن جميـع القنـصليات الأجنبية كانت تخدم وتتعاطف مع اليهود ومصالحهم، وقد تحولت تلك الأقليات إلى طابور خامس وعميل للدول الراعية ساهم في إضعاف ثم إسقاط الدولة العثمانيـة ومن ثم تسهيل السيطرة على فلسطين، وتسليمها لليهود وأكثر من ذلك فقد كانت بعض القنصليات كالقنصلية البريطانية تمنح الجنسية لليهود القـادمين إلى فلـسطين وبالذات من روسيا لتعزيز تواجدهم في فلسطين وتسهيل السيطرة عليها إمعانـاً في الحقد الصليبـي على المسلمين.

وقد بلغ من نفوذ تلك القنصليات في الدولة العثمانية أن أصبحت دولة داخل دولة فتمسك القناصل الأجانب بالامتيازات الأجنبية جعل منهم قوة تصدت للدولة العثمانية أمام محاولة الأخيرة سن القوانين والفرمانات التي تحد من الهجرة اليهوديـة إلى فلسطين وكان هؤلاء القناصل يحتجون ويتـدخلون في وقـف تنفيـذ تلـك الفرمانات والقوانين أو حتى إلغائها لمصلحة اليهود.

وقد حصلت الدول الأوروبية عام ١٨٨٨ على امتياز يسمح لليهود بالإقامة في فلسطين إفرادياً أو جماعياً مع عدم التأكد من هوية مشتري الأراضي وهما أمران ساعدا بشدة على انهيار جميع القرارات والقيود العثمانية على الهجرة اليهودية إلى فلسطين.

وقد كانت هذه الامتيازات للقنصليات والبعثات الأوروبية غطاءً لفرض مؤثرات ثقافية وبوابة لحملات صليبية في شكلها الحديث (بدون جنود) للسيطرة الاستعمارية والاقتصادية والثقافية ما زلنا نشهد تداعياتها على العالم العربي والإسلامي حتى الآن.

حرب القرم ودورها في امتيازات أوروبا واليهود في الدولة العثمانية:

اندلعت حرب القرم بين كل من روسيا والدولة العثمانية التي ساندتها كل من بريطانيا وفرنسا ذلك لرغبة روسيا بالسيطرة على شبه جزيرة القرم التي كانت تحت السيطرة العثمانية ضمن منطقة البلقان واستمرت الحرب مدة ثلاث سنوات ومع انتهاء الحرب عام ١٨٥٦ التي أسفرت عن توقيع معاهدة باريس عام ١٨٥٦ والتي تعهدت فيها كل من روسيا والدولة العثمانية بعدم توقيع أي تعاقد بينهما إلا بموافقة بريطانيا وفرنسا كما تعهدت السلطات العثمانية بالمحافظة على حقوق اليهود والمسيحيين الدينية ومنحهم حكماً ذاتياً وجرى توسيع نظام الحماية حتى أصبح الكثيرون من سكان الإمبراطورية بمثابة مواطنين للدول الأجنبية التي تتولى حمايتهم بواسطة قناصلها المنتشرين في كافة أنحاء الإمبراطورية، مع ملاحظة أن السلطات العثمانية كانت قد منحت امتيازات الحماية سنة ١٧٣٥ لفرنسا وسنة ١٨٣٠ لبريطانيا وهولندا والنمسا وروسيا وألمانيا والولايات المتحدة مما ترتب على تلك الامتيازات أن توجه آلاف اليهود للسفارات الغربية وبالذات الألمانية والبريطانية لطلب الحماية وأصبحوا مواطنين للدول مانحة الحماية من الناحية الفعلية وازداد مع ذلك بناء الكنائس والأديرة المسيحية في أماكن مختلفة لاسيما بعد اجتياح جيش إبراهيم باشا للدولة العثمانية فافتُتِحَت السفارة البريطانية في القدس

سنة ١٨٣٨ وافتتحت القنصلية الألمانية عام ١٨٤٢ وكانت تمنح الحماية الألمانية لكل من يطلبها.

وبالرغم من التسهيلات التي حصل عليها اليهود في ظل الدولة العثمانية من حقوق مواطنة أو إقامة أو حماية من قبل الدول الأوروبية الصليبية إلا أنهم وعندما اشتد عودهم في تركيا أسسوا حزب تركيا الفتاة عام ١٩١٣ ومن بعده حزب الاتحاد والترقي وقد ازداد نشاطهم بعد انقلاب عام ١٩٠٩ على حكم السلطان عبد الحميد الثاني حيث دخلت تركيا الحرب العالمية الأُولى وكان توريط تركيا في الحرب العالمية هدفا من أهدافهم لإسقاطها وتسهيلاً للاستيلاء على فلسطين بعد ذلك وقد كان.

أميركا واليهود:

نظراً لاستعمار بريطانيا لأميركا فإن التراث الديني الأميركي استمد أصوله من المذهب البروتستانتي الذي تدين به بريطانيا، والذي نشأ مع حركة الإصلاح الديني التي قادها مارتن لوثر في القرن السادس عشر ضد الكنيسة الكاثوليكية في روما كما أن المهاجرين الأوائل إلى أميركا كانوا من الإنجليز البروتستانت الهاربين من الاضطهاد الديني في بلادهم.

وقد ساعد التغيير الجوهري الذي أحدثه مارتن لوثر في تفكير أتباعه حيال اليهود وساعد في تعاطفهم مع اليهود وسعيهم لتحقيق آمالهم في العودة إلى أرض فلسطين قبل ظهور الحركة الصهيونية بأربعة قرون.

ولهذا يصف الكثير من المؤرخين أن هذه الحركة ساهمت في بعث اليهود من جديد.

وبالرغم من التيار الفكري البروتستانتي السائد في أميركا وموقف البروتستانت المتعاطف والمتداخل مع اليهود إلا أنه كانت هناك مواقف أميركية متباينة بين معارض ومؤيد لليهود وأطماعهم نورد منها:

رأي الرئيس الأميركي بنيامين فرانكلين في اليهود:

ألقى الرئيس فرانكلين خطبة في لجنة وضع الدستور الأميركي (مجلس الثورة التأسيسي) عام ١٧٨٩ أشار فيها إلى خطر اليهود على شعوب العالم عامة وعلى أميركا خاصة قائلاً:

أيها السادة، لا تظنوا أن أميركا نجت من الأخطار بمجرد أن نالت استقلالها فهي ما زالت مهددة بخطر جسيم لا يقل خطورة عن الاستعمار وهذا الخطر سوف يأتينا من جراء تكاثر عدد اليهود في بلادنا، وسيصيبنا ما أصاب البلاد الأوروبية التي تساهلت مع اليهود، وتركتهم يستوطنون في أرضها، إذ إن اليهود بمجرد تمركزهم في تلك البلاد، عمدوا إلى القضاء على تقاليد ومعتقدات أهلها، وقتلوا معنويات شبابها، بفضل سموم الإباحية وغير الأخلاقية التي نفثوها فيهم، ثم أفقدوهم الجرأة على العمل، وجعلوهم يترعون إلى التقاعس والكسل، بما استنبطوه من الحيل لمنافستهم في كسب لقمة عيشهم، وبالتالي سيطروا على اقتصاديات البلاد، وهيمنوا على مقدراتها المالية، فأذلوا أهلها وأخضعوهم لمشيئتهم، ومن ثم أصبحوا سادةً عليهم، مع أنهم يرفضون الاختلاط بالشعوب التي يعايشونها، حتى بعد أن يكتموا أنفاسهم، فهم يدخلون كل بلد بصفة دخلاء مساكين وما يلبثون أن يمسكوا بزمام مقدراتها، ومن ثم يتعالون على أهلها، وينعمون بخيراتها دون أن يجرؤَ أحد على صدهم عنها.

وقد رأينا في الماضي كيف أذلوا أهل إسبانيا والبرتغال، وما يفعلون الآن في بولونيا وسواها من البلاد، ومع كل هذا جعلوا التذمر شعارهم حيث وجدوا، والتشكي ديدنهم، فهم يزعمون أنهم مضطهدون طالما كانوا مشردين ويطالبون بالعودة إلى فلسطين، مع أنهم لو أمروا بالعودة إليها لما عاد واحد منهم إلى فلسطين ولظلوا جميعاً حيث هم! أتعلمون أيها السادة لماذا؟

لأنهم أبالسة الجحيم، وخفافيش الليل، ومصاصو دماء الشعوب، فلا يمكنهم أن يعيشوا مع بعضهم بعضاً لأنهم لم يجدوا فيما بينهم من يمتصون دمه؟ ولهذا

يفضلون البقاء مع الشعوب الشريفة التي تجهل أساليبهم الشيطانية ويثابرون على امتصاص دماء أبنائها، ولينهبوا من خيراتها والأسباب التي أوضحتها لمجلسكم الموقر أتوسل إليكم أيها السادة أن تسارعوا باتخاذ هذا القرار، وتطردوا هذه الطغمة الفاجرة من البلاد قبل فوات الأوان ضناً بمصلحة الأمة وأجيالها القادمة وإلا سترون بعد قرن واحد أنهم أخطر مما تفكرون وأنهم قضوا على مجتمعاتنا.

وثقوا أنهم لن يرحموا أحفادنا بل سيجعلونهم عبيداً في خدمتهم بينما هم يقبعون خلف مكاتبهم يتندرون بسرور بالغ بغبائنا، ويسخرون من جهلنا وغرورنا، أيها السادة، أرجو أن لا يجنح مجلسكم الموقر إلى تأجيل هذا القرار وإلا حكم على أجيالنا القادمة بالذل والفناء.

أيها السادة، لا تظنوا أن اليهود سيقبلون يوماً الانصهار في بوتقتكم أو الاندماج في مجتمعكم، فهم من طينة غير طينتنا ويختلفون عنا في كل شيء، وأخيراً أهيب بكم، أن تقولوا كلمتكم الأخيرة، وتقروا طرد اليهود من البلاد، وإن أبيتم فثقوا أن الأجيال القادمة ستلاحقكم باللعنات وهي تئن تحت أقدام اليهود...[1].

وقد قام المجلس التأسيسي برد هذا المشروع، رغم المناشدة من بطل التحرير الأميركي، ولم يعمل على إقراره، لأن العناصر اليهودية قد اندست في هذا المجلس عن طريق الجمعيات اليهودية ذات الطابع السري، وعلى وجه الخصوص (الماسونية منها) لهذا نجد أن هذا النداء قد سقط من حساب المجلس، وانتصرت القوة الخفية التي تساند اليهود الذين استمروا يعيثون في أميركا فساداً إلى وقتنا الحاضر حيث صحت وصدقت نبوءة أو رواية فرانكلين.

وبالرغم من موقف الرئيس بنيامين فرانكلين ومعرفته بحقيقة اليهود إلا أنه كان هناك العديد من الكتاب ورجال الدين المسيحي المتحمسين والمغالين في تأييد اليهود ودولتهم إسرائيل نذكر منهم:

---

(١) يونس محمد إبراهيم - الدوافع العدوانية في النفسية الصهيونية - ص ١٧٩ - ١٨٠.

هنري فورد/ وبروتوكولات حكماء صهيون ١٨٦٣/٦/٣٠- ١٩٤٧/٧/٤

نشرت صحيفة النيويورك وورد مقابلة مع إمبراطور صناعة السيارات هنري فورد بتاريخ ١٩٢١/٢/١٧ نقل عنه قوله "إن أهم شيء أريد أن أقوله عن البروتوكولات هو أن ما جاء فيها يتطابق مع ما يجري اليوم لقد مضى على ظهورها ستة عشر عاماً وما زالت تتوافق مع الوضع الدولي حتى الآن".



الفصل الخامس

الدعم الأميركي البريطاني لليهود



الدور الأميركي في دعم الصهيونية:

توزع الدور الأميركي في دعم الحركة الصهيونية وعودة اليهود إلى فلسطين على مستويين، المستوى الفردي الديني، والمستوى السياسي الحكومي:

*** أولاً: على المستوى الفردي - الديني:**

١- بلا كستون - وليم بلاكستون ١٨٤١ -١٩٣٥:

كان من أبرز رجال الدين المنتمين إلى الميثوديست أو المنهاجيين الذين نادوا بعودة اليهود إلى فلسطين القس وليام بلاكستون الذي مارس الضغط المؤسسي على صانعي القرارات الأميركية خدمة للأهداف الصهيونية.

كانت توجهات بلاكستون دينية نابعة من التوراة التي تقول بعودة اليهود إلى فلسطين وظهور المسيح بعد ذلك.

فقد نشر في عام ١٨٧٨ كتابه يسوع قادم وكان أخطر منشور للدعوة الصهيونية المنادية بعودة اليهود إلى فلسطين أرض كنعان وقد أشاد في كتابه عام ١٩٠٨ باليهودية وعودة اليهود إلى فلسطين كإشارة إلى نهاية الزمن وظهور المسيح.

وقد أسس عام ١٨٨٧ في شيكاغو منظمة اسمها البعثة العبرية نيابة عن إسرائيل والتي نادت بعودة اليهود إلى الأراضي المقدسة واستمرت المنظمة في عملها حتى الآن وغيرت اسمها إلى الزمالة اليسوعية الأميركية.

كما قام بلاكستون عام ١٨٩١ بتقديم مذكرة عرفت بمظلمة بلاكستون وقع عليها ٤١٣ أميركياً بارزاً ورفعها إلى الرئيس الأميركي بنجامين هاديسون

(١٨٨٩-١٨٩٣) إذ طالب في تلك المظلمة بتجميع اليهود في وطنهم فلسطين، ولاقت تلك العريضة تغطية إعلامية واسعة.

وقد كتب في عريضته "لماذا لا نعيد فلسطين لهم - اليهود - إنها وطنهم حسب توزيع الله للأمم، وهي ملكهم الذي لا يمكن تحويله لغيرهم الذي طردوا منه عنوة، لقد كانت أرضاً مثمرةً بفضل فلاحتهم لها، لماذا لا تعطي الدول التي أعطت بموجب معاهدة ١٨٧٨م بلغاريا للبلغاريين والصرب للصربيين، فلسطين لليهود؟" وقد تسلم الرئيس هاديسون العريضة "المظلمة" ووعد بأن يأخذها بعين الاعتبار.

واستمر بلاكستون في نشاطه حتى وفاته عام ١٩٣٥.

٢- دون بيرغوس:

من الأقوال الواردة على لسان دون بيرغوس أحد السفراء الأميركيين في السودان الدالة على مدى النفوذ اليهودي في أميركا:

إننا كنا في وزارة الخارجية نتدبر بأنه إذا أعلن يوماً رئيس وزراء إسرائيل أن الأرض مسطحة أصدر الكونجرس خلال ٢٤ ساعة قراراً يهنئه فيه على هذا الاكتشاف الجديد.

٣- السناتور جبسن:

ونقل عنه قوله: إن البركة والاطمئنان والنجاح الذي تنعم به أميركا إنما مصدره اليهود، إننا كرمنا اليهود الذين لجؤوا إلى هذه البلاد وبورك فينا لأننا دافعنا عن إسرائيل بانتظام وبورك فينا لأننا اعترفنا بحق إسرائيل في الأرض.

٤- السيناتور الأميركي جيري فالويل ١٩٣٣-٢٠٠٧:

وهو قس أميركي، كانت له مواقف مؤيدة لإسرائيل ومعادية للإسلام وهو زعيم منظمة الأغلبية الأخلاقية والصديق الشخصي لإسحاق شامير ومناحيم بيغن.

وكان من أقواله: لا أعتقد أن في وسع أميركا أن تدير ظهرها لشعب إسرائيل وتبقى في عالم الوجود وأن الرب يتعامل مع الشعوب بقدر ما تتعامل هذه الشعوب مع اليهود.

وأصدر كتاباً بعنوان جيري قالويل واليهود قال فيه: إن إسرائيل تحتل الآن مكان الصدارة في نبوءات الكتاب المقدس، وإني أؤمن أن عهد الوثنيين (يقصد العرب والمسلمين) قد ولى بسيطرة اليهود على الأراضي المقدسة في عام ١٩٦٧ أو أنه سينتهي في القريب العاجل.

وكان قالويل يقوم بتنظيم رحلات إلى فلسطين المحتلة للمسيحيين الذين ولدوا من جديد وكان يدير برنامجاً تلفزيونياً اسمه ساعة من أزمان الإنجيل تتم إذاعته من ٣٩٢ محطة تلفزيونية و ٥٠٠ محطة إذاعية.

وتقديراً لجهوده في دعم إسرائيل فقد منحه مناحم بيغن ميدالية أثناء مأدبة عشاء في نيويورك احتفالاً بالعام العبري الجديد.

٥- وارد كريون:

وهو قنصل أميركا في القدس قام بتأسيس مستوطنة زراعية في القدس وخطط لتأسيس مستوطنات أخرى وحاول الحصول على دعم زعماء اليهود وتحول عن ديانته المسيحية إلى اليهودية.

٦- دور القساوسة الأميركيين في دعم اليهود:

في فبراير عام ١٩٤٥ وقع خمسة آلاف قسيس بروتستانتي أميركي عريضة رفعوها إلى الحكومة ومجلس الأمة والكونجرس يطالبون فيها بفتح أبواب فلسطين على مصراعيها للهجرة اليهودية، وقد قامت وكالات الأنباء ومحطات الإذاعة والصحافة بدعاية واسعة النطاق لمشروع إنشاء دولة يهودية في فلسطين.

*** ثانياً: على المستوى السياسي الحكومي الأميركي:**

١- السفير ليو والاس ١٨٢٧ -١٩٠٥:

وهو محامي ودبلوماسي أميركي قام عام ١٨٨١ -١٨٨٥ بتقديم عدة مقترحات إلى وزارة الخارجية تقضي أن تكون فلسطين وطناً لليهود.

٢- الرئيس توماس وودرو ويلسون ١٨٥٦ - ١٩٢٤:

أما الرئيس ولسون فكان من أشد المتحمسين للدولة اليهودية وكان يقول عن نفسه أنه يجب على ابن راعي الكنيسة - يعني نفسه - أن يكون قادراً على المساعدة لإعادة الأرض المقدسة إلى شعبها اليهودي.

ولعب الرئيس ولسون دوراً رئيساً في صدور وعد بلفور فشارك في الاتصالات التي سبقت صدور الوعد وأعلن عن تأييده لمنح اليهود وطناً قومياً في فلسطين إذ صرح عشية صدور الوعد ((لن تصبح فلسطين مؤهلة للديمقراطية إلا إذا امتلك اليهود فلسطين كما امتلك العرب شبه جزيرتهم ويمتلك البولونيون بولونية)).

وفى عام ١٩١٨ قال ويلسون أعتقد أن الأمم الحليفة قد قررت وضع حجر الأساس للدولة اليهودية في فلسطين بتأييد تام من حكومتنا وشعبنا وبتاريخ ١٩١٨/٨/٣١ وبمناسبة العام العبري الجديد أعلن ويلسون موافقته الرسمية على وعد بلفور.

٣- جيمس ماديسون ١٧٥١ -١٨٣٦:

وهو الرئيس الرابع لأميركا للفترة ١٨٠٩ -١٨١٧، وكان شديد التدين وامتاز عن غيره من الرؤساء الأميركيين بإجادته للغة العبرية، وقام تحت تأثير الخلفية العبرانية بتعيين الداعية اليهودي الشهير مردخاي نوح، قنصلاً فخرياً للولايات المتحدة الأميركية في تونس ليصبح أول يهودي يمثل الولايات المتحدة الأميركية.

ولما عاد نوح إلى أميركا حاول إقامة مشروع أرارات تبركاً باسم الجبل الذي

يقول التوراة إن سفينة نوح رست عليه ليكون وطناً قومياً لليهود على جزيرة نهـــر نياجرا وبعد فشل المشروع اتجه بالمشروع إلى سوريا.

وفي سنة ١٨٤٤ عدل نوح خطته عازماً على إقامة وطن قومي لليهود في صهيون وألقى محاضرة اقترح أن يتم السعي لدى سلطان تركيا للحصول على موافقته.

واستطرد نوح قائلاً إن استيطان الأرض التي أُعطيت لليهود لـــن يــتم إلا إذا دمرت الإمبراطورية العثمانية ومن المفارقات أن هذا الرأي شاركه فيه هرتزل بعـــد فشله في الحصول على موافقة السلطان وكانت النتيجة تآمر اليهود علـــى تركيـــا وإسقاطها في الحرب العالمية الأُولى ليصدر وعد بلفور قبل خمسة أسابيع من سقوط القدس بيد جيش اللنبي.

٤- جماعة إخوة المسيح:

أسسها عام ١٨٤٨ جون طوماس وهي جماعة دينية عرفت بإخوة المسيح وتقوم دعوتها على تطبيق النبوءات التوراتية وسفر الرؤيا على الأحداث الحاضرة والمستقبلية، وساهمت في إظهار الحركة الصهيونية كبينة وعلامة على قرب ظهور المسيح.

دور إنجلترا في دعم الحركة الصهيونية ومحاربة الإسلام:

إن الخلفية المسيحية البروتستانتية للطابع القومي الإنجليزي واضحة في كثير من السمات التي اصطبغ بها الشعب الإنجليزي فالصليب لا يزال أحد عناصـــر العلـــم البريطاني ومجلس اللوردات يضم في عضويته خمسة وعشرين أسقفا تنتخبهم الكنيسة الإنجلكانية ورئيس أساقفة كاتنبري هو الذي يضع التاج على رأس الملك.

وقد أثبتت بريطانيا على مر العصور، وابتداءً من أول حملة صليبية على بـــلاد المسلمين وحتى الآن أنها العدو الأول للمسلمين في كافة أنحاء العالم.

وبالرغم من أنها بارعة في المناورات السياسية وإظهار ما لا تبطن أو التلاعب في المفردات والأَدوار السياسية، إلا أنها في مجمل سياستها لم تستطع يوماً أن تخفـــي

قباحة وجهها وسوء نيتها تجاه المسلمين حتى ولو حاولت إخفاء ذلك بالتلاعب بألفاظ توحي خلاف ذلك.

ومع بروز حركة الإصلاح الديني البروتستانتي في القرن السادس عشر ساعدت الحركة اليهود على إبراز كيانهم الاجتماعي والسياسي من خلال النصوص التوراتية في العهد القديم.

مارتن لوثر واليهود ١٠/١١/١٤٨٣- ١٨/٢/١٥٤٦:

وهو راهب ألماني لاهوتي أوغسطيني مفكر وكاتب، بدأ الإصلاح الديني في ألمانيا، انفصل عن الكنيسة بسبب قضايا مهمة مثل الغفرانات وسلطة البابا والتبتل وإكرام القديسين والقداس، نقل التوراة إلى الألمانية عام ١٥١٧ فكان حدثاً تاريخياً وثقافياً كبيراً، ذكر في رسالته الشهيرة خمسة وتسعين نقطة كان أغلبها خاص بلاهوت التحرير وسلطة البابا في الحل من العقاب الزمني للخطيئة، تحدى سلطة البابا ليون العاشر الدينية وسلطة الإمبراطور شارل الخامس السياسية مما أدى به إلى النفي والحرمان الكنسي.

أصدر لوثر عام ١٥٢٣ كتابه المسيح ولد يهودياً، قدم فيه رؤية تأصيلية للعلاقات اليهودية المسيحية ويعتبر مارتن لوثر رائد حركة الإصلاح الديني البروتستانتي وهو الذي بلور عقيدة ما يسمى بالأمة اليهودية واستعادة فلسطين كوطن قومي لليهود بعد أن فشل في تنصيرهم، فهو أراد من جهة التخلص منهم ومن جهة أخرى تحقيق نبوءة التوراة والتي تلتقي مع العهد الجديد في عودة اليهود إلى فلسطين وظهور المسيح بعد ذاك كما أن حركته أعطت وزناً كبيراً للغة العبرية باعتبارها اللغة الأصلية للكتاب المقدس وبعد أن فشل مارتن لوثر في تنصيرهم وعندما أعلن اليهود أن التلمود يعطي تفسيراً أفضل من تفسير لوثر للكتاب المقدس ورفضوا دعوته للعودة إلى النصرانية، بدأ بمهاجمتهم عام ١٥٢٦ وأصدر كتابه عام ١٥٤٣ "في اليهود وكذبهم".

انقلاب مارتن لوثر على اليهود:

بالرغم من أن مارتن لوثر وقف مع اليهود يساند قضيتهم ضد ألمانيا إلا أنــه انقلب عليهم بعد أن عرف حقيقتهم فكتب يقول:

أيقنت أن اليهود أناس أغلاظ الأكباد انحرفوا عن شريعة موسى وزوروا كتبه وأقواله أما معابدهم فما هي إلا مواخير للفسق والفجور فيجب علينا إحراق كتبهم المزورة وتدمير معابدهم القذرة لننقذ شعبنا من خطرها فلو عاد موسى نفسه للحياة لأمر بحرقها وإزالتها من الوجود واليهود لا يهمهم إلا النهب والسلب وهم وحوش ضارية وأفاع سامة يجب مطاردتهم حيثما كانوا والقضاء عليهم كما يقضى علــى الكلاب المسعورة. والحقيقة أن مارتن لوثر فتح ثغرة في تاريخ المسيحية لصالح اليهــود ظلت تتسع إلى اليوم وظلت كفة الصراع بين مدرسة (المسيح ولد يهودياً) المتعاطفة مع اليهود، ومدرسة (اليهود وكذبهم) تتأرجح في الضمير الغربي إلى أن انتــصرت المدرسة الأُولى، فتحول اليهود وفق تلك المدرسة من أمة ملعونة إلى أبناء الرب ومن الغيتو إلى قمة المجتمع ومن أمة مدنسة إلى أمة مقدسة.

ولم تتوقف بريطانيا عن دعم اليهود فقد ظهرت دعوات وصيحات من قبــل بعض الكتاب الأوروبيين من غير اليهود تحرض اليهود وتكون في خيال الشخــصية اليهودية فكرة العودة إلى فلسطين أرض الميعاد لاسيما أن هذه العودة تتفق مع مــا ورد في الكتاب المقدس عن قرب ظهور السيد المسيح وعودة اليهود إلى فلــسطين، ظهر من الكُتَّاب الإنجليز الكاتب سير هنري فيش الذي نشر كتاب عودة اليهــود عام ١٦٢١ توقع فيه قرب عودة اليهود إلى فلسطين، أما الكاتب جون آرثر فقــد نشر كراساً عام ١٦٤٢ حدد فيه عام ١٦٦١ موعداً لظهور المسيح أما الكاتــب بروزرز فقد أصدر كتاباً عام ١٧٧٤ تنبأ فيه بظهور المسيح عام ١٧٩٥ ودعــا إلى عودة اليهود إلى فلسطين.

أما الكاتبة جورج إليوت فقد أصدرت كتابها دانيال ديرونـــدا عـــام ١٨٧٦ دعت فيه إلى إرجاع اليهود إلى فلسطين وإقامة دولة لهم هناك كما ساهم عدد آخر من الشعراء والكتاب أمثال جون ملتون واللورد بايرون ووليان بليك ووليام ووردر وورث وروبرت براوننج، ووالتر سكوت الذي ابتدع شخصية ربيكا في روايتـــه الشهيرة إيفنهو واسكندر توماس.

وبالرغم من التعاطف الإنجليزي على المستوى الحكومي والديني مع اليهود إلا أن الحركة المعادية للسامية (ولو مؤقتاً) بدأت في إنجلترا عام ١٩٢٠ عنـــدما عـــاد مارسدن[1] إلى إنجلترا وفي حوزته نسخة من الكتاب الذي ألفه البروفيسور سرجي نيلوس عام ١٩٠٥ بعنوان الخطر اليهودي، وفيما كان مارسدن يترجم هذه الوثائق تلقى تحذيراً بالموت إذا أصر على نشر الكتاب ولكن مارسدن لم يخف من التحذير فنشر الكتاب وسماه "بروتوكولات حكماء صهيون" وبعد سنوات قليلـــة مـــات مارسدن في ظروف غامضة.

كانت تلك الوثائق التي وقعت في يد البروفيسور نيلوس "الخطر اليهودي" تتطابق مع كتاب مارسدن وبروتوكولات حكماء صهيون وهي نفسها الخطة النورانية الـــتي شرحها إمشيل روتشلد لرفاقه عام ١٧٧٣ في اجتماع فرانكفورت.

---

(١) فيكتور. أ- مارسدن، وهو مراسل جريدة المورننج بوست الإنجليزية وكـــان يعـــيش في روسيا، وقد نجح مارسدن في إخفاء كتاب خطير لمؤلف أرثوذكسي هـــو البروفيـــسور سيرجي نيلوس وقام بترجمة الكتاب الذي لم يكن إلا بروتوكولات حكمـــاء صـــهيون، وظهر الكتاب عام ١٩١٩ بعد الحرب العالمية الأولى وبعد مؤتمر الصلح وكانت الحادثـــة الأولى لاكتشاف البروتوكولات عندما هاجم عدد من أعضاء الشرطة الروسية المـــؤتمر الصهيوني الأول في بازل عام ١٨٩٧ وانقضوا على المجتمعين وصـــادروا كـــثيراً مـــن المستندات التي كانت البروتوكولات من ضمنها.

الشخصيات الإنجليزية الداعمة لعودة اليهود إلى فلسطين:

من الشخصيات الإنجليزية التي ساهمت بدور أو بآخر في دعم اليهود وتشجيع عودتهم إلى فلسطين سواء من المنظور الديني المسيحي - البروتسنتي - الذي يرى وجوب عودة اليهود إلى فلسطين تنفيذاً لوعد إلهي لإبراهيم (عليه السلام) بإعطائه أرض فلسطين له ولنسله من بعده، وتمهيداً لعودة المسيح الثانية لحكم العالم لمدة ألف سنة، أو من منظور سياسي استعماري تحقيقاً لمصالح بريطانيا في الشرق نذكر من هذه الشخصيات:

١- هنري تشرشل ١٨٠٧ -١٨٦٩:

ولد في مدراس في الهند وتوفي في لبنان، ضابط الأركان البريطانية في الشرق الأوسط والذي كتب عام ١٨٤١ إلى موشي منتفيوري رئيس مجلس الممثلين اليهود في لندن قائلاً: لا أخفي عليك رغبتي الجامحة في أن أرى شعبك يحقق مرة أخرى وجوده كشعب، إنني أعتقد أنه يمكن تحقيق الهدف بدقة، ولكن لا بد من توافر أمرين لا غنى عنهما، أولاً على اليهود أنفسهم أن يتحملوا الأمر على الصعيد العالمي وبالإجماع، وثانياً أن على القوى الأوروبية أن تساعدهم.

٢- لويد جورج - ١٨٦٣ -١٩٤٥:

أعلن لويد جورج عام ١٩١٧ وقبل إصدار وعد بلفور أن سياسة الحكومة البريطانية تقضي بدعم خطة روتشيلد في تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وبعد استصدار الوعد الذي أيدته كل من فرنسا وأميركا، صدرت الأوامر إلى الجنرال أللنبي بطرد الأتراك من آسيا الصغرى واحتلال الأراضي المقدسة و لم يتم الكشف عن نوايا الإنجليز بتسليم فلسطين إلى اليهود إلا بعد أن انتهى العرب من مساعدة الإنجليز في تدمير القوات التركية تحت مظلة "الثورة العربية الكبرى".

٣- ونستون تشرشل ١٨٧٤ - ١٩٦٥:

وهو رئيس وزراء بريطانيا عن الفترة ١٩٤٠ إلى ١٩٤٥، وقد قام ونستون تشرشل بزيارة إلى فلسطين في آذار ١٩٢١، وبناء على طلبه التقى بعض القادة العرب والمسلمين، وقد أظهروا له تخوفهم من هدف الصهيونية بالاستيلاء على فلسطين وأنهم يعيشون في فلسطين منذ آلاف السنين ويخشون استيلاء اليهود على أرضهم وكان رده الخبيث الذي ينم عن التوجه الصليبي لبريطانيا:

إنهم يطلبون مني أن أَتخلى عن وعد بلفور وأن أوقف الهجرة اليهودية وهذا ليس في طاقتي كما أنني لا أرغب فيه، نحن نعتقد أنه لخير العالم واليهود والإمبراطورية البريطانية والعرب أنفسهم أيضاً ونحن ننوي أن نحقق هذا الوعد.

وهو القائل إن العرب قوم متخلفون يأكلون روث الجمال.

تشرشل ومؤتمر القاهرة وشرق الأردن:

بعد تسلم ونستون تشرشل بوصفه وزيراً للمستعمرات زمام المسؤولية في دائرة الشرق الأوسط، سارع إلى استدعاء ضباطه العسكريين والموظفين الإداريين الذين يشغلون مناصب حساسة في المنطقة وعقد معهم مؤتمراً في القاهرة كان من توصياته تشكيل مقاطعة عربية في شرق الأردن بقيادة الملك عبد الله، ويكون مسؤولاً أمام المندوب السامي البريطاني دون أن تكون هذه المقاطعة مشمولة في النظام الإداري لفلسطين ودون أن تنطبق عليها شروط الانتداب.

وكان الهدف من إنشاء دولة شرق الأردن (المقاطعة) توفير ملجأ وموطن للفلسطينيين المزمع ترحيلهم عن بلادهم وفقاً لمخطط بريطانيا في إنشاء الوطن القومي لليهود في فلسطين[1].

---

(١) عبد الوهاب الكيالي - تاريخ فلسطين الحديث - ص ١٤١-١٤٢.

٤- الكولونيل إدوارد ميتفورد:

وهو من مكتب المستعمرات البريطانية، إذ ظهر عام ١٨٤٥ كتاب استعمار فلسطين عن طريق اليهود وكتاب آخر بعنوان استعمار اليهود المنظم للمؤلف غولز ثم ظهر كتاب التروح إلى فلسطين أو جمع شمل إسرائيل المشردة للكاتب الإنجليزي جيمس تيل وكان الكتاب ذا توجّه صليبي صهيوني حاقد عندما ذكر أن استيطان فلسطين من قبل اليهود يمكن أن يتم بنفس نجاح استيطان الإنجليز لأميركا الشمالية وبالتالي يمكن أن يكون الاستيطان اليهودي في فلسطين طليعة الاستعمار البريطاني في الشرق الأوسط.

واقترح ميتفورد عام ١٨٤٥ إقامة دولة يهودية في فلسطين تكون تحت الحماية البريطانية على أن ترفع الوصاية بمجرد أن يصبح اليهود قادرين على الاعتناء بأنفسهم.

وقد تحققت هذه النبوءة، بل هذه المخططات الحاقدة على المسلمين في زرع إسرائيل من قبل بريطانيا بعد خيانتها للعرب الذين تحالفوا معها ضد الأتراك المسلمين تحت ما أسموه الثورة العربية الكبرى والتي انتهت كما قال قائد الإنجليز نفسه اللنبي عندما دخل القدس في ١٩١٧/١٢/١١ (ها قد عدنا يا صلاح الدين، الآن انتهت الحروب الصليبية).

٥- اللورد غوش:

وكان سفير إنجلترا في الآستانة وكان يهودياً، بعث برسالة في ١٨٤٠/٨/١١، حث فيها إدارة حكومته على حث السلطان والحكومة العثمانية على جعل (جلعاد ومؤاب) وهي أراض في جنوب سوريا الطبيعية (الأردن وفلسطين) أن تكون مستعمرة اليهود تحت نظارة الباب العالي مقابل أن يدفعوا مبلغاً من المال للسلطان.

٦- اللورد شافتسبيري ١٨٨٥/١٨٠١ - (لورد أشلي كوبر)

من أهم الشخصيات الإنجليزية في القرن التاسع عشر، مصلح اجتماعي، ونشر دراسته بأن اليهود هم الأمل في تجديد المسيحية والعودة الثانية للمسيح، وأن لله إرادة

بعودهم إلى فلسطين، ولأن الإنسان قادر على تحقيق إرادة الله، فقد كان أحد أبـــرز العناصر الإنجليزية تحمساً وتشجيعاً للفكرة الصهيونية وقد عقد آمالاً كـــثيرة علـــى التنقيب عن أثار فلسطين للتدليل على صدق الكتاب المقدس حيث تقدم أثناء مـــؤتمر لندن عام ١٨٤٠ إلى بالمرستون رئيس وزراء بريطانيا بمشروع لتـــوطين اليهـــود في فلسطين وحل المسألة الشرقية وتطوير المنطقة من جهة الرافدين حتى البحر الأبـــيض وهي البلاد التي وعد الله بها إبراهيم عليه السلام كما يرى اليهود، وكان يعتقـــد أن ذلك سيسرع في عملية مجيء المسيح ثانية إلى الحياة وتحقيق النبوءة التوراتية.

كان يرى أن أي شعب لابد من أن يكون له وطـــن، وأن الأرض القديمـــة للشعب القديم وهي صيغة علمانية خافتة لشعار الأرض الموعودة للشعب المختـــار الذي تطور ليصبح برنامجه بشأن توطين اليهود في فلـــسطين علـــى قاعـــدة أرض بلا شعب لشعب بلا أرض.

٧- القس برادشو:

أما هذا القس فقد أصدر نداءً عام ١٨٤٤ اقترح فيه على البرلمان الإنجليـــزي منح أربعة ملايين جنيه ومليون جنيه آخر من الكنائس لدعم المشروع الصهيوني.

٨- القس تولي كراباك:

وكان رئيساً للبرلمان الإنجليزي وأكد على أن تكون فلسطين لليهـــود مـــن الفرات إلى النيل ومن البحر الأبيض إلى الصحراء.

٩- لورنس أوليفانت ١٨٢٩ -١٨٨٨ وكان عضواً في البرلمـــان الإنجليـــزي ووزيراً للخارجية

ودعا إلى طرد العرب من فلسطين مثلما حدث للهنود الحمر في أميركا لأنهم غير جديرين بأي معاملة إنسانية وذلك من خلال كتابه أرض جلعاد الذي أصدره عام ١٨٨٠ وتحدث عن دولة يهودية شرق الأردن على مساحة مليـــون ونـــصف المليون فدان تابعة للسيادة العثمانية وتحت الحماية البريطانية.

١٠ - القس وليام هشلر ١٨٤٥ -١٩٣١:

وهو قس ألماني كان يعمل في السفارة البريطانية في فينا فقد أيد المشروع بقـــوة وجمع الأموال لدعم المشروع حيث أوفدته الحكومة البريطانية عام ١٨٩٢ إلى الآستانة لمقابلة السلطان عبد الحميد لإقناعه بتوطين اليهود في فلسطين وفي عهد الملكة فكتوريا، تم إنشاء صندوق استكشاف فلسطين، الذي أسس عام ١٨٦٥ برعاية الملكة ورئاسة رئيس كانتربري أكبر أساقفة بريطانيا، ولما سمع هشلر عن هرتـــزل وكتابـــه الدولـــة اليهودية هرع إليه لأنه برأيه هو الذي سيحقق نبوءة عودة اليهود إلى فلسطين وإقامـــة الدولة اليهودية حيث رتب له مقابلة مع دوق بادن الأكبر.

ولا يفوتنا بالطبع وعد وزير خارجية بريطانيـــا جـــيمس آرثـــر بلفـــور في ١٩١٧/١١/٢ للممول اليهودي روتشيلد فيما سمي وعد بلفور وبالطبع حاولـــت بريطانيا بخبثها وحقدها على المسلمين استيعاب صدمة المسلمين بالإدعاء أن قيـــام حكومة يهودية في فلسطين إنما هو حكومة روحانية لليهود كالفاتيكان للنـــصارى ومكة للمسلمين.

ولكن هيهات هيهات من إخفاء الوجه القبيح البريطاني.

١١ - توماس كلارك ١٩٠٣ - ٢٠٠٥:

وهو أحد أبرز أساتذة التاريخ الإنجليزي في جامعة أكسفورد، وكتب كتابـــه الشهير بعنوان فلسطين لليهود وتوافق ذلك مع مجموعة الأغاني العبرية التي كتبـــها الشاعر الإنجليزي اللورد بايرون الذي كتب في أشعاره:

اطلع أيها الإله العظيم، ودع قدرتك تتجلى، وأرسل أشعتها مطمئنة ودافئـــة على أبناء يعقوب، وأعد ملوكهم إلى أرضك الموعودة هناك، واهدهم لكي يذهبوا إلى فلسطين، فهي وطنهم[١].

---

(١) محمد حسنين هيكل - المفاوضات السرية - ج١ - ص ٥٨.

١٢ - هنري فنش ١٥٥٨ - ١٦٢٥ :

وكان المستشار القانوني لملك إنجلترا، نشر دراسته حول الاستعادة الكبرى للعالم والتي دعا فيها إلى حملة صليبية جديدة لاستعادة إمبراطورية الأُمة اليهودية.

١٣ - جوان واليزر كارترايت:

في عام ١٦٤٩ وجه من هولندا عالما اللاهوت البيوريتيان - (التطهيريان) الإنجليزيان جوان واليزر كارترايت مذكرة إلى الحكومة البريطانية طالبا فيها "بأن يكون للشعب الإنجليزي ولشعب الأرض المنخفضة شرف حمل أولاد وبنات إسرائيل على متن سفنهم إلى الأرض التي وعد الله بها أجدادهم إبراهيم وإسحق ويعقوب ومنحهم إياها إرثاً أبدياً[١]".

هكذا وكأن الله سبحانه وتعالى لورد عقارات يمنح صكوك عقارات لأفراد على الأرض دون غيرهم!

١٤ - أوليفر كرومويل ١٥٩٩ -١٦٥٨:

وهو سياسي إنجليزي تبنى مضمون المذكرة للثنائي التطهيريين جوان والـيتر كارترايت، ومن خلال رئاسته للمحفل البيوريتاني عام ١٦٥٥ دعا إلى عقد مؤتمر في الهوايت هول للتشريع لعودة اليهود إلى بريطانيا وإلغاء قانون النفي الذي أصدره الملك إدوارد وحضر المؤتمر مناسح بن إسرائيل الذي ربط الصهيونية المسيحية بالمصالح الإستراتيجية لبريطانيا[٢].

وفي تلك الفترة راجت أفكار دينية تدعي أن المعاناة التي واجهتها بريطانيا في الحرب الأهلية التي سبقت ظهور الحركة البيوريتانية مردها إلى غضب الله عليها بسبب سوء معاملة اليهود.

---

(١) محمد السماك - الصهيونية المسيحية - ص ٣٩.

(٢) الصهيونية المسيحية - محمد السماك - ص ٣٩.

وكانت تلك الأفكار الركيزة الدينية السياسية الأولى للــصهيونية المــسيحية في بريطانيا.

١٥ - ريتشارد بروكز:

كتب كتابه المعرفة المنــزلة للنبوءات والأزمنة، ويرى فيه أن الإنجليز السكسون هم من أصل يهودي على أساس أنهم ينحدرون من سلالات الأَسباط التي ادعــى اليهود أن أفرادها فقدوا بعد اجتياح الآشوريين لمملكة إسرائيل عام ٧٢١ ق.م.



الفصل السادس

بريطانيا واليهود والدولة العثمانية

محمد علي والإنجليز:

بالرغم من أن الدول الأوروبية ومن ضمنها بريطانيا وفرنسا كانت تتربص بالدولة العثمانية وتتهيأ للانقضاض عليها وتقاسم أراضيها وخيراتها بعد وفاة (الرجل المريض) هكذا كانوا يسمون الدولة العثمانية التي كانت على أعتاب الانهيار السياسي والاقتصادي فإنه من العجيب أنه عندما قام إبراهيم باشا باجتياح بلاد الشام مروراً بفلسطين والأردن وسوريا وصولاً إلى حلب وهزيمة الجيش العثماني شر هزيمة، فقد سارعت أوروبا لنجدة الدولة العثمانية وفرضوا على مصر سحب جيشها بقيادة إبراهيم باشا نجل محمد علي مقابل ضمان الملك في مصر في ذرية محمد علي.

تنبهت وقتئذ بريطانيا ومعها باقي الدول الأوروبية إلى خطر مصر على مصالحها طالما بقيت بلاد الشام مفتوحة أمام مصر للوصول إلى الحدود الشرقية الأوروبية عن طريق فلسطين والأردن وسوريا وهناك وجدت بريطانيا ومعها أوروبا أن خير وسيلة للجم محمد علي والحد من الخطر العربي الإسلامي على أوروبا هو في فصل الشام عن مصر عن طريق زرع قوة أمنية تكون قاعدة فاصلة بين الشمال السوري والجنوب المصري.

هكذا التقت الأهداف الصهيونية اليهودية في العودة إلى أرض الميعاد مع الأهداف الصهيونية الصليبية في إضعاف المسلمين وتقسيمهم حتى تتم السيطرة عليهم بسهولة.

مونتفيوري ١٧٨٤-١٨٨٤ ومحمد علي:

وهو سياسي بريطاني يهودي، والرئيس الفخري للإتحاد الصهيوني الإنجليزي.

بعد اجتياح جيش إبراهيم باشا لبلاد الشام ووصوله إلى الدولة العثمانية وهزيمتها في وادي بيلان عام ١٨٣٢، عرض البريطاني مونتفيوري على محمد علي تأجير فلسطين لليهود لمدة خمسين عاماً (تأجير مائتي قرية)، ولكن التدخل الأوروبي الجماعي أفشل المشروع وسحب محمد علي جيشه وانكفأ في مصر وبالتالي لم يعد هناك مبرراً لاستمرار الاتصال معه.

محمد علي والدولة العثمانية والأطماع الأوروبية:

لما كانت لفترة حكم محمد علي في مصر وحملة نجله إبراهيم باشا على بلاد الشام ووصوله إلى الآستانة وتهديده للدولة العثمانية من أَثر على توسيع النفوذ الأوروبي في أرجاء الإمبراطورية العثمانية، ومن أثر لاحق على تقسيم الدول العربية وزراعة اليهود في فلسطين، فإننا نسلط الضوء فيما يلي على فترة حكم محمد علي وأبعادها وآثارها على الدولة العثمانية والدول العربية بشكل لاحق.

حرب محمد علي على الإنجليز:

نظراً لأهمية مصر التاريخية عالمياً وإقليمياً وامتداداً للحملات الصليبية والاستعمارية وكونها طريقا مهما للوصول إلى المستعمرات البريطانية في الهند واطراد نموها هناك ومن أجل تسهيل طرق المواصلات بين إنجلترا والهند بطريق البحر المتوسط والبحر الأحمر ونظراً لشدة شكيمة محمد علي ووقوفه مع السلطان العثماني ضد الإنجليز، وجه الإنجليز حملة مؤلفة من نحو خمسة آلاف جندي يقودهم الجنرال فريزر الذي وصل الإسكندرية واحتلها في شهر آذار عام ١٨٠٧ ثم حاول احتلال رشيد ليفتح طريق المواصلات بينه وبين المماليك أعداء محمد علي، إلا أن الجنود العثمانيين أمعنوا قتلاً وتشريداً في الحملتين الأمر الذي اضطر الإنجليز للاتفاق

مع محمد علي على تسليم أسراهم والانسحاب من مصر حيث غـادروا في شـهر أيلول (٩) ١٨٠٧.

محمد علي والوهابيين:

بعد بزوغ نجم الوهابيين عملاء الإنجليز وتمردهم على السلطة العثمانية وتحول أصحابها إلى جيش فاتح بمساعدة الإنجليز، قاموا بغزو الحجاز واستولوا على مكـة والمدينة وامتدت غزواتهم إلى العراق وسوريا.

وما كان من الحكومة العثمانية إلا انتداب محمد علي لمقاتلتهم، الذي جهـز بدوره جيشاً كبيراً وأعد وسائل نقله بحراً إلى الحجاز.

امتدت حرب محمد علي على الوهابيين مـن عـام ١٨١١-١٨١٥ حيـث استولى على مكة والمدينة والطائف وجدة وتولّى قيادةَ جيشهِ بنفسه عـام ١٨١٣ حتى عام ١٨١٥ إذ تولى ابنه إبراهيم باشا قيادة الجند ثانيـة حـتى نهايـة ١٨١٨ وانتصر على الوهابيين انتصاراً ساحقاً ونفى زعيمهم عبد الله بن سعود إلى مصر ثم إلى الآستانة حيث أعدمته السلطات العثمانية حال وصوله إليها.

أوروبا ومحمد علي:

عندما لاحظت الدولة العثمانية بزوغ نجم محمد علي وانتـصاراته في موقعـة وادي الزراعة بالقرب من حمص على واليها عثمان باشا ثم انتصاره على الإنجليز في موقعة الإسكندرية ورشيد ومع أن ذلك كان يشكل خطراً على الدولة العثمانية في إمكانية بروز معارض قوي لها ينازعها ملكها، إلا أنها وجدتها فرصة للاستعانة بـه لمحاربة تمرد اليونان حيث أرسل جيشه إلى اليونان وانتصر على المتمردين في حربـه عليهم بين ١٨٢٤-١٨٢٧ ومع أن محمد علي كان يطمح أن يحصل من الـسلطنة على مكافأته بولاية سوريا وإعفائه من الضرائب والجزيـة للـسلطنة إلا أن دول أوروبا تنبهت مرة أخرى إلى خطورة محمد علي وانحـازت إلى جانـب الدولـة العثمانية مع أنها كانت عدواً لدوداً لها.

وتحالفت إنجلترا وفرنسا وروسيا مع اليونان وتصدوا للعثمانيين والمصريين ودمروا أسطولهم العثماني والمصري في موقعة من الوقائع الصليبية المتجددة على المسلمين وذلك في موقعة نافارين الشهيرة وكان ذلك في ١٨٢٧/١٠/٢٠ فاضطر محمد علي لسحب جنوده بعد اتفاق خاص عقده مع المجموعة الأوروبية المنحازة لليونان وبالرغم من تلك النتيجة، إلا أنه اكتسب مهابة في أعين الأوروبيين وحصل على ولاية كريت التي أخضع ثورتها، ورفعت مكانة الجيش المصري في أعين الأوروبيين وكانت تلك موقعة من الوقائع التي فتحت عيون أوروبا وبالذات بريطانيا وفرنسا على أهمية مصر في موقعها وضرورة وضع حد فاصل أمام الجيش المصري لمنعه من التمدد شرقاً.

وقد كانت فكرة زرع اليهود في فلسطين وسيلةً لأوروبا تحقق لها الخلاص من اليهود ومشاكلهم في أوروبا من جهة وتزرع كياناً غريباً فاصلاً بين سوريا ومصر فتمنع التمدد باتجاهها من جهة أخرى.

بعد انتصار محمد علي على الإنجليز عام ١٨٠٧ ثم على الوهابيين عام ١٨١١- ١٨١٥ ثم إخماده لثورة اليونان لصالح الدولة العثمانية ومع عدم تحقق حلمه بالحصول على ولاية سوريا بدأ محمد علي بالإعداد لاحتلال سوريا حيث كانت موقعة سهو الزراعة في وادي القصير قرب حمص في ١٨٣٢/٤/١٤. التي انتصر فيها على والي السلطان عثمان باشا وأصبح له مركز قوة في جبل لبنان وبعلبك ثم أَعد العدة لاحتلال سوريا ولم يكن ذلك ممكناً إلا بالمرور على فلسطين واختراق أسوارها في عكا حيث جهز لها جيشاً ومدافع قنابل ومدافع حصار وتمكن من اجتياحها في ١٨٣٢/٥/٢٧ ثم توجه بعدها إلى دمشق وأعد جيشه لذلك، وأرسل رسالة إلى واليها علو باشا يطالبه بالاستسلام وتسليم المدينة إلا أن علو باشا رفض ذلك حيث جهز محمد علي جيشاً قوامه ثمانية عشر ألف مقاتل من المصريين والعرب والبدو والدروز والسوريين وفتحها عام ١٨٣٢/٦/١٦ فانهارت المدينة أمام جحافل جند محمد علي

وهرب علو باشا وجنوده وتم تسليم المدينة في ١٨٣٢/٦/١٦ حيث أقام فيها إبراهيم باشا ثمانية عشر يوماً وحضر صلاة الجمعة في الجامع الأموي.

موقعة حمص:

توجه إبراهيم باشا بعد احتلاله دمشق إلى حمص فهزم الجيش العثماني واحتل حمص في ١٨٣٢/٧/٨ ثم توجه بعدها إلى حلب.

معركة وادي بيلان:

بعد انتصاره في حمص تابع إبراهيم باشا سيره إلى حلب حيث عسكر في وادي بيلان بين حلب والاسكندرونة وتوالت انتصاراته على العثمانيين، وكانت المنازلة الكبرى في ١٨٣٢/٧/٢٩ وهزمهم شر هزيمة.

وبعد وادي بيلان توجه إلى قونية في جولة جديدة هزم فيها العثمانيين في ١٨٣٢/١٢/٢١ ومع الانتصارات المتوالية لإبراهيم باشا في وادي الزراعة ثم في حمص ثم في وادي بيلان في حلب ثم في قونية، لم يرق ذلك للإنجليز الذين كانوا يخشون تقدم إبراهيم باشا في الآستانة وبالتالي تدخل روسيا في الآستانة عسكرياً يضر بمصالحها في البحر المتوسط.

كما أن احتلال الآستانة قد يحرض محمد علي على الطمع في عرش آل عثمان وبالتالي إلى إقامة دولة إسلامية على البحر المتوسط تهدد مصالح بريطانيا لاسيما طريق الهند واحتمال بعث وتجديد دولة إسلامية قوية وحديثة وتبعث في نفوس المسلمين مبادئ الاستقلال.

اتفاقية كوتاهيه ودور الإنجليز والفرنسيين في تحجيم قوة محمد علي:

بعد سلسلة الانتصارات التي حققها محمد علي على الجيش العثماني وبعد أن مكث في قونية حتى ١٨٣٣/١/٢٠، نهض متوجهاً نحو الآستانة حيث احتل كوتاهيه بدون أي مقاومة وتجنباً لتوسع نفوذ محمد علي وبسط سيطرته على مزيد

من الأراضي - الأمر الذي سيضيع الفرص مستقبلاً على الدول الأوربية - سارعت فرنسا للتدخل والتوسط بين محمد علي والسلطان محمود لأجل حماية الآستانة ومع أن فرنسا كانت ذات ضلع مع محمد علي وكانت تدعمه بالسلاح والتدريب من خلال سليمان الفرنسي إلا أنها تدخلت بالصلح بين السلطان ومحمد علي فيما عرف باتفاقية كوتاهيه، حيث مثل السلطان بوساطة فرنسا وقد نصت على عودة محمد علي إلى طاعة السلطان مقابل العفو عنه ومنحه حكم بلاد الشام وعكا والقدس وطرابلس ونابلس ورفض كل نوع من المساعدات الأجنبية، فأصدر الخط الشريف في ١٨٣٣/٥/٦ قاضياً بتأييد حكم محمد علي باشا على مصر وكريت وسوريا ومنطقة أدنه مع تجديد ولاية ابنه إبراهيم باشا على جدَّه وتلقيبه شيخ الحرم المكي، وفي ١٨٣٣/٥/١٤ عقد اتفاق كوتاهيه ووقعه شاهداً ووسيطاً وطامعاً السفير الفرنسي في الآستانة البارون روسان- نيابة عن السلطان- وإبراهيم باشا نيابة عن والده ملتزماً سحب جيشه من الأناضول ودفع الأموال إلى السلطة العثمانية.

اتفاقية خنكار أسكله سي مع روسيا والتحالف الأوروبي على الدولة العثمانية:

بعد اتفاقية كوتاهية استغلت روسيا ضعف الدولة العثمانية واستيائها من بريطانيا وفرنسا وأبرمت معها اتفاقية ثنائية في ١٨٣٣/٠٧/٠٨ اسمها معاهدة خنكار أسكله سي والتي اعتبرت بمثابة الحماية الروسية على المملكة العثمانية حيث استاءت الدولتان الاستعماريتان بريطانيا وفرنسا من تلك الاتفاقية وقد قيل أن اللورد بونسونبي سفير إنجلترا في الآستانة الذي كان يظهر للسفراء زملائه رغبته في السلام كان يحرض السلطان محمود سراً على محاربة محمد علي ويمتدح كفاءة الجنود العثمانيين وامتداحهم على سحق قوات محمد علي[1]، وبالرغم من ذلك التحريض فقد أحجم السلطان محمود بادئ الأمر على الانجراف وراء تحريض بريطانيا وسفيرها.

---

(١) هذا أسلوب بريطانيا في تفريق المسلمين وتحريض بعضهم على بعض من خلال سياسة فرق تسد التي اتبعتها.

ولم تأل بريطانيا جهداً في محاولاتها مع السلطان حتى عقدت معاهدة معه في ١٨٣٨/٨/١٧ وهو الشهر الذي انتهت فيه ثورة الدروز والتي قضت بإلغاء الاحتكار من جميع البلاد العثمانية وغيرها في البلاد الواقعة تحت حكم عزيز مصر وكان الذي وضع أساس هذه المعاهدة هو المستر أروكوهارت أحد رجال السفارة البريطانية في الآستانة ذو التأثير العظيم على سفير بلاده بونسونبي، وكان الهدف من تلك المعاهدة لبريطانيا هو إقامة العراقيل أمام محمد علي لاحتكار صناعات وزروعات المناطق الخاضعة تحت حكمه وهذا بدوره سيفيد الدول الأوروبية، وعليه انضمت فرنسا للاتفاق إلى جانب بريطانيا.

ومع تهاوي الدولة العثمانية أمام جيش محمد علي اجتمعت الدول الأوروبية الخمس بريطانيا وفرنسا وروسيا وألمانيا والنمسا وأعلنت أنها متفقةً جميعاً في أمر المسألة الشرقية وطلبوا من السلطان عدم البت في أي أمر يتعلق بالمسألة بدون التشاور معهم، وعليه أصبح مصير سوريا معلقاً بمشيئة الدول الأوروبية والتي كانت ترى وجوب عودة سوريا إلى الدولة العثمانية وكانت بريطانيا أكثر تشدداً في ذلك لأنه لم يكن في مصلحتها أن تبقى سوريا في يد دولة قوية تؤثر على طريق مواصلاتها إلى الهند والخليج، فمحمد علي قوي وفرنسا حليفته قوية أيضاً.

وكان هناك نزاعاً واضحاً على الفرص الاستعمارية ونهب خيرات الشعوب بين بريطانيا وفرنسا، ومع استشعار مجموعة الدول الأوروبية من زيادة نفوذ محمد علي وخوفها منه بدأت مقاومته بشتى الوسائل حتى بالتحالف مع عدوتها الدولة العثمانية نفسها، وكذا رتبت ثورة جبل لبنان على حكم والي محمد علي الأمير بشير في جبل لبنان وراحت بريطانيا تحرض وفرنسا توزع المال والسلاح، وأَرسلت بريطانيا ترجمان سفارتها في الآستانة لدراسة اللغة العربية والذي استمال الدروز وطائفة من الموارنة وتعلم العربية على يد الخوري أرسانيوس فاخوري واشتعلت

الثورة اللبنانية في ١٨٤٠/٥/٢٧، ومع استفحال الثورة في لبنان كانت فرصة الأفعى الإنجليزية بريطانيا لنفث سمومها وتحريض أهل لبنان على محمد علي[1].

حيث وصل كما ذكر سابقاً ترجمان سفارتها في الآستانة السيد ريتشاردود على متن سفينة حربية إلى طرابلس (في رسالة استعمارية واضحة) وراح يحرض اللبنانيين على محمد علي، وشارك مع القنصل البريطاني في تضخيم الثورة في تقاريرهما إلى سفارة بلدهما.

وظهرت نوايا بريطانيا الحقيقية تجاه محمد علي إلى درجة أن رئيس وزرائها بالمرستون اليهودي الأصل صرح في إحدى جلسات البرلمان البريطاني " أنه موافق كل الموافقة على كل وسيلة من شأنها عودة رعايا السلطان إلى حظيرة مولاهم، وأرسلت عدداً من سفنها إلى لبنان تحت ذريعة المحافظة على الرعايا الإنجليز في لبنان.

أما الأسطول الفرنسي فكان يراقب حركة الأسطول الإنجليزي، ومع وصول السفن إلى بيروت تم إبلاغ قائد أسطول السفن الإنجليزية بقيادة الكومودور نابيير بالقرارات الحاسمة:

إن الدول الأوروبية قررت إرجاع سوريا إلى السلطان وعلى الجانب الآخر كانت فرنسا تتفاوض مع محمد علي سراً إلا أنها تتظاهر بمحالفة الدول الغربية ولما وجدت فرنسا أن الأمر جدي، انقلبت على محمد علي، حيث أن المسيو وتيادس رئيس وزرائها كان قد غرر بمحمد علي ودفعه إلى رفض شروط الحلفاء الأوروبيين ووعده بأن يمده بالمال والسلاح ومائة ألف جندي و١٠٤ سفينة، إلا أنه عندما تبين له الخطر الحقيقي أمر قائد أسطول السفن بالعودة إلى الموانئ الفرنسية، ثم ما كان

---

(١) بريطانيا معروفه في السياسة العالمية بتحقيق أهدافها في معظم الأحيان دون تدخل جنودها، بل أكثر من ذلك هي تشعل الفتنه بين الأطراف المعادية لها وتوفر أبناءَها وأموالها لتتفرّد هي بثمرة الفتنة والصراع بين الآخرين.

من الملك لويس فيليب إلا أن عزله من رئاسة الوزارة وخلفه جنرو في رئاسة الوزارة وهكذا ترك محمد علي وحيداً في الميدان أمام أعتى خمس دول أوروبية[1].

وهكذا وصل الأميرال السير روبرت ستوبفورد القائد العام لقوات الحلفاء إلى بيروت في ١٨٤٠/٩/٩ ونزل في حيونية وبدأت القوات العثمانية باحتلال مدينة تلو الأخرى، وفي ١٨٤٠/٠٩/١١ طلب قائد الأسطول الإنجليزي والنمساوي من سليمان باشا قائد جيش إبراهيم باشا تسليم بيروت.

وهكذا بدأ الحلفاء بالاستيلاء على أجزاء من لبنان ففي ١٣/١٢ أيلول ١٨٤٠ تم الاستيلاء على جبيل وفي ١٨/١٧ أيلول تم الاستيلاء على حيفا وفي ٢٥/٢٤ أيلول تم الاستيلاء على صور وعلى صيدا في ٢٦ أيلول وتم الاستيلاء على عكا في ٢-١٨٤٠/١١/٣ ثم استسلمت يافا بعد سقوط عكا وهكذا انكفأ محمد علي وانسحب الجيش المصري إلى مصر وقبل شروط الحلفاء التي فرضت عليه في معاهدة لندن التي تمثلت بالخضوع للسلطان وعودة سوريا إلى السلطان وحصر ملك مصر في عقبه.

إن القوى الأوروبية وبريطانيا بالذات أدركت مع حملة محمد علي على بلاد الشام واحتلاله لها، أن اتصال عرب مصر بعرب الشام والجزيرة يستطيع توليد شحنة هائلة من الطاقة كفيلة بتغيير أوضاع المنطقة التي كانت جاهزة للتقسيم كغنائم وجوائز للأقوياء الطامعين، ووجدت أن اتصال عرب الشمال السوري بعرب الجنوب المصري قد يؤدي إلى قيام دولة عربية قوية من شأنها أن تجدد شباب الخلافة الإسلامية ومن هنا كان التآمر والإجماع الأوروبي على تحجيم محمد علي بل وبرزت بإصرار فكرة زرع اليهود في فلسطين لفصل سوريا عن مصر بل آسيا العربية عن إفريقيا وهكذا فرضت أوروبا على محمد علي معاهدة لندن عام ١٨٤٠.

---

(١) ولو أنه اتحد مع الدولة العثمانية ضد الأوروبيين لهزموهم شر هزيمة ولكنها العروش التي تجعل الأسر الحاكمة تضحي بأمتها مقابل مصالح أسرها وعروشها.

ذلك كان عرضاً موجزاً للصراع بين محمد علي والسلطة العثمانية من جهة ثم لاحقاً بين محمد علي منفرداً ضد الدولة العثمانية والأوربيين الذين تحالفوا معها ليس وداً لها بل خوفاً من انتشار قوة محمد علي وخوفاً من ضياع غنائم المسألة الشرقية منهم حيث كانوا يتربصون بالرجل المريض كما جرى العرف على تسمية تركيا آنذاك.

وقد أبرز النزاع بين أوروبا ومحمد علي تطوراً عظيماً في المسألة الشرقية فأبرز مطامع الدول الأوروبية في تركيا وغيرها من بلاد المشرق واشتدت المزاحمة بين روسيا وفرنسا وبريطانيا ورجحت كفة بريطانيا، وأُبعدت روسيا عن الأناضول والآستانة وضربت سياسة فرنسا في الشرق، ولما كان يهمها حماية طرقها إلى الهند سارعت بريطانيا إلى احتلال مواقع حساسة مثل بوغاز المندب في الخليج والبحر الأحمر، وأخذت تدرس المشاريع التي تؤمن مصالحها الواقعة في طريقها من البحر المتوسط إلى الخليج العربي كوصل نهر العاصي بالفرات وإنشاء مواصلات مائية بين مصب النهرين والنزول في جزيرة قبرص وجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود، وكأني بالتاريخ يكرر نفسه فها هي الدول الأوروبية تتآمر مرة أخرى على المسلمين، وتتحالف مع الأحزاب من الأسر الحاكمة ضد سوريا والعراق ومصر مهولة لها الخوف من إيران وزراعة بذور التفرقة بين المسلمين ليذبح المسلمون بعضهم بعضاً وتنفرد أوروبا وأميركا بعد ذلك بنصيبها من الغنائم والتركة برداً وسلاماً فلا هي دفعت مالاً ولا قطرةَ دم واحدة، فالثمن كله على العرب والمسلمين، وسياسة فرق تسد أفضل سياسة انتهجتها بريطانيا لضرب الشعوب والأمم ببعضها لتحقيق مآربها الاستعمارية الصليبية في نهاية المطاف - ترى هل يصحُ المسلمون من سباتهم وغفلتهم ويتحدوا في منازلة الصليبية والصهيونية العالمية مرة أخرى -؟



الفصل السابع

الآراء والتفسيرات الأممية لعودة اليهود إلى فلسطين

اختلف المؤرخون في أمر اليهود وأسباب عودهم أو دعمهم في العودة إلى (أرض الميعاد فلسطين) وفق وعد التوراة لهم كما يدعون، وقد تعددت الأسباب التي حدت بالمراجع والدول والأفراد والمجموعات والهيئات العالمية المختلفة، إلى دعمهم للعودة إلى فلسطين حسب الدولة والزمان والمكان.

فمنهم من عزا الأسباب إلى طبيعة اليهود التآمرية والمكروهة من قبل الشعوب الأخرى ومنهم من عزاها إلى تواطؤ اليهود مع الملوك والنبلاء ضد الفلاحين.

ومنهم من عزا ذلك إلى طبيعة اليهود التآمرية التي تنفث سمها وتشعل الفتن بين شعوب الأرض المختلفة، ومنهم من عزا ذلك إلى نظرة اليهود إلى كافة البشر من غير اليهود على أنهم أقل منهم بل أنهم غويم خلقوا أَقل منهم شأناً ليكونوا في خدمة اليهود، ومنهم من عزاها إلى الثورة الصناعية وما تبعها من هجرات استعمارية واستيطانية للبحث عن المواد الخام وبالتالي التمدد على حساب الغير من الدول الفقيرة (النامية أو المتخلفة أو العالم الثالث) كما يحلو للاقتصاديين تسميتهم، الأمر الذي شجع اليهود على الهجرة إلى دول أخرى ليتسلقوا ركب الاستعمار الاستيطاني الاقتصادي.

ومنهم من عزا ذلك إلى الثورات التي اجتاحت أوروبا أثناء وبعد الثورة الصناعية واتجاه الدول إلى الانفصال والبحث عن قومياتها وكان نفس الأمر لليهود، ومنهم من عزا ذلك إلى الحركات الصهيونية والتجمعات اليهودية تحت مسميات مختلفة كأحباء صهيون والحركة الصهيونية العالمية ومنظمة الشباب الصهيوني أو العمال الصهيوني أو ما إلى ذلك من جمعيات يهودية متعددة نشأت في ظل الثورات والقلاقل

في أوروبا بعد الثورة الصناعية ولغاية الحرب العالمية الثانية ومنهم من عزا كراهية اليهود عالمياً لما أسموه جرثومة اللاسامية لدى غير اليهود ضد اليهود، وقد تبنى هذا التبرير الأخير في اللاسامية قادة وزعماء اليهود أنفسهم أمثال ثيودور هرتزل.

وفيما يلي بيانٌ لأهم المرتكزات التي استندت عليها الحركة الصهيونية والصليبية العالمية للعودة إلى فلسطين:

١- مبدأ شعب الله المختار:

إن هذه النظرية صنعتها التوراة في العقل اليهودي فالتوراة المحرفة والتلمود أرسيا في نفوس اليهود بأنهم شعب الله المختار وأنهم أحبة الله وصفوته وأن الآخرين غير اليهود هم الغويم.

وهذه النظرة العنصرية مستندة إلى أن الاختيار والاصطفاء الإلهي محصور باليهود فقط، ونجد في طبعات الإنجيل والعهد القديم المتداولة حالياً الفكر الصليبي يلتقي في فهمه للعهد القديم مع اليهود في مبدأ أرض الميعاد وضرورة عودة اليهود إلى فلسطين تمهيداً لظهور المسيح.

والحقيقة أن التفضيل والاصطفاء هو في الواقع تفضيل فئة من الناس على غيرها في عهد زمني معروف وهو عهد موسى عليه السلام ورسالته وهذا ما كان يفسر التفضيل لليهود باختيارهم لحمل الرسالة السماوية في عصرهم حال نزولها عليهم دون غيرهم من الأمم المعاصرة لهم ولكن ليس على عامة العالمين بصورة مطلقة.

٢- الأرض الموعودة:

وهو أيضاً مبدأ صنعته التوراة في العقل اليهودي التي تركز على فرضية واهية جاءت في سفر التكوين (١٥/١٨-٢١).

جاء فيها "في ذلك اليوم بث الرب مع أبرام عهداً قائلاً لنسلك أُعطي هذه الأرض من نهر مصر إلى النهر الكبير نهر الفرات وفي رواية من نهر مصريم إلى النهر الكبير- نهر الفرات وإلى الأبد (سفر التكوين ١٥-١٤-١٣).

وبناءً على ذلك فهم يزعمون أن الله سبحانه وتعالى وعد سيدنا إبراهيم الخليل (عليه السلام) بأرض فلسطين هو ونسله.

بطلان مزاعمهم:

والسؤال الذي يطرح نفسه، على فرض صحة ما ورد في الادعاء المذكور

أليس العرب من نسل إبراهيم عليه السلام؟

إذا لماذا لا تكون فلسطين لهم وفق مفهوم اليهود أنفسهم؟؟! وسواء كانت لنسل إبراهيم (عليه السلام) عرباً أم يهوداً، فما هو شأن اليهود الذين يأتون من خارج فلسطين؟

إنهم ليسوا من نسل إبراهيم (عليه السلام) إن اليهود من نسل إبراهيم (عليه السلام) هم الذين عاشوا في فلسطين أما اليهود الذين دخلوا في اليهودية في كافة أنحاء الأرض فهم ليسوا من نسل إبراهيم (عليه السلام) ومعظمهم من يهود الخزر الذين تحولوا من الوثنية إلى اليهودية في المنطقة بين إيران وروسيا كما ورد في مقدمة هذا الكتاب في الفصل الأول (أصل اليهود).

ثم إذا كان اليهودي لمجرد أنه يهودي أو تحول إلى اليهودية من أي بلد في العالم هل هذا يعطيه الحق في استيطان دول أخرى والحصول على جنسيتها والمطالبة بالحق في أرضها؟

هل اليهودي أو النصراني الذي يعتنق الإسلام مثلاً يصبح له الحق في استيطان السعودية والحصول على جنسيتها؟

وهل المسلم الذي يتحول إلى النصرانية يصبح له الحق في جنسية الفاتيكان مثلاً؟

بل هل الحق مفتوح لأي مسيحي في العالم في الحصول على جنسية الفاتيكان لمجرد أنه مسيحي ونفس الأمر هل الحق مفتوح لأي مسلم في العالم في الحصول على جنسية السعودية مثلاً كونه مسلماً فقط؟

إن هناك العديد من الكتاب والمؤرخين والسياسيين العالميين انتبهوا إلى تلك الحقيقة فها هو المؤرخ أرنولد توينبي يقول: إن إسرائيل (فلسطين) برمتها كانت وما تزال وستبقى من الوجهة القانونية ملكاً للعرب الفلسطينيين الذين أُجلوا عن ديارهم بالقوة وها هو اللورد موين الوزير البريطاني في القاهرة يصرح أمام مجلس اللوردات في ١٩٤٢/٦/٩ أن اليهود ليسوا أحفاد العبرانيين القدماء وأنهم لا يملكون المطالبة الشرعية بالأرض المقدسة إذ أن معظمهم جاء من يهود الخزر في أوروبا الشرقية، والذين جاؤوا إلى تلك المنطقة بعد طردهم من إسبانيا ثم توزعوا بعدها من تلك المنطقة إلى كافة أنحاء العالم وهذا ما أكده المؤرخون وفي مقدمتهم آرنولد توينبي كما سبقت الإشارة إليه.

حقيقة الحق التاريخي لليهود في فلسطين ووعد الله لإبراهيم عليه السلام أن تكون له ولنسله:

١) كانت تسكن فلسطين قبائل عربية أصيلة هي قبائل بني كنعان وسميت فلسطين أصلاً باسم أرض كنعان، حيث ظلوا فيها حتى القرن الرابع ق.م والكنعانيون هم أهل فلسطين الأصليون وقد جاء الكنعانيون إلى جنوب سوريا الغربي عام ٣٥٠٠ ق.م قادمين من سواحل الخليج العربي الغربية مهاجرين إلى الساحل السوري (شواطئ سوريا وفلسطين ولبنان).

٢) هاجر الكنعانيون إلى فلسطين عام ٢٥٠٠ ق.م وأقاموا في أريحا (لذا سميت أرض كنعان)[١].

٣) هاجر سيدنا إبراهيم إلى أور في أرض العراق حوالي ١٨٠٥ ق.م ثم انتقل إلى نابلس وإلى بئر السبع في فلسطين ورزق بإسماعيل حوالي ١٧٩٤ ق.م.

٤) سنة ١٦٥٦ ق.م هاجر اليهود إلى مصر ومكثوا فيها ٤٠٠ عام وذلك بعد

---

(١) الأرض المنخفضة.

القحط الذي ألم بالمنطقة في تلك الفترة واستعبدهم الفراعنة في مصر ثم عادوا بقيادة النبي موسى (عليه السلام) وفتحوا فلسطين عام ١٢٥٠ ق.م بقيادة يوشع بن نون الذي سنّ سنة لليهود مدونة في التلمود وهي القتل والإبادة.

٥) جاء الفلسطينيون من كريت (أوروبا) ونزلوا في غزة وامتد نفوذهم إلى الكرمل وأخذ هذا النفوذ يهدد وجود القبائل اليهودية المتناثرة.

٦) حوالي ١٠٢٠ ق.م أصبح شاؤول ملكاً على اليهود وذلك في محاولة للتوحد ضد خطر الفلسطينيين.

٧) عام ١٠١٠ ق.م تولى النبي داوود (عليه السلام) الملك بعد مقتل شاؤول.

٨) انتقل الملك إلى النبي سليمان الحكيم (عليه السلام) حتى عام ٩٣٠ ق.م ثم انقسمت البلاد إلى مملكتين يهودا في الجنوب والسامرة (إسرائيل) في الشمال ونشبت بين المملكتين حروب كثيرة واستمرت حتى عام ٧٢٣ ق.م حيث سقطت السامرة بيد سرجون الثاني ملك آشور.

٩) عام ٥٨٥ ق.م قام نبوخذ نصر (الثاني) بالإغارة على مملكة يهودا وبيت المقدس جنوباً فسبى أكثر من خمسين ألف يهودي أقاموا في بابل لمدة سبعين سنة تقريباً.

١٠) عام ٥٣٧ - ٥١٥ ق.م سمح قورش ملك الفرس لليهود الذين ساعدوه في الاستيلاء على بابل بالعودة إلى القدس وعاد الفقراء والمتدينون فقط واستمر عهد الفرس حتى ٣٣٢ ق.م، حيث أعاد اليهود العائدين بناء الهيكل سنة ٥١٦ ق.م.

١١) عام ٣٣٢ ق.م احتل الاسكندر المقدوني القدس وفرض الثقافة اليونانية وقامت ثورة بقيادة العائلة المكابية سنة ١٦٧ ق.م وأخمدها اليونان بقوة، واستمر احتلال الاسكندر المقدوني للقدس حتى عام ٦٣ ق.م.

١٢) عام ٦٣ ق.م اكتسح الرومان فلسطين واستولوا على القدس.

١٣) عام ٧٠ م دمر الإمبراطور تيطوس مدينة القدس وأحرق هيكل هيرودس بسبب ثورة قام بها اليهود ورفضهم الإيمان بمسيحهم المنتظر عليه السلام، وقد ساعده في الانتصار على اليهود الفرق العربية والسورية والآرامية.

١٤) عام ١٣٥م دمر الإمبراطور هادريان الروماني أُورشليم تدميرا كاملاً وحولها إلى ما أسماه إيليا كابيتيلونيا الرومانية الخالية من اليهود، فتفرق اليهود إلى كافة أنحاء المعمورة، كان ذلك في موقعة باركوخيا حيث هدم الهيكل الثاني لليهود وظهر الفكر المسيحاني (المشيخاني) والذي كان يرى عودة المسيح لإنقاذ اليهود وعودة عصرهم الذهبي.

١٥) عام ٦٣٧م فتح المسلمون بقيادة عمر بن الخطاب بيت المقدس الذي أعطى العهدة العمرية إلى أهلها المسيحيين ويمثلهم البطريرك صفرونيوس وكان النص:

العهدة العمرية:

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا ما أعطى عبد الله عمر أمير المؤمنين أهل إيلياء (القدس) من الأمان، أعطاهم أماناً لأنفسهم وأموالهم وكنائسهم وصلبانها، سقيمها وبريئها وسائر ملتها أنه لا تسكن كنائسهم ولا تهدم ولا ينقص منها ولا من شيء من أموالهم، ولا يكرهون على دينهم، ولا يضار أحدُ منهم، ولا يسكن إيلياءِ معهم أحد من اليهود.

وعلى أهل إيلياءِ أن يعطوا الجزية كما يعطي أهل المدائن، وعليهم أن يخرجوا منهم الروم واللصوص، فمن خرج منهم فهو آمن على نفسه وماله، حتى يبلغوا مأمنهم، ومن أقام منهم فهو آمن، وعليهم مثل ما على أهل إيلياءِ من الجزية ومن أحب من أهل إيلياءِ أن يسير نفسه وماله مع الروم ويخلي بيعهم وصلبهم، فإنهم آمنون على أنفسهم وعلى صلبهم حتى يبلغوا مأمنهم.

ومن كان فيها (إيلياء) من أهل الأرض فمن شاء منهم قعد، وعليه مثل ما على أهل إيلياء من الجزية.

كُتب وحضّر سنة خمسة عشر هجرية وشهد على ذلك خالد بن الوليد وعبد الرحمن بن عوف وعمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سفيان.

١٦) احتل الصليبيون بيت المقدس في الفترة ما بين ١٠٩٩-١١٨٧م حيث حررها صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين ودخلها في ٢٧ رجب ٥٨٣هـ الموافق يوم الجمعة ٢/١٠/١١٨٧.

١٧) عاد الصليبيون لاحتلال بيت المقدس في الفترة بين ١٢٢٩-١٢٣٩م دون قتال حين قام الملك الأيوبي الكامل بتسليمها سلماً إلى الإمبراطور الصليبي فردريك الثاني بموجب معاهدة يافا بتاريخ ١٢/٢/١٢٢٩ وكانت مدة الاتفاقية عشرة أعوام وخمسة أشهر وأربعين يوماً تبدأ من ١٤/٢/١٢٢٩.

١٨) عام ١٢٣٩ قام الملك الناصر داوود بتحريرها مرة أخرى على إثر خيانة الفرنجة لعهدهم مع الملك الكامل وقيامهم بإعادة ترميم سور القدس خلافاً للاتفاقية.

١٩) وفي عام ١٢٤٠، وفي حلقة أخرى من حلقات صراع الأسر الحاكمة قام الملك الصالح إسماعيل بالتحالف مع الفرنجة وسلم القدس نكاية بالصالح أيوب إلى الصليبيين.

٢٠) وفى عام ١٢٤٤ قام الملك الصالح أيوب بالتحالف مع الخوارزميين في شرق الفرات وتحرير بيت المقدس من الصليبيين للمرة الأخيرة حيث حررها القائد المسلم ركن الدين بيبرس في معركة أربيا (حطين الثانية).

٢١) عام ١٥١٦ م احتل العثمانيون فلسطين وبلاد الشام بشكل عام بعد انتصارهم على المماليك في معركة مرج دابق في حلب حيث استمر الحكم العثماني لفلسطين زهاء أربعمائة عام، وكانت هزيمة المماليك بسبب انشقاق قائدين منهم وانضمامهما للجيش العثماني وهما جامبرودي غزالي حاكم دمشق،

والثاني خاير بيه الذي عُيِّنَ حاكماً لمصر لاحقاً، وكانت السيطرة العثمانية على سوريا هي التي سهلت لهم السيطرة على التجارة غرب المتوسط حتى أنهم أطلقوا على بلاد الشام اسم شام شريف.

٢٢) في ١٩١٧/١٢/٩م احتل الإنجليز فلسطين ودخل الجنرال الصليبي اللنبي مدينة القدس في ١٩١٧/١٢/١١م واستمر الحكم (الانتداب) الإنجليزي حتى عام ١٩٤٨.

٢٣) عام ١٩٦٧ م احتل اليهود مدينة القدس بعد حرب الأيام الستة (مع ملاحظة أنه لم تكن هناك حرب فعلية كما يفهم من عدد الأيام الستة للحرب وذلك لانسحاب الجيوش العربية دون قتال بعد ضرب المطارات المصرية صباح ١٩٦٧/٦/٥ وتسمية حرب الأيام الستة كانت من طرح اليهود أنفسهم لارتباطها بأحداث تاريخية خاصة بهم).

فضل العرب والمسلمين على اليهود:

إن الذي طرد اليهود من القدس هم الرومان والذي أعاد اليهود إلى القدس هو الفتح العمري، والذي ذبح اليهود حتى وصلت دماؤهم إلى ركب الخيل هم الإفرنج، والذي أعادهم ثانية هو صلاح الدين، والذي رعاهم وحافظ عليهم طيلة العهود التالية هم الأيوبيون والمماليك والعثمانيون، والذي سمح لهم بالصلاة أمام حائط البراق هو السلطان سليمان القانوني والذي أوصلهم إلى أوج مدنيتهم هم عرب الأندلس في العصور الوسطي والذي آواهم بعد طردهم من الأندلس هم العرب والمسلمون الأتراك وقد اعتبرت الأدبيات اليهودية الرؤيوية فتح القدس من قبل عمر بن الخطاب تحرراً وعتقاً من ظلم البيزنطيين، حيث كان البيزنطيون قد حولوا معبد هيرودس إلى مكب نفايات وذلك بعد طردهم لليهود منها، كما طردهم الرومان قبلهم منها أيضاً والذي أعاد اليهود إلى القدس بعد السبي البابلي هو قورش الفارسي.

وكان العصر الإسلامي هو خير العصور وأكثرها أمناً وسلاماً علـــى يهـــود فلسطين على مدار ثلاثة آلاف عام.

ووصف المؤرخ هـــ.ج ولز في كتابه (موجز التاريخ) حياة اليهود العبرانيين في فلسطين بأنها كانت تشبه حياة رجل يصر على الإقامة وسط طريق مزدحم فتدوسه الحافلات والشاحنات باستمرار.

وهكذا يتبين أن حياتهم في فلسطين لم تكن إلا عابرة طارئة في تاريخ مـــصر وسوريا وآشور وفينيقيا ذلك التاريخ الذي هو أكبر منهم بكثير، حيث لم تزد مدة إقامة اليهود في فلسطين على مدار خمسة آلاف عام عن ٦٢٧ عاماً.

حيث وقع الشتات المتكرر والرحيل المتوالي ومع هذا الشتات المتوالي تجمـــع جمع كبير منهم في شرق أوروبا فيما عرف بمنطقة الخزر وفيما بعد اعتنق إمبراطور الخزر في أوروبا الشرقية الديانة اليهودية وفرضها على أفراد قبيلته، ومنها انتقلـــت اليهودية إلى كافة أرجاء أوروبا وأميركا والعالم.

وقد أثبتت الوثائق التاريخية القديمة أن اليبوسيين قد سبقوا اليهود في العـــيش داخل أسوار القدس بنحو قرون عديدة.

وهكذا يتبين أن يهود العالم ليسوا من أصول سامية وليسوا من فلسطين كما يدعون إذ أنهم خليط متنافر لم تجمعهم سوى الديانة فقط ولم يكن لهم وجـــود في فلسطين منذ ٢٢٠٠ عام.

الدور البريطاني البارز في إعادة اليهود إلى فلسطين:

* بالمرستون واليهود - ١٧٨٤ - ١٨٦٥:

هو هنري جون تمبل- لورد بالمرستون (فيسكونت بالمرستون)- بدأ حياته مصمم أزياء وممثلاً فكاهياً في مقاهي لندن شغل منصب وزير الخارجية ثلاث مرات.

برز بالمرستون بعد فشل مشروع مونتفيوري في تأجير مائتي قرية في فلسطين لليهود لاسيما مع سقوط مشروع محمد علي في بلاد الشام وانكفائه عنها، وكما هو معروف في السياسة البريطانية الخبيثة والناعمة طويلة النفس فقد برز وزير خارجيتها اللورد بالمرستون، (وكانت فترة تولي بالمرستون للوزارة عام ١٨٣٠ فترة ضعف للدولة العثمانية) لذا حاول بالمرستون أن تبقى الدولة العثمانية حية وبحث عن من يحمي مصالح بريطانيا في الشرق العربي فوجد ضالته في اليهود وذلك بتأسيس كيان لهم في المستقبل فبحث بالمرستون الموضوع مع شافتسبري وهو صاحب الجملة المأثورة فلسطين أرض بلا شعب إلى شعب بلا أرض أي اليهود وقد تبنى اليهود الصهاينة هذه الجملة وأصبحت أول شعارات الصهيونية.

ويستمر الدور البريطاني بافتتاح أول قنصلية بريطانية في القدس عام ١٨٣٨ لحماية المصالح البريطانية في الشرق أولاً والاهتمام بتشجيع هجرة اليهود إلى فلسطين ثانياً.

وقد ساعد الإنجليز اليهود في شراء الأراضي في فلسطين بكافة الأشكال سيما في قرى ملبس وعين قاره والخضيرة وتل الربيع كما سيرد في هذا البحث لاحقاً.

*** برقية بالمرستون إلى سفير بريطانيا في الآستانة:**

بعث بالمرستون برقيته المشؤومة إلى سفيره في الآستانة بونسوبني في ١٨٤٠/٨/١١ كان نصها:

يقوم بين اليهود الآن المبعثرين في كل أوروبا شعور قوي بأن الوقت الذي ستعود فيه أمتهم إلى فلسطين آخذ في الاقتراب، ومن المعروف جيداً أن يهود أوروبا يمتلكون ثروات كبيرة، ومن الواضح أن أي قطر يختار أعداداً كبيرة من اليهود أن يستوطنوه سيحصل على فوائد كبيرة من الثروات التي سيجلبها معهم هؤلاء اليهود، فإذا عاد الشعب اليهودي تحت حماية ومباركة السلطان فسيكون في

هذا حائلاً بين محمد[1] ومن يخلفه وبين تحقيق خطته الشريرة في المستقبل.

وحتى إذا لم يؤد هذا التشجيع الذي سيقدمه السلطان لليهود إلى استيطان عدد كبير منهم في حدود الإمبراطورية العثمانية إلا أن إصدار قانون من هـذا النـوع سيعمل على انتشار روح الصداقة تجاه السلطان بين جميع يهود أوروبـا وسـترى الحكومة التركية في الحال كم سيكون مفيداً لقضية فلسطين أن تكسب أصـدقاء مفيدين في كثير من الأقطار بقانون واحد بسيط كهذا.

كن حامياً لليهود بصورة عامة.

*** توقيع بالمرستون - وزير خارجية ثم رئيس وزراء بريطانيا:**

وكانت أول حركة قام بها بالمرستون هي إرسال منشور سري إلى كل قناصل إنجلترا في دمشق وحلب والقدس وبيروت وحيفا يقول فيه بالنص ما يلي:

إن الأتراك يعرفون ما ينبغي عليهم عمله تجاه اليهود في هذه المنطقة ولكنه من المتعين علينا أن نتابع ذلك بجهد منظم هدفه أن نتأكد من أن اليهود لا يتعرضـون لأي تمييز ضدهم أو اضطهاد ونحن مطالبون بأن نجعل اليهود يثقون بنا وأن يتأكدوا أن حكومة إنجلترا تعتبر نفسها مسؤولة عن سلامتهم وراغبة في حمايتهم ومـصممة على ذلك، إنه يحق لهم أن يلجؤوا إلى القنصل البريطاني لحمايتهم في حـال قـصر قناصل دولهم الأصلية في توفير هذه الحماية فكلهم يجب أن يـستقر في وعيـه أن إنجلترا هي حامية اليهود[2].

كان بالمرستون يرى أن استيطان اليهود في فلسطين سيحقق للمصالح البريطانية مكسبين:

---

(١) المقصود محمد علي عزيز مصر.

(٢) محمد حسنين هيكل - المفاوضات السرية - ج١ - ص ٥.

* **الأول**: إرضاء الرأي العام البروتستانتي المتدين والذي يتشوق إلى إعادة اليهود إلى فلسطين مما سيساهم في إيجاد مجموعة موالية لبريطانيا في منطقة ليس فيها من يواليها أي مخلب قط في منطقة الشرق الأوسط الغنية والإستراتيجية والتاريخية.

* **الثاني**: أن استيطان اليهود في فلسطين وتدفق أموالهم إليها سيدعم تركيا المنهارة والتي سعى بالمرستون إلى تجديد شبابها لكي تستطيع الوقوف في وجه الأطماع الروسية والفرنسية من جهة، ومحاولات محمد علي الاستيلاء على بلاد الشام من جهة أخرى.

روتشيلد وبالمرستون:

وفي السياق نفسه من التحالف الصهيوني الصليبي على المسلمين، واستغلالاً لواقعة محمد علي وانتصاراته في بلاد الشام على الدولة العثمانية ، وتحريضاً من اليهود لبريطانيا على الدولة العثمانية وصولاً لمآربهم كتب روتشيلد عميد بيت المال اليهودي العالمي رسالة في مارس ١٨٤١ وجهها إلى رئيس وزراء بريطانيا بالمرستون اليهودي الأصل عارضاً عليه فكرة تمكين اليهود من الهجرة إلى فلسطين وإقامة نطاق من المستوطنات فيها يكون بمثابة حائط يحجز أو على الأقل يعطل أي حركة من مصر إلى المشرق أو أي حركة من المشرق إلى مصر، ويستطرد روتشيلد في رسالته أن هزيمة محمد علي وحصر نفوذه في مصر ليست كافية لأن هناك قوة جذب متبادلة بين العرب وهم يدركون أن عودة مجدهم القديم مرهونة بإمكانات اتصالهم واتحادهم، إننا لو نظرنا إلى خريطة هذه البقعة من الأرض فسوف نجد أن فلسطين هي الجسر الذي يصل بين مصر والعرب في آسيا وكانت فلسطين دائماً البوابة بين الشرق والحل الوحيد هو زرع قوة مختلفة على هذا الجسر وهذه البوابة تكون القوة بمثابة حاجز يمنع الخطر العربي ويحول دونه، والهجرة اليهودية إلى فلسطين كفيلة بالقيام بهذا الدور وهذه ليست خدمة لليهود ولكنها خدمة للإمبراطورية البريطانية.



الفصل الثامن

مصر وفلسطين والأطماع الصليبية على مر التاريخ

نظراً لما لفلسطين ومصر من موقع استراتيجي مهمٍّ فإن استراتيجية الأمن المصري لها محوران:

١) محور جنوبي وهدفه ضمان سلامة نهر النيل وتدفق مياهه عصب الحياة في مصر.

٢) محور شمالي شرقي هو فلسطين وسوريا؛ لأن فلسطين هي الجسر البري الذي يصل مصر بآسيا بل يصل إفريقيا بآسيا، وهو طريق مصر إلى المشرق - وهذا المحور الشمالي الشرقي يكاد يكون الصانع الأكبر للتاريخ المصري منذ أقدم العصور، وكان الفرعون المصري رمسيس الثاني هو أول من أدرك ولاحظ وأعلن أن أمن مصر يمكن ضمانه فقط لحظة السيطرة على سوريا.

من هذا المحور جاء الإسلام وجاءت اللغة العربية وجاء الغزاة وطرد منه الغزاة، ولعل الاستعمار الصليبي الصهيوني ممثلا ببريطانيا واليهود لمسوا ذلك مبكراً، ولما كانت دول الغرب الصليبي قد فرغت من محمد علي وابنه إبراهيم باشا عندما اجتاح بلاد الشام وصولاً إلى الآستانة فهبت فزعة من هذا الانتصار المصري الكاسح، ووقفت في وجه إبراهيم ووالده محمد علي، وفرضت عليه عام ١٨٤٠ معاهدة قاسية هي معاهدة لندن والتي كان من بنودها:

١) فتح باب مصر للاستيراد.

٢) تقليص جيش وسلاح مصر.

٣) إغلاق المصانع المصرية وتحديد إنتاجها كما نوعاً.

٤) حصر تأثير مصر داخل حدودها.

٥) بسط نفوذ محمد علي وأولاده داخل مصر طالما ظلت مصر هامدة نائمة.

وفق تلك التطورات وبعد حشر مصر في (زجاجة سيناء) وانكفاء جيش إبراهيم باشا وإملاء المعاهدة عليه وعودته إلى مصر، كتب روتشيلد إلى بالمرستون رئيس وزراء بريطانيا خطاباً له بتاريخ ١٨٤١/٨/١٨ جاء فيه:

إن مصر وحدها تستطيع أن تقوم بدور مؤثر في توحيد العرب بعد أن تسقط الإمبراطورية العثمانية - ولهذا فإنه يتحتم حجز هذا البلد (مصر) في موقعه وعدم السماح لخروجه إلى المشرق وإذا استطاع اليهود إنشاء مستعمرات كافية وقوية في فلسطين فإن هذه المستعمرات تستطيع أن تقوم بمهمة حجز مصر في إفريقيا وهذا يعطي للقوى الأوروبية يداً طليقة في المشرق العربي.

وبعد قرن من ذلك التاريخ جاء بن غوريون ليؤكد تلك السياسة وضرورة حصر مصر في الزجاجة سيناء، وأن إسرائيل هي غطاء الزجاجة الذي يحصر مصر في تلك الزجاجة[1].

وقبل ذلك كله بثمانمائة عام تقريباً كان الصليبيون قد وصلوا إلى نتيجة أن الطريق للانتصار على المسلمين وإيقاع الهزيمة بهم والسيطرة على فلسطين وبيت المقدس هو ضرب مصر، كان ذلك رأي الملك الصليبي عمور الأول وكان ذلك رأي ووصية ريتشارد قلب الأسد بعد عودته إلى إنجلترا من حملته الصليبية، لأن مصر كما كانوا يرون (وما زالوا) هي خزان المعونة والإمداد للجيوش الإسلامية وهي مركز الثقل في المقاومة الإسلامية في المشرق العربي والإسلامي، وقد تنبه هنري كيسنجر وزير الخارجية الأميركية في سبعينيات القرن الماضي عندما أعلن صراحة رأيه في الصراع في الشرق الأوسط:

أن لا حرب بدون مصر ولا سلام بدون سوريا.

---

(١) محمد حسنين هيكل - مبارك وزمانه - القسم الأول ص ١٢٩-١٣٠.

ومن واقع هذا الفهم الصليبي فقد اعتقد الصليبيون أن توحيد الدولة الأيوبية تحت زعامة الملك العادل جعل من الخطورة على الصليبيين أن يتجهوا إلى بيت المقدس لأنهم سيقعون بين نارين (فكي كماشة)، قوات العادل التي تخرج من مصر وتلك التي تخرج من الشام.

ولعل بريطانيا وعت ذلك مبكراً وعملت على فصل الشام عن مصر بزرع الدولة اليهودية في فلسطين وذلك امتداداً للفكر الصليبي التاريخي والمستمر.

وعلى الجانب الإسلامي فإن كلاً من القائدين العظيمين صلاح الدين الأيوبي وأسد الدين شيركوه أدركا أهمية توحيد مصر مع بلاد الشام بوصفها خطوة تمهيدية وضرورية لاستعادة فلسطين من أيدي الصليبيين.

ومرة أخرى وإذا كانت خلافات المسلمين وصراعاتهم على السلطة سبباً في هزائمهم أمام الصليبيين فقد كانت وحدتهم دوماً سبباً لانتصاراتهم، فكما انتصر صلاح الدين على الصليبيين في حطين عام ١١٨٧ بعد توحيده لكافة المسلمين عرباً وأكراداً وسلاجقة وزنك، فقد كانت وحدة المسلمين من أيوبيين وخوارزميين وسلاجقة سبباً للانتصار الثاني الكبير بعد (الله) في معركة أربيا (حطين الثانية) بقيادة القائد المسلم ركن الدين بيبرس وذلك في عام ١٢٤٤.

وتعزيزاً لوشائج الوحدة والانتصار والأخذ بأسبابها، وبعد توغل المغول في بلاد الشام عام ١٢٥٩م هال صاحب حلب الناصر يوسف الأيوبي ما حصل وأرسل يطلب النجدة من المماليك بقيادة قطز والذي استجاب له وتناسى أحقاده وخلافاته مع الناصر يوسف وهنا، مرة أخرى، أثمرت الوحدة بين الأيوبيين والمماليك عن انتصار حاسم للمسلمين في معركة عين جالوت عام ١٢٦٠م.

كما يذكر الأستاذ محمد حسنين هيكل في كتابه عام من الأَزمات أن ديفيد بن غوريون كان يرى أن مصر هي الدولة الحقيقية التي تمثل خطراً على إسرائيل

مستقبلاً ويتساءل لماذا لا يبقى الملك فاروق بعيداً عنا وراء حدوده وبيننا وبينه صحراء واسعة وليس لنا من مصر إلا أن نعقد معها اتفاقاً ونحن إن فعلنا ذلك فإننا نكون قد حققنا غزوة كبرى(١).

كامبل باترمان وفلسطين ١٨٣٦ - ١٩٠٨:

كتب رئيس وزراء بريطانيا كامبل باترمان قبل الحرب العالمية الأولى توصية جاء فيها:

إن إقامة حاجز بشري قوي وغريب على الجسر الذي يربط بين أوروبا بالعالم القديم ويربطهما معا بالبحر الأحمر والبحر الأبيض هو مطلب يجب أن يكون هادياً لنا باستمرار، ويجب علينا أن نضع في هذه المنطقة وعلى مقربة من قناة السويس قوة معادية لأهل البلاد وصديقة لأوروبا وعارفة لمصالحها ومن المحتم أن نجد الوسيلة العملية لتنفيذ هذا المطلب وهو حصر مصر في إفريقيا ومع أن هذا المطلب كان هدفاً أوروبياً صليبيا استعمارياً للغرب الصليبي فأصبح مطلباً ذا أولوية لإسرائيل والصليبيين في آن واحد (٢).

وفى عام ١٨٤٤ تم تأسيس جمعية الصداقة البريطانية الأجنبية والتي ضمت عدداً من اليهود الأجانب تعمل من أجل عودة اليهود إلى فلسطين تحت الحماية البريطانية كان الهدف من هذا التخطيط الخبيث تحقيق مصلحة بريطانيا التجارية وذلك بسبب موقع فلسطين على الطريق بين بريطانيا والهند، عدا عن ذلك كان

---

(١) محمد حسنين هيكل - عام من الأزمات - ص ٢٥٤.

(٢) وهذا يفسر أن الجماعات المتأسلمة التابعة لبريطانيا وأذنابها الأخوان ومن ورائهم إسرائيل يحاربون الجيش المصري في سيناء والجيش الإسرائيلي اقرب لهم من الجيش المصري ومع ذلك فان كل همهم إضعاف مصر وإبقائها مجمدة مكتوفة اليدين في إفريقيا، محشورة في زجاجتها (سيناء كما كان يحلم بن غوريون) مع انتشار المسلحين والمجرمين للإبقاء على كتم نفسها وعدم السماح لها بالخروج من تلك المساحة المضغوطة الضيقة.

بالمرستون يرى أن الوجود اليهودي في فلسطين يحقق مكسبين آخرين للمصالح البريطانية، مكسباً مباشراً وهو وجود مجموعة موالية لبريطانيا في منطقة ليس لها فيها عملاء يوالوها ومكسباً غير مباشر هو تدفق رأس المال اليهودي إلى الدولة العثمانية لدعم نظام السلطان الضعيف المنهار فيصبح السلطان أداة طيعة في يد بريطانيا وسياساتها، ومن الثابت تاريخياً أن الصهيونية كانت حتى منتصف القرن التاسع عشر مقتصرة على غير اليهود الذين اختاروا مناصرة اليهود وأن الانتقال بالمشروع الصهيوني كان من الساحة الأوروبية المسيحية إلى المسيحية اليهودية، ومع مرور ما يقارب ثلاثين عاماً بدأت بعد ذلك الهجرة الجماعية لليهود إلى فلسطين وأيضاً إلى أميركا فكانوا نواة الجالية اليهودية الضخمة وكانوا في فلسطين نواة الصهاينة، وأقيمت مستعمرات في فلسطين وواجهت هذه المستعمرات وعمليات الاستيطان في فلسطين مقاومة عنيفة ومسلحة من العرب بهجومهم على هذه المستعمرات سنة بعد أخرى.

المركز الاستراتيجي لفلسطين في تفكير الإمبراطورية البريطانية:

كتب ل.س. أمري من وزارة الحربية البريطانية الذي أصبح فيما بعد وزيراً للمستعمرات مذكرة بتاريخ ١٩١٨/١٢/٩ جاء فيها:

إن فلسطين ومصر يسيران من الوجهة الإستراتيجية معاً ففلسطين ليست حاجزاً ضرورياً أمام قناة السويس وحسب بل إن أي دفاع عن قضية فلسطين تكون قاعدته الرئيسة من الناحية الأخرى في القنطرة، وفلسطين عملياً وجغرافياً تقع في قلب الإمبراطورية والنتائج المنطقية لخط التفكير هذا وضعت في مذكرة أعدها أركان الحرب في وزارة الحربية جاء فيها:

إن إقامة دولة يهودية حاجزة في فلسطين على الرغم من أنها ستكون دولة ضعيفة بذاتها هي من الناحية الإستراتيجية شيء مرغوب فيه بالنسبة لبريطانيا العظمى.

أسباب دعم أوروبا لإنشاء وطن لليهود في فلسطين:

مما تقدم نجد أسباباً متعددة سياسية ودينية وإستراتيجية تضافرت لدعم أوروبا وأميركا لقيام دولة يهودية في فلسطين وأهم تلك الأسباب:

١) أهداف دينية صليبية حاقدة نابعة من فهم التوراة الذي كان ينص كما يدعون على عودة اليهود إلى فلسطين وظهور المسيح وقد تولى هذا التيار معظم رجال الدين الذين نادوا بذلك وكانت العقيدة البروتستانتية الإنجليزية رائدة في هذا الاتجاه وما زالت، حيث ظهر في بريطانيا مجموعة لفلرز والتي طالبت الحكومة البريطانية بأن تعلن التوراة دستوراً لبريطانيا[1].

٢) مع نهاية القرن التاسع عشر ظهرت أهمية حماية قناة السويس وتأمين طريق الهند البري لضمان مصالح بريطانيا، وبالتالي زرع دولة مخلب قط في المنطقة تكون ضامنة للمصالح الأوروبية وتابعة لها في نفس الوقت لأن هذه الدولة ستبقى ضعيفة وسط المحيط العربي دون حماية أوروبا لها.

٣) التخوف من تغلغل ألمانيا في المنطقة.

٤) الصراع الفرنسي البريطاني على المصالح في الشرق وتخوف بريطانيا من تغلغل فرنسا.

٥) الشعور بالذنب إزاء اضطهاد اليهود في أوروبا.

٦) الرغبة المشتركة في التخلص من اليهود من جهة وتحويل هجرتهم إلى خارج أوروبا من جهة أخرى وليس أدل على ذلك من اضطرار الحكومة البريطانية عام ١٩٠٢ إلى تشكيل لجنة ملكية للتحقيق في الهجرة إلى إنجلترا إثر ازدياد هجرة اليهود من روسيا وبولندا إلى شرق لندن في بريطانيا، والتخوف من النزعة اللاسامية والمعارضة الإنجليزية لهذه الهجرة، وأعلن هرتزل أمام هذه

(١) محمد السماك - الصهيونية المسيحية - ص ٣٨.

اللجنة أن اليهود يحملون اللاسامية معهم أينما ذهبوا وأن الحل الوحيد لهـذه المشكلة هو الصهيونية التي تهدف إلى إقامة وطن لليهود خارج أوروبا.

٧) تخليص المجتمع الأوروبي والأميركي من مشاكل اليهود ومكائدهم السياسية والاقتصادية الخبيثة الهادفة إلى تحطيم المجتمعات الغربية والسيطرة عليها.

٨) تجميع اليهود في مكان مهم واستراتيجي هو فلسطين لتكون قاعدة استعمارية للسيطرة على الشرق الأوسط من جهة ولإضعاف قدرة العرب والمسلمين على التوحد أو النهوض في أي حركة إصلاحية وطنية عن طريق فصل سوريا عن مصر وهما الدولتان اللتان تحطمت على أسوارهما وبوحدتهما كافة الحملات الصليبية والمعادية عبر التاريخ، لأن من يسيطر على الشرق الأوسط يسيطر على العالم لكون الشرق الأوسط يصل بين القارات الثلاث إفريقيا وأسيا وأوروبا وأكبر مخزن عالمي للبترول ومن يسيطر عليه من أفغانستان شرقاً إلى طنجه غرباً يسيطر على البترول والمواد الخام والممرات المائية ويخنق روسيا والصين واليابان وهو خط دفاع أول عن أوروبا ضد روسيا.

وهكذا بدأت بذور نشأة الحركة الصهيونية العالمية والصليبية بالتعاون اليهودي الأوروبي.



الفصل التاسع

الصهيونية - تعريفها:

يطلق اصطلاح الصهيونية على النظرة المحددة والشعور العام الذي انتاب أوروبا ابتداء من نهاية الحروب الصليبية حتى عام ١٨٩٧ وهو العام الذي انعقد فيه المؤتمر الأول للحركة الصهيونية.

وخلاصة هذا الشعور العام والفكرة لدى اليهود يرى أن اليهود ليسوا جزءاً من التشكيل الحضاري الغربي بل هم شعب الله المختار والجماعة المقدسة التي استوطنت القدس في فلسطين ويجب أن تُهجرَّ إليها وبعد المؤتمر الصهيوني الأول تحدد مصطلح الصهيونية وأصبح يشير إلى الدعوة التي تبشر بها المنظمة الصهيونية وإلى الجهود التي تبذلها وأصبح الصهيوني هو من يؤمن ببرنامج بال وأصبحت الصهيونية تعني تهجير اليهود المشتتين في الأرض إلى فلسطين لتأسيس الدولة اليهودية التي تدين بالدين اليهودي والعنصر اليهودي والثقافة اليهودية وتعمل على بعث مملكة داود وبناء الهيكل مكان المسجد الأقصى واتخاذ فلسطين مركز انطلاق للسيطرة على المنطقة الموعودة لنسل إبراهيم (أو إبرام) كما يدعي اليهود والممتدة من نهر مصر أو مصرايم في مصر إلى نهر الفرات في العراق، أما كلمة صهيون، فهي اسم التلة المرتفعة في بيت المقدس التي بنى عليها النبي داود (عليه السلام) قصره المنيف ومن هنا اشتقت الصهيونية نسبة إلى صهيون.

بذور الحركة الصهيونية:

بعد أن تم استعراض أشكال الدعم والتأييد المتعددة لليهود من قبل الدول الأوروبية وأميركا نستعرض فيما يلي الحركات والمنظمات اليهودية وروادها من قبل اليهود أنفسهم.

تطور الحركة الصهيونية العالمية والشخصيات التي نادت بعودة اليهود إلى فلسطين:

لعب رجال الدين والكتاب ورجال المال اليهود دوراً بارزاً في تطور الحركة الصهيونية المطالبة بالعودة إلى فلسطين على اختلاف أماكن تواجدهم في أوروبا وأميركا وباقي دول العام كان من أبرزهم:

١) الراب يهوداً القلعي ١٧٩٨ -١٨٧٨:

وهو حاخام يهودي وأحد رواد الفكر الصهيوني، من مواليد سراييفو (البوسنة)، هاجر إلى القدس وكان حاخام سلمين من مؤلفاته "الكثير من أجل الرب" واسمعي يا إسرائيل الذي يدعو فيه إلى الهجرة إلى فلسطين،

ويعتبر من أوائل الشخصيات اليهودية التي نادت بإقامة دولة يهودية في فلسطين وقد ساهم القلعي في التأثير على آراء الحاخام زفا هيرش كاليشر الذي أصدر سنة ١٨٦٢ كتاباً بالعبرية بعنوان دريشات تسيون -البحث عن صهيون-، وكان القلعي -الكعي- غارقاً مثله مثل باقي اليهود في الغيبيات الدينية.

وكانت قد انتشرت إشاعة في البلقان بأن سنة ١٨٤٠ ستكون سنة الخلاص، فأصدر القلعي عام ١٨٣٤ كتاباً في تعليم اللغة العبرية دعا فيه اليهود إلى الاستغراق في الصلاة تحقيقاً للنبوءة المسيائية ثم أصدر كتاباً آخر أسماه شلوم يرد تشالايم، حث فيه اليهود على دفع عُشر أموالهم لدعم يهود القدس.

٢) الحاخام زفا هيرش كاليشر ١٧٩٥ -١٨٧٤:

وكان حاخام اليهود في مدينة بورتن في ألمانيا، رفض تفسير القلعي بأن فكرة العودة المبنية على النبوءة التوراتية بانتظار ظهور المسيح وراح ينادي من خلال كتابه "عقيدة صادقة" الذي نشر عام ١٨٤٣ بأن استرداد صهيون يجب أن يبدأ بالعمل عليه من قبل اليهود أنفسهم لتمكين اليهود من الهجرة والاستيطان في

فلسطين، وطالباً توفير المساعدات المالية لتمكين اليهود من الهجرة والاستيطان وبناء المستوطنات كما أصدر كاليشر كتابه مطلب صهيوني عام ١٨٦٢ بعنوان ريشات صهيون (البحث عن صهيون) لخص فيه أفكاره ومطالباته في الهجرة والاستيطان وقام كاليشر بتأسيس جمعية استعمار أرض فلسطين للهدف ذاته.

٣) موزس هس ١٨١٢ -١٨٧٥:

وهو يهودي ألماني كان متأثراً بحركة القوميات الأوروبية التي انتشرت في أوروبا بعد الثورة الصناعية وابتدع فكرة القومية اليهودية الحديثة واستعمار الأراضي المقدسة عام ١٨٦٧، ويعتبر أول المفكرين الذين حاولوا معالجة القضية اليهودية على أساس قومي وليس على أساس ديني، له كتاب فلسفي بعنوان التاريخ المقدس للإنسانية وهو الذي نقل الصهيونية من عالم النظريات إلى عالم الحركة.

وأصدر عام ١٨٦٢ كتابه روما والقدس آخر مسألة في القومية اليهودية وتبنى الدعوة لعودة اليهود إلى فلسطين والشام، وكتب في كتابه روما والقدس" إنني أشعر كيهودي أنني أنتمي إلى شعب بائس سيء الحظ محتقر ومشتت بين أمم العالم وأن اليهود في بعض البلاد يهربون من يهوديتهم وفي ألمانيا يحاول اليهود أن يخلعوا عنهم كل ما يشير إلى أنهم يهود والشعوب الأوروبية تشعر أن اليهود غرباء عنهم وسيظل اليهود غرباء بين الأمم[١].

٤) منظمة عشاق صهيون (أحباء صهيون) - حوفيفي تسيون:

تأسست هذه المنظمة الإرهابية على يد يهود روسيا عام ١٨٨١، وقامت هذه المنظمة بحركات سرية ضد قيصر روسيا إبان القلاقل والمشاكل التي تعرض لها اليهود في روسيا خلال القرن التاسع عشر.

---

(١) محمد حسنين هيكل- المفاوضات السرية ج ١ - ص ٦٤.

وقد اتخذت هذه المنظمة من اضطهاد اليهود في أوروبا ذريعة لتنظيم حركة يهودية سياسية تستهدف وطناً قومياً لليهود في فلسطين تحت ذريعة الوطن القومي التاريخي والوعد بالعودة.

وكان تأسيسها من قبل ٢٥ طالباً من الطلاب اليهود في جامعة جاركوف وراحت تتغنى بحب صهيون واستعادة مجد إسرائيل ودعت إلى إحياء اللغة العبرية بدلاً من اليديشية وذلك بعد صدور قوانين أيار التي كانت قاسية على اليهود وفرضت قيودا عليهم (بين عامي ١٨٨١- ١٨٨٣) بعد مقتل القيصر وقيودا على هجرتهم من بولونيا وروسيا ورومانيا (الهجرة الأولى ١٨٨١- ١٩٠٤) إلى فلسطين.

٥) الدكتور ليو بنسكر ١٨٢١ -١٨٩١:

وهو طبيب روسي أصدر عام ١٨٨٢ في برلين كتاباً بعنوان التحرر الذاتي دعا فيه إلى تهجير (الفائض) من اليهود والفقراء منهم (خاصة) إلى فلسطين كحل نهائي للمسألة اليهودية ودعا إلى مؤتمر عام لليهود وإنشاء شركة مساهمة للممولين اليهود مهمتها شراء الأراضي في فلسطين، وحصلت منظمة أحباء صهيون على الترخيص القانوني من الحكومة عام ١٨٩٠، وهكذا تم تأسيس لجنة مركزية بقيادة بنسكر مركزها أوروبا وأطلق عليها اسم جمعية تقديم المساعدات للمستعمرين والصناع اليهود في فلسطين وسورية، وقامت بفتح مكتب دائم للجمعية في مدينة يافا للإشراف على عمليات شراء الأراضي فتنبهت السلطات العثمانية لذلك وفرضت القيود على هجرة اليهود إلى فلسطين وأغلقت مكتب المنظمة في يافا الذي مني بخسائر مالية فادحة.

وكان بنسكر يرى أن اللاسامية (أي معاداة اليهود من قبل الشعوب الأخرى)، لا تزول ما دام اليهود دون دولة خاصة بهم لأَن الشعور بالكراهية ضد اليهود (حسب بنسكر) متأصل في النفس البشرية، ودعا إلى إنشاء وطن لليهود في

أي بلد في العالم في أميركا الشمالية أو في آسيا في تركيـــا، قطعـــة أرض أي أرض تكفي لإخواننا البؤساء ولا يستطيع أحد أن يطردنا منها، وحمّل في كتابه التحـــرر الذاتي اليهود مسؤولية ما يحصل لهم وكتب قائلاً إن لم يعن اليهود باليهود فلن يعن بهم أحد وقد تأثر بنسكر بالمذابح التي تعرض لها اليهود في روسيا على يد حكومـــة القيصر الثالث بعد قتل اليهود للقيصر الثاني عام ١٨٨١.

وقد وصف ليوبنسكر وضع اليهود في المجتمعات العالمية قائلاً بالنسبة للإحياء فإن اليهوديَّ ميتٌ وللمواطنين يعتبر أجنبياً وللأغنياء يعتبر فقيراً وللفقـــراء يعتـــبر مستغلاً ومرابياً وللوطنيين لا بلاد له وللسكان متجولاً.

٦) فلاديمير جابوتنسكي ١٨٨٠-١٩٤٠:

ولد في أوكرانيا في ١٨/١٠/١٨٨٠ وتوفي في ٤/٨/١٩٤٠ وهـــو يهـــودي روسي اشتهر بعباراته التحريضية على العنف ومن أقواله:

عندما تضرب الفولاذ بمطرقة فإن الجميع ينتبهون أما عندما تلـــبس القفـــاز فلا أحد ينتبه لك وهو القائل السياسة فن القوة.

ومن أقواله أمام رئيس الطلاب اليهود في فينا "إن السيف الذي نحمله على الدوام هو هوية أجدادنا القدماء لقد امتلكه أجدادنا قبل غيرهم من الشعوب لأنه أُنزل إلينـــا مع التوراة من السماء وبحده المرهف صار وعد الله حقيقة جغرافية وهذه الفكرة.

وقد صرح فلاديمير جابوتنسكي عام ١٩٣٤ بأَن مصلحة اليهـــود تتطلـــب الإبادة النهائية لألمانيا فالشعب الألماني بأسره يشكل تهديداً لنا.

وقد ساهم جابوتنسكي مع ترومبلدور بتأسيس الفيلق اليهودي بالتنسيق مـــع بريطانيا الذي كان له دوراً رئيساً في قمع وقتل العرب في فلسطين.

٧) تيودور كاوفمان ١٩١٠-١٩٨٦:

كاتب أميركي كتب كتاباً بعنوان لابد من إبادة ألمانيا، وهو من أهم الكتـــب المحرضة على الألمان وقد ورد في هذا الكتاب أن كل الألمان مهما كان تـــوجههم

السياسي حتى لو كانوا معادين للنازية أو شيوعيين أو حتى محبين لليهود لا يستحقون الحياة لذا لا بدّ من تجهيز آلاف الأطباء بعد الحرب ليقوموا بتعقيمهم حتى يتسنى إبادة الجنس الألماني تماماً خلال ستين عاماً.

٨) مناحيم بيغن ١٩١٣-١٩٩٢م:

مؤسس حزب الليكود، اشتهر بمذابحه في منظمة الأرغون وتفجير فندق داوود وهو القائل إن العالم لا يشفق على المذبوحين ولكنه يحترم المحاربين، والقائل لولا مذبحة دير ياسين لما قامت دولة إسرائيل، وهو القائل أيضاً لن يكون هناك سلام لشعب إسرائيل ولا في أرض إسرائيل ولن يكون هناك سلام للعرب ولا في أرض العرب وسنستمر في تحرير وطننا وإنقاذ أرضنا من نير العرب وستستمر الحرب بيننا وبينهم حتى لو وقّع العرب معنا معاهدة صلح.

٩) الدكتور أوسكار ليفي ١٨٦٧-١٩٤٦:

كاتب يهودي أميركي، قال في مقدمة البروتوكولات قولاً يكشف حقيقة اليهود (نحن معشر اليهود صنعنا الحرب العالمية نحن اليهود لسنا إلا مضللي العالم ومحرِّفيه وقاتليه إن ثورتنا الأخيرة لم تعم بعد ونحن صنعنا أُسطورة الشعب المختار).

١٠) نيتشه - ١٨٤٤ - ١٩٠٠:

كتب نيتشه في كتابه انبلاج الفجر سيكون مصير اليهود أحد المشاهد التي سيدعو القرن القادم البشرية لمشاهدتها لقد سبق السيف العذل فإما أن يصبحوا سادة أوروبا أو يفقدوها فهم الآن في وضع مشابه لذلك الذي واجهوه في مصر قبل قرون ففقدوها.

وربما تسقط أوروبا في أيديهم كفاكهة ناضجة إذا لم يحاولوا أن يقضوا عليهم.

١١) روتشيلد اليهودي ١٧٤٤ - ١٨١٢ - فرانكفورت - ألمانيا:

واسمه الحقيقي إمشيل ماير باور، أسس مع زوجته اليهودية غوتاشناير الأُسرة الروتشلديه وانطلق من فرانكفورت في ألمانيا من محل بيع الأدوات المستعملة وأسس

إمبراطورية مالية، وكانت وصيته لأبنائه وأحفاده قبل مماته تذكروا يـــا أبنـــائي إن الأرض جميعها ينبغي أن تكون ملكاً لنا نحن اليهود لأن غير اليهود حشرات يجـــب ألا يملكوا شيئاً.

١٢) جوزيف سلفادور ١٧٩٦ -١٨٧٣:

وهو أول كاتب يهودي دعا إلى العودة إلى صهيون في كتابه رومـــا بـــاريس أُورشليم.

١٣) أشير غينتسبرج ١٨٥٦ - ١٩٢٧ - آحاد هاعام:

آحاد هاعام هو اسمه المستعار ويعني بالعبرية واحد من عامة النـــاس، ولـــد في أُكرانيا - أُوديسا - واسمه أشير تسفي هيرش غينتسبرج، وهو فيلـــسوف الحركـــة الصهيونية ونشر عام ١٨٨٥ كتابه (ليس هذا هو الطريق) ودعا إلى انعطاف فكري في حركة جيبات تسيون وعرض لأول مرة مبادئ التيار الفكري المسمى لاحقـــاً الصهيونية الروحية، وقد رفع أحاد هاعام شعار السيف والدم والتدمير والجمعيات السرية التي تعمل تحت الأرض وقد تبنى في أول مراحل حياته الـــسياسية الفكـــر الاندماجي إلى أن انقلب عليها وتبنى أفكار هرتزل في تحديد الأرض أولاً، وكـــان يرى أن بعث الروح اليهودية العنيفة كالروح التي نمت في التيه على يـــد موســـى ويشوع وبهذه الحيل استطاع يشوع دخول فلسطين من ناحية أريحا، وكان أحـــد مستشاري وايزمان في سعيه إلى الحصول على وعد بلفور.

١٤) صموئيل موهليفر ١٨٢٤ -١٨٩٨:

وهو من أبرز الزعماء الصهيونيين المتدينين، أحد زعماء حركة هواة صـــهيون ومن الأوائل الذين ساهموا في عقد مؤتمر بال في سويسرا عام ١٨٩٧ وكان مؤمنـــاً بنظرية كاليشر، هاجر إلى فلسطين مع أتباعه وأنشأ مستوطنة رحفوت وخلاصـــة رأيه أن الخلاص سيأتي بصورة طبيعية أي عندما يستحقونه وقـــام بالتنـــسيق مـــع روتشيلد بشراء ما مساحته ٣٧٥٠ دونم من الأراضي الواقعة جنوب الرملة أسماها

عكرون وسميت فيما بعد (مزكيرت باتيه) تخليداً لوالدة روتشيلد، واستطاع عـــام ١٨٩٠ الحصول على اعتراف شرعي من الحكومة الروسية بحركته تمكن من مزاولة نشاطه بصورة علنية، وكان صموئيل من ضمن الأعضاء البارزين لحركـــة هـــواة صهيون الذين تصدوا لهرتسل في مؤتمر بال وطالبوا بضم أعضاء ورعين في اللجنـــة التنفيذية للحركة الصهيونية.

١٥) مونتفيوري ١٧٨٤ -١٨٨٥:

وهو ثري إنجليزي وزعيم الجماعة اليهودية في إنجلتـــرا، تقـــدم مونتفيـــوري بمشروع لإعادة توطين اليهود في فلسطين أثناء الحكم المصري لبلاد الشام ١٨٣١ - ١٨٤٠ ولكن محمد علي رفض المشروع وبعد عودة بلاد الشام للدولة العثمانيـــة بمساعدة الدول الأوروبية التي انقلبت على محمد علي أعاد مونتفيـــوري جهـــوده لإحياء المشروع وزار الآستانة وحصل على فرمان السلطان عبد المجيد عام ١٨٥٦ الذي يمكنه من شراء أراضٍ بالقرب من القدس ويافا فأنشأ فيها البساتين وأســـكن بعض العائلات اليهودية إلا أن مشروعه فشل وبقي مجمداً.

١٦) لورنس أوليفانت - ومشروعه ١٨٢٩ -١٨٨٨:

كان عضواً في البرلمان الإنجليزي ووزيراً للخارجية، أصدر عام ١٨٨٠ كتابه (أرض جلعاد) واصفاً فيه مشروعه الذي اعتمد على فصل أراضي البلقاء عن نابلس ليستطيع اليهود استغلال أراضي البلقاء بواسطة الأموال والخبرات اليهودية، إذ تقوم الدولة العثمانية بدورها ببيع الأراضي الأميرية لليهود وتأخذ الضرائب منهم كـــل عام، واقترح إقامة مستوطنة يهودية على مساحة مليون ونصف المليون فدان شرق نهر الأردن.

إلا أن السلطان عبد الحميد الثاني رفض المشروع خشية أن تلعـــب بريطانيـــا بالورقة اليهودية ضد السلطنة تمهيداً للسيطرة على فلسطين[1].

---

(١) وهذا ما تحقق بالفعل.

١٧) بيرتس سمولينسكي ١٨٤٢ -١٨٨٥:

نشر مجموعة قصص أكد من خلالها أن اليهود قومية قائمة بذاتها، وهو واحد من المسكيليم الروس الذين عملوا في الكتابة.

ويعتبر سمولينسكي أبو فكرة القومية اليهودية إذ يشرح موقفه من المسألة اليهودية بقوله: إن الشعب اليهودي أحجية عمرها أربعة آلاف سنة تسير بين باقي الشعوب الذين ينظرون إليها **نظرهم إلى حيوان كبير ومخيف** ولهذا فإن كل الشعوب تبغض الشعب اليهودي في قلبها لأن ديانته تختلف عن مثيلتها بالنسبة لأي شعب آخر، وهو يعتقد أن اللاسامية أبدية ومغروسة في قلوب كل الشعوب لأن اليهود غرباء في البلدان التي يعيشون فيها ولا وطن لهم ويثيرون كراهية الآخرين لهم لأسباب دينية واقتصادية، وإذا اختفى الكره الديني جدلاً سيحل محله الكره العرقي فحتى مناوئو اللاسامية يريدون القضاء على اليهود على طريقتهم الخاصة بواسطة الإصلاح ودعا إلى عقد مؤتمر من حكماء اليهود للتشاور في تهجير اليهود إلى فلسطين بروح طيبة وقلب رحيم[١].

١٨) موسى بن ميمون - ١١٣٥ -١٢٠٤:

فيلسوف وطبيب يهودي/ أندلسي المولد وأكبر مفكر يهودي في القرون الوسطى، وضع كتاب المشناة الذي جمع فيه التعاليم اليهودية من التوراة بالعبرية ثم وضع كتاب دليل الحائرين بالعربية ثم جاء الحاخام يوسف كارو ١٤٨٨ -١٥٧٥ الذي خرج مع اليهود من إسبانيا إلى صفد وتخرَّج في المدرسة الدينية فيها ووضع كتابه الذي عمل عشرين عاماً عليه أسماه المائدة الجاهزة، وبعد هروب اليهود من إسبانيا وتفرّغ حاخاماتهم وكتّابهم للكتابة والبحث في أسباب ما تعرض له اليهود من اضطهاد، توصلوا إلى فكرة الكابلاه، وهي ممارسات ترى أن لا أمل في تغيير

---

(١) تاريخ الصهيونية - صبري جرجس - ص٨٥.

حياة اليهود إلاَّ بإعداد النفوس البشرية للخلاص وتطهيرها بالصلوات والتعمق في حكمة الله وتعاليمه للإفادة من نعمه لأنه لا يمكن الإسراع في ظهور المسيح إلا بالإكثار من الصلوات والتوبة.

١٩) حركة شبتاي تسفي ١٦٢٦ -١٦٧٦

ومن أسمائه أيضاً شبتاي بن زيفي، وهو من مواليد أزمير في تركيا، إذ ظهرت الحركة بين يهود أزمير في تركيا عندما أعلن مؤسسها تسفي عن نفسه بعد أن أصبح حاخاماً أنه المسيح المنتظر وأسس حركته عام ١٦٦٥-١٦٦٦، سجنته الدولة عام ١٦٦٦ بدعوى بث الفتنة وإفساد الديانة اليهودية وادعاء النبوة، تحول إلى الإسلام لينجو من القتل وتسمى باسم محمد عزيز أفندي وأقنع الكثير من أتباعه باعتناق الإسلام الذين أطلق عليهم الأتراك اسم الدونمه، وهي من مصدر مشتق من فعل دونمك بمعنى عاد أو رجع.

٢٠) حركة الهسكلاه - موشي مندلسون ١٧٢٩ - ١٧٨٦

وهي حركة علمانية من أساسها مغايرة لكل الحاخامية والحسيدوت التي رأت ضرورة اندماج اليهود في مجتمعاتهم كحل لأوضاعهم.

بدأ نشاط هذه الحركة في ألمانيا الأمر الذي يفسر اندماج يهود ألمانيا في أوساط المجتمع الألماني أكثر من غيرهم في باقي دول أوروبا.

٢١) حاييم وايزمان ١٨٧٤ -١٩٥٢:

وهو أول رئيس لإسرائيل، ولد في روسيا عام ١٨٧٤ وبرز كعالم كيميائي وشارك في جميع مؤتمرات الحركة الصهيونية باستثناء المؤتمر الصهيوني الأول، هاجر إلى بريطانيا عام ١٩٠٤ حيث عمل مدرساً في جامعة فيكتوريا بمانشستر وسرعان ما أصبح من أبرز الشخصيات الصهيونية في بريطانيا وتعرف على شارل سكوت محرر صحيفة مانشستر غارديان، وأقنعه بصحة مساعي الصهيونية لإقامة دولة

يهودية في فلسطين وضرورة تبني بريطانيا للفكرة وكان سكوت على علاقة بعــــدد من السياسيين الإنجليز، وكان وايزمان مؤمناً بأن بريطانيا هي الدولة الوحيدة الـــتي يمكنها أن تساعد الصهيونية في تحقيق هدفها، وفي عام ١٩١٤ اجتمع مع هربـــرت صموئيل - أول يهودي يدخل الحكومة البريطانية - ولويد جـــورج للبحـــث في خطط الصهيونية ومستقبل فلسطين، وقد عزز وضع الحلفاء العسكري وتـــدهوره عام ١٩١٦ من أهمية دخول أميركا الحرب وهنا تحالف الإنجليز مع اليهود لاختراق أميركا وإقناعها الدخول في الحرب عن طريق الاتصال بالقاضي لويس برانـــديس زعيم الحركة الصهيونية في أميركا والتوسط لدى رئيس الولايـــات المتحـــدة ودرو ولسون وذلك نظراً لما لليهودي برانديس من تأثير على الرئيس الأميركي، وفي عام ١٩٢٣ قام حاييم وايزمان بوصفه رئيس المنظمة الصهيونية بزيارة موسوليني لمحاورته بشأن الصهيونية والدعم الفاشي الممكن تقديمه للحركة واكتشف الزعيم الصهيوني أن اعتراض موسوليني على الصهيونية مرده إحساسه أن الصهيونية أداة لإضـــعاف الدول الإسلامية لصالح الإمبراطورية البريطانية - وكان ذلك صـــحيحاً - إلا أن وايزمان أخبره بأن إيطاليا يمكن أن تستفيد من إضعاف الدول الإسلامية أيضاً.

وفي عام ١٩١٦ استقالت حكومة إسكويت البريطانية ليأتي لويـــد جـــورج رئيساً للوزراء ويعين بلفور وزيراً للخارجية واستعان لويد جورج بحاييم وايزمـــان لتطوير وإنتاج بعض الذخائر الضرورية للحرب وتعاون وايزمان معه وأبلغه لويـــد جورج أنه سيطلب مكافأة له من السلطات إلا أن وايزمان طلب المكافأة لـــشعبه وليس له شخصياً وهكذا كان وعد بلفور، وبالرغم من أن هذا كان طموح اليهود إلا أنهم انزعجوا من بريطانيا **لأن التصريح كان ينص على وطن قومي يهودي في فلسطين ولكنهم كانوا يريدون كل فلسطين.**

وقد كتب وايزمان في مذكراته: ما هي أسباب حماسة الإنجليز لمساعدة اليهود وشدة عطفهم على أَماني اليهود في فلسطين؟ والجواب علـــى ذلـــك أن الإنجليـــز

لا سيما من كان منهم من المدرسة القديمة البروتستانت هم أشد الناس تأثراً بالتوراة، وتدين الإنجليز هو الذي يساعدنا في تحقيق آمالنا، لأن الإنجليزي المتديّن يؤمن بما ورد في التوراة بوجوب عودة اليهود إلى فلسطين كما أشار في مذكراته إلى أن إنشاء دولة إسرائيل لم يكن بعيداً قط عن ضرورة حماية قناة السويس.

٢٢) هربرت صموئيل ١٨٧٠-١٩٦٣:

في عام ١٩١٥ قدم صموئيل بوصفه عضواً في وزارة الحرب مذكرة إلى رئيس وزراء بريطانيا إسكويت ومذكرة أخرى وزعها على باقي الوزراء مقترحاً إقامة محمية بريطانية في فلسطين يسمح لليهود بالهجرة إليها لإقامة مركز ثقافي وروحي لليهود مما سيكون له نتائج حميدة على موقف اليهود في كافة أنحاء العالم تجاه بريطانيا.

وجاء في مذكرة صموئيل:

أ- إنه مهما يكن من شأن أي اتفاقيات مع فرنسا فإن فلسطين يجب أن تخرج من أي اتفاقيات معها لأن سيطرة أُوروبية على قناة السويس تهديد مستمر ومخيف لخطوط المواصلات الإمبراطورية.

ب- إن الحل الذي يعرض أكبر فرصة للنجاح ولضمان المصالح البريطانية هو إقامة اتحاد يهودي كبير تحت السيادة البريطانية في فلسطين ويستطيع الحكم البريطاني أن يعطي تسهيلات لليهود لشراء الأراضي وإقامة المستعمرات وتنظيم الهجرة حتى يتمكن اليهود من أن يصبحوا أكثرية، هذا مع ملاحظة أن هناك عطفاً واسع الانتشار وعميق الجذور في العالم البروتستانتي لفكرة إعادة الشعب العبراني إلى الأرض التي أعطتها له النبوءات[١].

٢٣) توماس كلارك ١٩٠٣-٢٠٠٥:

وأصدر كتابه الهند وفلسطين وكتب فيه: إن بريطانيا تعتمد على التجارة كحجر زاوية في عظمتها وأفضل وأقرب مكان للتجارة العالمية يمر عبر المكان الذي

(١) المفاوضات السرية - محمد حسنين هيكل - ص١١١.

تلتقي فيه القارات الثلاث الكبرى، وبما أن اليهود يمثلون شعباً تجارياً في الأصل فإنه ليس أكثر ملائمة ولا منطقاً من زرعهم على طول ذلك الطريق العظيم، ولما كانت مساحة فلسطين صغيرة فإنه يمكن إقناع الحكومة العثمانية بتهجير السكان المحمديين إلى شمال العراق(١).



(١) المفاوضات السرية - محمد حسنين هيكل - ص ٦٥.

الفصل العاشر

أدوات الاستعمار الصهيوني في فلسطين



بالإضافة إلى الحكومات الأوروبية وتأييدها لليهود وتسهيل عودهم إلى فلسطين، ظهر الكثير من الأفراد كتّاباً وسياسيين ورجال دين ومنظمات عملت جميعاً على تأييد الحركة الصهيونية وإعادة اليهود إلى فلسطين وشراء الأراضي في فلسطين تمهيداً لبعث الدولة اليهودية نذكر منها:

*** أولاً: على مستوى المنظمات:**

١) **جمعية التحالف اليهودي العالمي/ الاليانس** - وتأسست في باريس عام ١٨٦٠ بالتعاون مع الفرع الفرنسي من بيت روتشيلد المالي وتأسست على يد اليهودي الفرنسي أدولف كراميه وهو عضو مجلس النواب ووزير العدل في حكومة فرنسا منذ عام ١٨٧٠ وعهد إليها تعليم أبناء اليهود في فلسطين على المستوى السياسي والثقافي والزراعي.

٢) **جمعية رومانيا الاستعمارية:** وتشكلت باتحاد ٣٢ جمعية لتهجير اليهود وعملت بمساعدة اللجنة المركزية لأحباء صهيون على نشر الفكر القومي لدى اليهود وتعزيزه ورفع شأن اللغة العبرية باعتبارها لغة قومية.

٣) **يسوده معلاة:** تأسست عام ١٨٨٢ على يد زلمان رافيد ليوفينين مبعوث الجمعيات الروسية التي كانت تعمل على استيطان اليهود في فلسطين.

٤) **البيلو:** وهي مختصر للعبارة العبرية (تعالوا نرحل لبيت يعقوب)، وسجلت رسمياً في الدولة العثمانية عام ١٨٨٢ وكان همها تجهيز الطلائع الحالوكا وتهجيرها إلى فلسطين.

٥) **جمعية أحباء صهيون**: تأسست عام ١٨٨٢ وهي أول حركة صـــهيونية ذات طابع سياسي هدفت لتهجير اليهود إلى فلسطين وتأسيس المعاهد التعليميـــة في فلسطين وقد سبق الحديث عنها في بذور الحركة الصهيونية.

٦) **الوكالة اليهودية - جمعية الاستعمار اليهودي** تأسست عام ١٨٩٧ وهو نفس العام الذي عقد فيه المؤتمر الصهيوني الأول وأقيمت برأسمال ٢ مليون فرنـــك وكان التمويل من قبل روتشيلد وهرش (دي هرش) وكانت نتيجة عملية لمؤتمر بازل سنه ١٨٩٧ وهي الجهاز الذي يشرف على حركة الاستعمار الاستيطاني وقد نالت هذه الوكالة دعم بريطانيا وقامت بتزويد المستوطنين بكل ما يلزمهم لتكوين أنفسهم في المستعمرات من بناء ورأسمال وعقار حيث قامت السفارة البريطانية في اسطنبول بإصدار تعليمات إلى القنصل الإنجليزي في القدس بتقديم الحماية البريطانية لمشاريع الجمعية.

٧) **الصندوق القومي اليهودي**: أسس عام ١٩٠٠، وكان يهدف لشراء الأراضي في فلسطين وبيعها للآثار والزراعة.

٨) **المصرف اليهودي للمستعمرات**: أنشئ بهدف إدارة الاســـتعمار في الـــشرق ولا سيما في فلسطين.

٩) **مكتب فلسطين**: أسّس من أجل توسيع شركة الاســـتيطان اليهـــودي عـــام ١٩٠٣ بتمويل من البنوك اليهودية.

١٠) **البنك الإنجليزي الفلسطيني**: تأسس في لندن عام ١٩٠٣ ومركزه الرئيس في يافا وكان له فروع في القدس والخليل وصفد وهدفه البحث عن امتيـــازات لمشروعات اقتصادية تخدم المشروع الصهيوني.

١١) **تحيات إسرائيل**: أسست أواخر سنه ١٨٨١ على يد بعض اليهود في القـــدس بمبادرة من ميخل بنينس وأليعازر بن يهودا وهي شركة سرية لشراء الأراضي في فلسطين أسموها تحيات إسرائيل - بعث إسرائيل.

١٢) **جمعية البيكا Pica**: أُنشئت هذه الجمعية عام ١٨٨٣ برعاية إدموند روتشيلد بهدف شراء الأراضي في فلسطين وتهيئتها للاستيطان الاستعماري اليهـــودي، تمكنت حتى عام ١٩٠٧ من إنشاء ٤٢ مستعمرة على أراضيها بتمويل منـــها وقد بدأت القيام بمشاريع تجفيف المستنقعات منذ عام ١٨٩٣ حتى تـــشجع على جلب المهاجرين وبيع الأراضي لهم.

١٣) **شركة الاستيطان اليهودي - يكا - JCA**: تأسست في بريطانيا عام ١٨٩١ من قبل البارون هيرش اليهودي الفرنسي وكان هدفها العمل على حل ضائقة يهود روسيا لاسيما بعدما تعرضوا له من ضيق بسبب مـــشاركتهم في قتـــل القيصر الروسي عام ١٨٨١.

١٤) **بو عالي تسيون** / العامل الصهيوني.

١٥) **تساعيري تسيون / العامل الشاب**: كان الحزبان أعلاه قد صمما تحت تأثير حماسهم لعقيدتهم وتمسكهم بها إقامة مجتمع صهيوني عمالي في فلسطين وأعلن حزب بو عالي تسيون أنه يسعى إلى استقلال سياسي للـــشعب اليهـــودي في فلسطين وشعاره هذا كان أول حزب صهيوني يطالب عملياً بإقامـــة دولـــة يهودية موضحاً أنه سيحارب كل العوائق التي تقف في طريقه لإقامـــة دولـــة يهودية في فلسطين.

١٦) **جمعية عزره - ١٩٠١**: تأسست في ألمانيا من أجل مساعدة اليهود وعملـــت في المجال الثقافي وهي التي أسست معهد التخنيون وهو من أكبر المعاهد العلمية في العالم.

١٧) **الحركة النازية**: كان النازيون يساعدون اليهود للهجرة إلى فلسطين بـــالرغم من الخلافات المحتدمة بين الحركة النازية واليهود، فقد رأت الحركة النازية أن من مصلحتها التفاهم مع اليهود - ليس حبا فيهم ولكن للـــتخلص منـــهم

وطردهم من ألمانيا - وهكذا، ومن واقع الرؤية الإيديولوجية للحركة النازيـــة تجاه اليهود ورغبتها في التخلص منهم فقد وقعت مع الصهاينة معاهدة الهمفراة للمساعدة في تهجير اليهود إلى فلسطين إذ تم تهجـــير ١٥٠ ألـــف يهـــودي ما بين ١٩٣٣-١٩٣٨.

١٨) **جمعية شهود يهوه:** تأسست عام ١٨٨٤ على يد جون طوماس وأسماها جماعة أخوة المسيح التي تقوم دعوتها على تطبيق النبوءات التوراتية وسفر الرؤيا، على الأحداث الحاضرة والمستقبلية، وقد حاول أحد أَتباعها (فرانك جنادي) إظهار الحركة الصهيونية بمظهر البينة أو العلامة على مجيء المسيح قريباً ليبسط حكمه وسلطانه على العالم أجمع من مقره في القدس وكان انطلاق الجمعية في ولاية بنسلفانيا ثم انتقلت إلى نيويورك عام ١٩٠٩ حيث أخذت توفد المبشرين إلى جميع أنحاء العالم لكسب التأييد لفكرة إعادة اليهود إلى أرض فلسطين تحقيقاً للنبوءة التوراتية.

١٩) **جمعية بني بريث (أبناء العهد):** أنشأها عام ١٨٤٣ في مدينـــة نيويـــورك في الولايات المتحدة هنري جونز بالتعاون مع مجموعة من اثني عـــشر صـــهيونياً كانوا قد هاجروا من ألمانيا إلى أميركا، بهدف تسهيل إعادة اليهود إلى فلسطين ومن هناك انتشرت فروع الجمعية إلى كافة أنحاء العالم وأنشئ فـــرع لهـــا في فلسطين عام ١٨٨٨ من أجل المساهمة في بناء المستعمرات اليهودية لتكـــون نواة للوطن القومي اليهودي. وكان من أعضائها عـــالم الـــنفس اليهـــودي سيجموند فرويد.

٢٠) **العقيدة التدبيرية من درابي إلى سكوفيلد:** اتبع جون درابي منـــهجاً لتفـــسير الكتاب المقدس يدعى التدبيرية بمعنى أن كل شيء مدبر ومبرمج، وأن علـــى الإنسان العمل على تحقيق البرنامج الإلهي وفق التفـــسير الحـــرفي للنبـــوءات

التوراتية مما أدى ذلك إلى إرساء قواعد الأصولية الدينية الإنجيلية واشتهرت الحركة مطلع القرن العشرين، وتم توزيع سلسلة من الكتيبات بعنوان الأصول، ونادى بأن يقبل المسيحيون الكتاب المقدس باعتباره موحى به من الله لا يأتيه الباطل ومعصوماً من الخطأ، وكان اعتقاد درابي وإيمانه بأن نبوءات العهد القديم التي ترتبط بعودة اليهود المشتتين إلى أرض إسرائيل قبل تغرهم يجب أن تتحقق حرفياً حيث راح تعليمه في كل من بريطانيا وأميركا[1].

٢١) **سيروس سكوفيلد ١٨٤٣-١٩٢١:** نجح سكوفيلد في التقدم بخطوات طويلة في عملية التهويد المنظم للمسيحية عندما نشر عام ١٨٨٨ كتابه "الفصل الحق لكلمة الحقيقة" طرح فيه المبادئ اللاهوتية للأصولية الإنجيلية التدبيرية، وأصبح العمود الفقري للفكر الأُصولي للإنجيلية الصهيونية في الولايات المتحدة بفضل الهوامش والحواشي التي وضعها في ذلك الكتاب.

وتشدد التدبيرية على الفوارق بين كنيسة العهد الجديد وإسرائيل الغابرة الواردة في العهد القديم.

٢٢) **الاتحاد المسيحي من أجل سلامة أميركا:** ومهمتها ربط سلامة أميركا بسلامة إسرائيل، وتأكيد نظرية رضا الله عن أميركا من خلال حسن معاملة أميركا لإسرائيل، وتتولى هذه المنظمة استناداً إلى هذه التعاليم إعداد لوائح بأسماء الشخصيات البارزة في المجتمع الأميركي لتسجيل تواقيعها على بيانات التأييد لإسرائيل التي ترسل إلى البيت الأبيض أو الكونجرس أو التي تنشر في الصحف.

٢٣) **فيليب جنتل دي لانجلير ١٦٥٦-١٧١٧:** أدى الانتصار للمسيحية الصهيونية وتأييدها بين أوساط المسيحيين إلى حد أن جنتل دي لانجلير

(١) لاحظ غلبة المذهب البروتستانتي في البلدين.

(وهو عالم فرنسي) قام بإصدار كتاب نادى فيه بمقايضة السلطان العثماني لمدينة القدس بمدينة روما تسهيلاً لتوطين اليهود في فلسطين.

٢٤) **مجموعة لفلرز Levellers**: وهي مجموعة بيوريتانية - تطهيرية - وقد طالبت الحكومة البريطانية بأن تعلن التوراة دستوراً لبريطانيا[١].

وفي العام ١٦٤٩، وجه من هولندا عالماً اللاهوت البيوريتيان - التطهيريان - الإنجليزيان - جوانا واليتر كارترايت مذكرة إلى الحكومة البريطانية طالبا فيها بأن يكون للشعب الإنجليزي ولشعب الأراضي المنخفضة شرف حمل أولاد وبنات إسرائيل على متن سفنهم إلى الأراضي التي وعد الله بها أجدادهم إسحاق ويعقوب ومنحهم إياها إرثاً أبدياً[٢].

٢٥) **أوليفر كرومويل ١٥٩٩ -١٦٥٨**: وهو أول سياسي بريطاني يتبنى مضمون المذكرة أعلاه، فقد كان بين الفترة ١٦٤٩-١٦٥٨ رئيساً للمحفل البيوريتاني التطهيري، وهو الذي دعا إلى عقد مؤتمر ١٦٥٥ في الهوايت هول للتشريع لعودة اليهود إلى بريطانيا أي إلغاء القانون الذي أصدره الملك إدوراد.

٢٦) **جوزيف سميث ١٨٠٥-١٨٤٤**: مؤسس الكنيسة المورمونية، قام عام ١٨٤٠ م بإرسال تلميذه أورسون هايد من أجل تسهيل نبوءة بعث إسرائيل، ومن بين كتب التوصية التي حملها هايد معه كتاب من وزير خارجية الولايات المتحدة وآخر من حاكم ولاية إيلينوي، يقول هايد إن فكرة نهضة اليهود في فلسطين تقوى يوماً بعد يوم، لقد بدأت العجلة الكبرى بالدوران ولا شك في ذلك، وأن الرب أمر بأن تدور هذه العجلة على محورها.

---

(١) الصهيونية المسيحية - محمد السماك - ص ٣٨.

(٢) الصهيونية المسيحية - محمد السماك - ص ٣٩.

الصهيونية المسيحية:

أول من استخدم هذا التعبير هو ثيودور هرتزل في وصفه لمؤسس الصليب الأحمر الدولي هنري دونانت وكان دونانت من الأثرياء الذين مدوا يد العون إلى اليهود والحركة الصهيونية، ومن المسيحيين القلائل الذين دعوا لحضور المؤتمر الصهيوني الأول، وتعتقد الصهيونية المسيحية بحدوث أربع إشارات قبل عودة المسيح وعملت جهدها على تحقيق تلك الإشارات وهي:

- عودة اليهود إلى فلسطين.
- احتلال مدينة القدس وتوحيدها.
- إعادة بناء الهيكل على أنقاض المسجد الأقصى.
- معركة الهرمجيدون(١) في فلسطين.

إذ يدّعي الإسرائيليون أن المسيح سيظهر بعدها ويرفَعُ إليه بالجسد المؤمنين به ليحكم العالم من القدس لمدة ألف عام تقوم بعدها القيامة وهذه الثوابت المسيحية تعني بالنسبة لهم أمراً واحداً هو أن القانون الذي يطبق على اليهود هو قانون إلهي، فإذا تعارضَ القانون الإلهي مع القانون الدولي فإن قانون الله هو الذي يجب أن ينفّذَ لأنه يعكس إرادة الله ومشيئته، هذه الإرادة محددة بتملك اليهود لأرض فلسطين وحقهم المشروط في الاستيطان فيها وأن أعمالهم هي بمثابة وحي من الله لا بد من تقبله واحترامه.

وقد ساهمت حركة الإصلاح الديني بقيادة الراهب الألماني مارتن لوثر والفرنسي جون كالفن بالتشجيع والتأييد المسيحي للحركة الصهيونية.

---

(١) تل مجدو ويقع شمال فلسطين بين عكا والقدس.

* ثانياً: على مستوى رؤساء الدول:

١- فرانكلين بيرس ١٨٥٣-١٨٥٧:

الرئيس الرابع عشر للولايات المتحدة، كان بيرس معروفاً بتدينه وبارتباطاته اليهودية الوثيقة ومن خلال ذلك حقق اليهود اختراقاً جديداً بالغ الأهمية تمثل في فتح أبواب المحكمة العليا أمام اليهود وقام بإسناد منصب بالسلك الدبلوماسي إلى (أوجست بلمونت) في لاهاي فكان ذلك بمثابة فتح لأبواب المناصب الدبلوماسية العليا أمام اليهود الذين كان انخراطهم في السلك الدبلوماسي قد اقتصر حتى ذلك الوقت على القناصل وبأعداد محدودة، كما قام بيرس بتعيين رسام الخرائط اليهودي (جوليون بين) مشرفاً عاما على أنشطة وزارة الحرب في تخصصه مما أدى إلى تحكم اليهود في أدق المراكز العصبية للعسكرية الأميركية.

٢- هاري ترومان ١٨٨٤-١٩٧٢:

وهو الرئيس الثالث والثلاثون للولايات المتحدة تولى الرئاسة من ١٩٤٥-١٩٥٣ كان يسمي نفسه قورش منقذ اليهود[١].

قام الزعيم اليهودي العالمي حاييم وايزمان بتوسيط صديقه اليهودي لويس برانديس قاضي المحكمة العليا الأميركية وكبير زعماء الصهيونيين الأميركيين للضغط على الرئيس الأميركي هاري ترومان للموافقة على تقسيم فلسطين وفق وعد بلفور والذي انبرى بدروه للضغط على بريطانيا حتى أرغمها على إحالة القضية إلى هيئة الأمم المتحدة، واستبق ترومان قرارات الأمم المتحدة بتأييد مشروع لتقسيم فلسطين تقدمت به القيادة الصهيونية، وفرض على الجمعية العامة لهيئة الأمم (التي كانت تتردد في شأن التقسيم) التقسيم فرضاً وقسراً وأعلم القيادة الصهيونية عزمه على

---

(١) نسبة إلى قورش فارس الذي أعاد اليهود من سبيهم إلى فلسطين.

الاعتراف بإسرائيل قبل إعلان قيامها، وقام بإعلان الاعتراف بها رسمياً بعد إحـــدى عشرة دقيقة من إعلانها[1].

وقام ترومان بالضغط المتواصل على بريطانيا للسماح بدخول أكبر عدد مـــن المهاجرين اليهود يمكن السماح بدخوله، كما أعلن ذلك بعد عودته مـــن مـــؤتمر بوتسدام ١٩٤٥ ثم حصر العدد المطلوب للسماح بدخول فلسطين إلى مائة ألـــف مهاجر يهودي وذلك على أساس، أنه مع وجود ٦٠٠ ألف يهـــودي و٢ مليـــون عربي فإن مائة ألف يهودي لن يخل بالتوازن السكاني.

وكان هذا التقدير السكاني لعدد الفلسطينيين آنذاك غير دقيق ويمثـــل جهـــل ترومان بالحقائق على أرض فلسطين إذ أن عدد السكان الفلسطينيين آنذاك لم يزد عن سبعمائة ألف عربي.

٣- الرئيس المنصّر جون كوينسي ١٨٢٥ - ١٨٢٩ :

وهو ابن الرئيس جون آدمز، وأصبح الرئيس السادس للولايات المتحدة عـــام ١٨٢٥ وكان وزيراً لخارجيتها واشتهر بدوره كمنصر بروتستانتي، انصب جهـــده على اختصار الطريق إلى تحقيق مخطط (وعد الله) عن طريق محاولة إقنـــاع اليهـــود بتغيير رأيهم فيما يتعلق بمسألة المجيء والقبول بالمسيح، وكمنصر بروتـــستانتي مـــن المتمسكين بأهداب الدين عمل كوينسي من موقعه كرئيس لتحقيق الحلم الصهيوني فبذل جهوداً كبيرةً أثمرت عن عقد اتفاقية مع الإمبراطورية العثمانية عـــام١٨٣٠م استغلتها الكنسية البروتستانتية في إطلاق العنان للبعثات التبشيرية في المنطقة، تلـــك البعثات التي مهدت الطريق أمام الاستيطان اليهودي في فلسطين عمـــلاً بتعـــاليم الصهيونية المسيحية التي تؤمن بها الكنيسة البروتستانتية الأميركية، وكان المبـــشرون هم الرواد الأوائل للاستعمار الغربي في العالم الإسلامي والبلاد العربية.

---

(١) وليد الخالدي- فلسطين وصراعنا مع الصهيونية وإسرائيل - ص ٢٤٤/٢٤٥.

وكان والده الرئيس جون آدمز قد دعا من قبله عام ١٨١٨م إلى إعادة اليهود إلى فلسطين وإقامة حكومة يهودية مستقلة.

٤- اندرو جاكسون ١٨٢٩ -١٨٣٧:

وهو الرئيس السابع للولايات المتحدة حكم خلال الفترة المذكورة أعلاه، وعبر عن تعاطفه مع اليهود عندما كافأ مؤيده اليهودي موردخاي نوح بتعيينه مشرفاً عاماً على ميناء نيويورك كما عبر في أحاديثه الخاصة وخطبه العامة عن إيمانه بضرورة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين[1].

ولسنا بحاجة إلى الاستزادة في أسماء الرؤساء الأميركيين الموالين لإسرائيل، إذ أن جميعهم أيدوا سياسات بلادهم في الدعم المطلق لإسرائيل، بل أن حملاتهم الانتخابية تضمنت بدون استثناء التصريح العلني بدعم وتأييد إسرائيل وحفظ أمنها.

هرتزل والحركة الصهيونية:

ثيودور هرتزل ١٨٦٠-١٩٠٤ المولود في بودابست وقد عمل في الصحافة النمساوية وترأس تحرير صحيفة نيو فراي الفرنسية (جريدة الحرة الجديدة).

ويعتبر هرتزل أبو الحركة الصهيونية بشكلها وتنظيمها الحديث.

بدأ نجم هرتزل يلمع عام ١٨٩٤م مع ظهور مشكلة الضابط اليهودي الفرنسي الفرد دريفوس، كان دريفوس ضابطاً فرنسيا يهودياً اتهم بالتخابر مع الألمان وتزويدهم بمعلومات عسكرية ضد بلاده فرنسا.

وأثناء محاكمته علت أصوات الحشد الجماهيري الحاضر للمحاكمة قائلين اقتلوا اليهود، اذبحوا اليهود، اطردوا اليهود وغير ذلك من الشعارات المناهضة لليهود عموماً.

---

(١) البعد الديني لعلاقة أميركا باليهود وإسرائيل وأثره على القضية الفلسطينية - يوسف العاصي الطويل - ص ١٠٩.

ومع أن دريفوس أعيدت محاكمته وصدرت براءته النهائية عام ١٩٠٧ بعد ظهور الجاني الحقيقي إلا أن هرتزل الذي كان حاضراً المحاكمة كصحفي ممثلاً لأقوى الصحف النمساوية وسمع تلك الهتافات المعادية لليهود أبناء جلدته تساءل لماذا لا يهتفون ضد دريفوس نفسه لماذا يهتفون ضد كل اليهود؟

وصل من خلال تساؤلاته إلى أن غير اليهود من عموم الشعوب في دمائهم جرثومة اللاسامية أي معاداة اليهود وهكذا بدأ يفكر ويتحرك جدياً لإنقاذ أبناء شعبه ويعد لإقامة دولة خاصة بهم تزيل عنهم عناء الاضطهاد والعذاب.

وكتب عام ١٨٩٦ كتابه "الدولة اليهودية" شرح فيه أفكاره لتأسيس وطن قومي لليهود ومع أن هرتزل لم يكن يحصر الوطن القومي في فلسطين فلم يكن لديه مانعٌ من أن يكون ذلك الوطن في أوغندا أو الأرجنتين أو قبرص أو مدغشقر أو سيناء كما عرضت عليه بريطانيا إلا أنه حول تركيزه إلى فلسطين بعد الضغوط الجماعية من قبل اليهود الذين لم يكونوا يرون لها بديلاً ومن قبل بعض الأوساط الصهيونية المسيحية التي كانت تؤمن بضرورة عودة اليهود إلى فلسطين كما في الكتاب المقدس وقد توج نشاطه بانعقاد المؤتمر الأول للحركة الصهيونية في بال - بازل - سويسرا في آب ٢٩- ١٨٩٧/٨/٣١ وأُنتخب رئيساً للمؤتمر وصرَّح للصحافة قائلاً: بعد المؤتمر في بال أنشأت الدولة اليهودية في مدة خمسة أعوام ولا تزيد عن خمسين عاماً ستخرج الدولة اليهودية إلى النور، ولو قلت ذلك بصوت عال لضحك علي العالم وربما في خمس سنوات أو خمسين سنة سيعرف الجميع ذلك.

وقد كان من مفارقات القدر أن الدولة اليهودية أُعلنت من قبل الأمم المتحدة في ١٩٤٧/١١/٢٩ بتقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية، وأن إسرائيل أعلن قيامها رسمياً في ١٩٤٨/٥/١٥ أي بعد خمسين عاماً وبضعة أشهر من تصريح هرتزل المذكور أعلاه[1].

---

(١) ترى، هل سيشهد الزمان انهيار تلك الدولة في فترة محدودة كما حدد هرتزل فترة=

وقد أنشأ هرتزل مجلة أسبوعية أسماها العالم كان يدعو من خلالها لأفكاره والترويج لها، ويقول هرتزل عن نفسه أن بداية التحول لديه بدأت مع قراءته لكتاب يوجين ديرينج اللاسامي عام ١٨٨١-١٨٨٢ إذ توصل الكاتب بعد ذلك إلى أن حل مشكلة اليهود يكمن في تحويلهم للمسيحية.

وقد بلور هرتزل في كتابه الفكرة الصهيونية المعاصرة وجسد فيه الإيديولوجية الصهيونية وجاء مخطَّطَهُ واضحاً لبناء الدولة اليهودية إذ لخص أفكاره قائلاً "لا حل للمشكلة اليهودية بغير تجميع اليهود من الشتات في مركز واحد فيقيمون دولتهم وتنتهي مشاكلهم التي استمرت ألفَي عام وحدد هرتزل الخطوط العامة لتجسيد وتنفيذ أهداف الحركة الصهيونية بخمسة عناصر أساسية.

١) السياسة العامة للحركة الصهيونية.
٢) الذراع الدبلوماسية.
٣) الذراع المالية والجباية.
٤) الاستيطان.
٥) العمل العسكري.

وترأس هرتزل زعامة المنظمة الصهيونية العالمية وترأس جميع مؤتمراتها طيلة سبع سنوات حتى توفي عام ١٩٠٤ ودفن في فينا، ثم نقلت رفاته إلى القدس عام ١٩٤٩ إلى جبل (الزيتون) الذي أسموه جبل هرتزل.

=ولادتها؟ لا شك في ذلك، فمع وصول إسرائيل إلى ذروة قوتها عام ١٩٦٧، بدأ نجمها في الأُفول وكانت أول محطة أُفول لها حرب ١٩٧٣ ثم جاءت معارك لبنان وكان آخرها حرب ٢٠٠٦ مع حزب الله، وهي في تراجع مستمر.... وبناء على معطيات التاريخ وشواهده فإن إسرائيل لن تدوم لفترة تزيد عن خمسين عاماً من آخر محطة انهيار لها في حرب ٢٠٠٦ على الحد الأقصى.

كان هرتزل يبث الشكوك عند اليهود عندما يقوم بإعلامهم عن سياسة كـــارل ريتر اللاسامية وكيف أنها تنتشر بسرعة بين الشعب الألماني واقترح هرتزل إقامة منظمة يهودية تدعى حركة العـــودة إلى إســـرائيل Jewish Back To Israel Movement باسم المحافظين من اليهود، وكانت تلك بدايات الحركة الصهيونية.

بعثة ماكس نوردو ١٨٤٩ - ١٩٢٣:

وهو زعيم صهيوني وصديق ثيودور هرتزل، ساهم معه عام ١٨٩٧ م بتأسيس الحركة الصهيونية بانعقاد مؤتمرها الأول في بازل في سويسرا، ونظـــراً للخلافـــات وتباين الآراء في اختيار مكان إقامة الدولة اليهودية سواءً في فلسطين أم خارجهـــا، بعث ماكس نوردو عدد اثنين من الحاخامات الأوروبيين إلى فلسطين للاطلاع على الوضع فيها وإمكانية إقامة الدولة اليهودية في فلسطين؛ نظراً للإدعاء الشائع وقتـــها بأن فلسطين وطن بلا شعب لشعب بلا وطن (اليهود) وقد عاد المبعوثـــان وكتبـــا تقريراً قالا فيه: إن العروس جميلة ولكنها متزوجة في إشارة إلى أن هناك شعباً فيها ويسكنها وليس كما أشاع هرتزل بأنها أرض بلا شعب.

محاولات هرتزل للتوسط مع الدولة العثمانية من أجل فلسطين:

كانت الحالة الاقتصادية في الدولة العثمانية سيئة جداً، وكانت الدولة غارقة في الديون وتعج بالمشاكل التي لا تذرها للراحة برهة واحدة والقلاقل تتداعى عليها من كافة الدول الأوروبية المتربصة بها والتي تزرع الفتن وتحرض الأقليات في الدولة على التمرد هادفةً إلى إسقاط الدولة والانقضاض عليها والحصول على أكبر قـــدر مـــن تركتها.

فقد كانت فرنسا تدعم كلاً من الموارنة في لبنان ومحمد علي في مصر وكانت روسيا تدعم الأرمن والأرثوذكس وكانت بريطانيا تدعم الدروز والسنة والهاشميين وشيوخ الخليج وعلى رأسهم آل سعود، تلك القلاقل كانت مدعومة من خـــارج

الدولة، ومن داخلها كان يهود الدولة المتأسلمين الذين أسسوا حزب الاتحاد والترقي وجمعية تركيا الفتاة، كانت جميع هذه العوامل والعناصر تتضافر للإيقاع بالدولة العثمانية الأمر الذي أرهقها وأغرقها في الديون والمشاكل وكانت فرصة هرتزل للمحاولة علَّ وعسى.

توجه هرتزل بعد المؤتمر الصهيوني الأول عام ١٨٩٧ إلى الآستانة للحصول على الميثاق الذي طالما سعى للحصول عليه (فرمان عثماني) يسمح لليهود باستيطان فلسطين.

وتوسط له صديقه النمساوي نيولونسكي الذي كان مقرباً من قصر يلدز لينقل للسلطان نواياه في العرض السخي للدولة العثمانية لإنقاذها من ديونها مقابل إصدار الفرمان العثماني لليهود، كما عرض على السلطان التدخل لدى روسيا وبريطانيا وفرنسا لتكف أيديها عن الدولة العثمانية لكن الرد جاء حاسماً من السلطان عبد الحميد "إذا كان السيد هرتزل صديقك بقدر ما أنت صديقي فانصحه ألا يتخذ أي خطوة أُخرى في هذا الموضوع، الدولة العثمانية ليست لي وحدي بل لشعبي لا أستطيع أن أتخلى عن شبر واحد منها، لقد حصل شعبي على هذه الإمبراطورية بعد أن رووها بدمائهم ولن نسمحَ لأحد باغتصابها منا، وليحتفظ اليهود بملايينهم فإذا قسمت تركيا فقد يحصل اليهود على فلسطين بدون مقابل إنما لا تقسم إلا على جثثنا[1].

ومع الفشل حاول صديق هرتزل ليونوسكي التدخل مرة أخرى لدى السلطان قائلا له إن فلسطين المهد الأول لليهود ورد عليه السلطان إنها مهد جميع الديانات وليس اليهود، ومع الفشل مرة ومع المحاولات المتكررة والأوضاع الاقتصادية السيئة في الدولة العثمانية كانت هناك اقتراحات لحلول وسط من قبل الدولة العثمانية:

---

(١) فدوي نصيرات - مركز دراسات الوحدة العربية - ص ١٤٨.

١- منح اليهود حرية الإقامة واستعمار الأراضي في الأناضول والعراق وسورية نظير مليون وستمائة ألف جنيه إسترليني ورفض هرتزل الاقتراح.

٢- استيطان اليهود في إفريقيا الشرقية - أُوغندا - حيث تردد هرتزل في القبول إلا أنه عاد ووافق من باب المناورة وصولاً للهدف النهائي فلسطين حيث تسمح الظروف بذلك.

ومع وعي السلطان عبد الحميد لأطماع اليهود ونظرته الثاقبة وفهمه لأغراضهم وأطماعهم في فلسطين قام بالتضييق على اليهود والحد من هجرتهم إلى فلسطين بعد أن قام بسن قانون الجواز الأحمر وذلك في ١٩٠٠/١١/٥ الأمر الذي زاد حنقهم عليه إلى أن خلعوه عن العرش عام ١٩٠٩.

و لم ييأس هرتزل إذ التقى بالسلطان عبد الحميد ثانية عام ١٨٩٧ برفقة الحاخام موشي ليفي، وطلب منح اليهود حق سكنى في فلسطين واستثمارها، فغضب السلطان وقطب حاجبية قائلاً "أظن أن إخوانكم اليهود يعيشون في رفاهية بسبب الرعاية التي قدمتها لكم أمتي وأجدادي السلاطين فما مظلمتكم التي غابت عنا"؟

فأجابه موشي "ليس لنا شكوى وإنما نتمنى أن تجمع اليهود المنتشرين في العالم وتجعل لهم وطناً يدعون فيه لسيدنا إلى الأبد" وتدخل هرتزل في النقاش فقال: مثلاً لو باع لنا الأراضي التي ليس لها مالكون في فلسطين بالثمن الذي يقدره. فغضب السلطان قائلاً "إن أرضي لا تباع إن البلاد التي امتلكت بالدماء لا تباع إلا بنفس الثمن[1].

محاولات الماسونية مع السلطان عبد الحميد:

أوفد اليهود مندوبهم الماسوني عمانويل قره صو وهو محامي يهودي ومؤسس المحفل الماسوني في مدينة سالونيك الذي التقى السلطان بوساطة أحد رجال البلاط

(١) فدوي نصيرات - المرجع السابق - مركز الدراسات العربية - ص ٢٤.

- كمال باشا - فتحدث قره صو للسلطان "إنني قادم مندوباً عن الجمعية الماسونية، وعرض مطالبه عليه، كان ذلك في ١٩٠١/٩/١٧ وقدم إليه عريضة يلتمس فيهـــا منح اليهود منطقة ذات إدارة ذاتيه في فلسطين، وفى مقابل ذلك تقـــدم الجمعيـــة الصهيونية قرضاً لمدة غير محددة قيمته - عشرون مليون ليرة ذهبية - دون فائدة إلى خزينة الدولة وخمسة ملايين ليرة ذهبية لخزينة عبد الحميد الخاصة.

إلا أن السلطان عندما سمع كلام قره صو طرده من أمامه وقال (إنكم لو دفعـــتم ملء الأرض ذهباً فلن أقبل، إن أرض فلسطين ليست ملكي بل هـــي ملـــك الأمـــة الإسلامية وربما إذا تفتتت إمبراطوريتي يوماً يمكنكم أن تحصلوا على فلسطين مجاناً.

وهكذا وبعد أن يئس هرتزل خاصة والحركة الصهيونية عامة من السلطان عبد الحميد، عمدوا إلى تنفيذ تهديداتهم ضده التي أرسلها له المندوب الصهيوني الماسوني قره صو، إذ أرسل برقيته له مهدداً إياه بأنك رفضت عرضنا وسيكلفك هذا الرفض نفسك ومملكتك كثيراً، فقد خطط اليهود للانقلاب على السلطان عبد الحميد الثاني بقيادة جمعية تركيا الفتاة وحزبي الاتحاد والترقي عام ١٩٠٩ الذي كان معظم قادته من يهود الدونمة المتأسلمين وكان الذي أبلغه بقرار الخلع قره صو نفـــسه المحـــامي اليهودي الماسوني الذي طرده عبد الحميد خلال اجتماعه معه عام ١٩٠١ **ونفذ قره صو وعيده بعزل عبد الحميد قائلاً "بأربعمائة ألف ليرة ذهبية نفذ الاتحاديون ما رفضه عبد الحميد بخمسة ملايين ليرة ذهبية".**

هرتزل والسلطان عبد الحميد:

بعد أن انتهت مفاوضات هرتزل مع السلطان عبد الحميد إلى الفـــشل عـــام ١٩٠٢ بعد خمس زيارات قام بها هرتزل إلى إستانبول كان الرد الأخير للـــسلطان عبد الحميد "يمكن للإسرائيليين أن يقبلوا ويستقروا في الإمبراطورية العثمانية شرط ألا يكونوا جميعاً في مكان واحد بل يفرقوا في أماكن تعدها لهم الحكومة وشـــرط أن يقرر عددهم مسبقاً من قبل الحكومة وسيعطون الجنسية العثمانية ويسألون عن جميع

الضرائب المالية بما فيها الخدمة العسكرية كما سيكونون خاضعين لجميع قوانين البلاد كالأتراك تماماً.

وبالرغم من تشدد السلطان عبد الحميد مع هرتزل، فليس معنى ذلك الحزم المطلق ضد فكرة هرتزل، فالدولة العثمانية كانت مثقلة بالديون والمشاكل الاقتصادية، وكان الأعداء من دول أوروبا يحيطون بها من كل جانب كان هناك بعض الإجراءات التي اضطرت معها السلطات العثمانية إلى منح بعض التسهيلات لليهود، فقد كانت الدولة العثمانية قد أصدرت فرمانها لعام ١٨٦٩ الذي سمح بتملك الأجانب ومنهم اليهود للأراضي في كافة أنحاء الإمبراطورية - باستثناء الحجاز - وكان هذا الفرمان نتيجة ضغط الدول الأوروبية ومع صدور هذا الفرمان بدأت الدول الأوروبية بإرسال رعاياها وممثليها لشراء المزيد من الأراضي في فلسطين وإقامة المستعمرات.

كما حصلت الدول الأوروبية عام ١٨٨٨ على امتياز يسمح لليهود بالإقامة في فلسطين إفرادياً وليس جماعياً مع عدم التدقيق في هوية مشتري الأراضي[١].

وفي عام ١٨٩٩ أصدرت السلطات العثمانية فرماناً ألغت بموجبه تحديد إقامة اليهود[٢].

هرتزل وألمانيا:

لما كانت ألمانيا الصديقة الوحيدة للدولة العثمانية فقد لجأ هرتزل إلى إمبراطور ألمانيا للتوسط لدى السلطان عبد الحميد في منح فلسطين لليهود.

وبلغة المصالح وبلغة التجارة والصفقات التي يجيدها اليهود جيداً حاول هرتزل إقناع الإمبراطور ويلهام الثاني حيث اجتمع به في ١٨٩٨/١١/١٩ في الآستانة

(١) فدوي نصيرات - مركز دراسات الوحدة العربية - ص ١٢٢.

(٢) فدوي نصيرات - مركز دراسات الوحدة العربية - ص ١٧.

وعرض عليه إنشاء شركة قانونية لتنمية الأراضي يديرها اليهود تحت الحماية الألمانية لاسيما أن اليهود يحملون الثقافة الألمانية ولغة المؤتمر الصهيوني هي اللغة الألمانية وبالتالي فإن اليهود سيحملون الثقافة الألمانية إلى الشرق، وعرض إنشاء طريق بري بين البحر المتوسط والخليج العربي الذي يشرف على سواحل الهند.

وبعد هذا اللقاء سافر الإمبراطور إلى فلسطين فجرى هرتزل مهرولاً مرة أخرى للقائه في القدس لإعادة بحث الموضوع إلا أن الإمبراطور رفض وأصدرت الحكومة الألمانية بيانا جاء فيه "تبغي ألمانيا تحقيق الرفاهية في الإمبراطورية التركية ضمن الاحترام الكامل لسلطة السلطان فيما أسقط من يد هرتزل استياء من ذلك.

هرتزل وقبرص:

بعد فشل هرتزل في الحصول على الفرمان العثماني فكر بالتوجه إلى قبرص وكتب في يومياته يقول "كانت قبرص أول ما فكرت به" لكن كان تركيزه على فلسطين مراعاة لعواطف الغالبية العظمى من اليهود الذين لم يكونوا ليقبلوا بأي بديل عن فلسطين.

ووجد من يسانده في فكرة قبرص وهو صديقه دافيد تريتس أحد أعضاء المنظمة الصهيونية العالمية.

وكان يرى أن إستعمار واستيطان قبرص مقدمة للوصول إلى فلسطين فقام عامي ١٩٠٢-١٩٠٣ بعدة مناورات للحصول على إذن من السلطات البريطانية لاستعمار قبرص "بونتش أو الكونغو".

وبالرغم من فشله في ذلك إلا أن مناوراته تلك، كانت استهلاكات ومحاولات سياسية ليس أكثر وكان الهدف الأساس والنهائي هو فلسطين.

ويبدو أن الأهداف الصهيونية والاستعمارية الصليبية كانت قد التقت على هدف واحد فلا هرتزل ولا اليهود كانوا يريدون قبرص أو العريش أو أوغندا أو الأرجنتين أو مدغشقر ولا بريطانيا كانت تريد منحهم غير فلسطين.

ففلسطين بالنسبة لليهود هي أرض الميعاد ولا بديل عنها.

أما بريطانيا رأس حربة الفكر الصليبي المعادي للإسلام فكانت تريد منح فلسطين لليهود لنفس الأهداف التي سبق ذكرها في هذا البحث[١].

ومما يجدر ذكره أن الجنرال اللنبي قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط عندما دخل القدس غازيا بعد تواطؤ العرب معه ضد تركيا، قال عبارته المشهورة والتي تعكس الحقد والعداوة الصليبية للمسلمين "الآن انتهت الحروب الصليبية".

وقد ذكر أن مجلة بنش - Punch الإنجليزية نشرت رسماً كاريكاتيرياً لريتشارد قلب الأسد ينظر إلى القدس بعد أن احتلها الجنرال اللنبي في ١٩١٧/١٢/١١ وهو يقول "الآن تحقق حلمي تحت عنوان آخر حملة صليبية[٢].

تفسير هرتزل للاستيطان في فلسطين:

كان هرتزل يرى للاستيطان ميزات وأهداف منها:

١) سور أمني لأوروبا أمام آسيا وهو هنا يلتقي مع ما فكر به نابليون عام ١٧٩٨ عند غزوه لعكا وفشله ومع ما فكر به بالمرتسون رئيس وزراء بريطانيا عام ١٨٤٠ بعد انتصارات إبراهيم باشا في بلاد الشام وتركيا على الجيش العثماني.
٢) وضع الأماكن المقدسة المسيحية في وضع دولي خاص (وهذا امتداد للأطماع الصليبية).
٣) حل مشاكل تركيا المالية.
٤) على أوروبا ضمان أمن الدولة اليهودية مقابل الأسباب أعلاه.

وبعد فشل مفاوضاته مع السلطان العثماني ومحاولاته المتكررة لاستصدار الفرمان السلطاني لمنح فلسطين لليهود أعلن بصورة صريحة: **أنه لن يحصل على امتياز توطين اليهود في فلسطين إلاّ بعد تقسيم تركيا** وهذا ما حصل بالفعل إذ إن

---

(١) راجع الجزء الأول - الفصل الثامن.

(٢) وليد الخالدي - فلسطين وصراعنا مع الصهيونية وإسرائيل - ص ٢٢٨.

وعد بلفور (١٩١٧/١١/٢) وهو الفرمان القانوني الذي كـــان هرتـــزل يـــسعى للحصول عليه صدر بعد انهيار الدولة العثمانية العسكري وقبل دخول اللـــنبي إلى القدس في ١٩١٧/١٢/١١ بتسعة وثلاثين يوماً.

هرتزل وتشمبرلن وأُوغندا:

اقترح هرتزل على بعض الساسة الإنجليز إقامة مستعمرة يهودية خاضعة للتاج البريطاني في شبه جزيرة سيناء وفي تشرين الأول عام ١٩٠٢ التقى هرتزل بجوزف تشمبرلن أحد أكثر عتاة الاستعماريين المؤيدين لليهود وأبدى تـــشمبرلن تأييـــده لمشروع هرتزل إقامة مستعمرة يهودية في قبرص وسيناء شريطة موافقـــة اللـــورد كرومر المعتمد البريطاني في مصر ولما كان كرومر يرى أن مشروع المـــستعمرة في سيناء غير عملي فاجتمع هرتزل بالوزير تشمبرلن مرة أخـــرى في نيـــسان ١٩٠٣ والذي كان قد عاد لتوه من إفريقيا ليطلعه على ما وصلت إليه المفاوضات بـــشأن مخطط الاستيطان اليهودي في العريش، فأبلغه تشمبرلن بعد أن قدر أن هذا المشروع لن يحظى بالنجاح بأنه وجد في إفريقيا منطقة مناسبة في أوغندا تصلح لإقامة دولـــة يهودية عليها، إلا أن هرتزل أجابه أنه يفضل أولاً مكاناً للاستيطان قرب فلـــسطين يستطيع الوثوب فيه إلى هناك عندما تحين الفرصة ولهذا يفضل العمل على إنفاذ ما يمكن إنفاذه من مخطط الاستيطان في العريش أما أُوغندا فإنه على استعداد لاستلامها وتوطين اليهود فيها **ولكن ليس الآن لأن فلسطين لن تكفي مستقبلاً** جميع اليهود في العالم وربما تضطر الصهيونية إلى توطين قسم منهم في أُوغندا في مرحلة لاحقة.

وما أن أعلن هذا الاقتراح في المؤتمر الصهيوني السادس حتى أبدى المستوطنون البريطانيون معارضة شديدة له اضطرت الحكومة البريطانية إلى سحبه حالاً، وفي المقابل فإن الحركة الصهيونية ومؤيديها انقسموا بين مؤيد ومعارض بشدة للمشروع المذكور لاسيما أن أوسيشكين الذي خاطب رئاسة المؤتمر الصهيوني السادس بأن الموافقـــة على أُوغندا بديلاً عن فلسطين هو تنازل عن أرض إسرائيل.

العوامل التي أدت إلى ظهور الصهيونية وتقويتها:

١) طرد اليهود من إسبانيا وبدء معاناتهم في كافة الدول التي هاجروا إليها.

٢) طبيعة اليهود العدوانية والشريرة والمتآمرة والانعزالية والتي لاقت الرفض من قبل المجتمعات التي يعيشون فيها.

٣) ظهور النـزعة القومية الأوروبية الأمر الذي حرض وشجع اليهود لتكون لهم هويتهم واستقلالهم الخاص.

٤) الثورة الصناعية الأوروبية وتوسعها في استعمار العالم بحثاً عن المواد الخام الأمر الذي شجع اليهود للبحث عن وطن لاستعماره واستيطانه وكان اختيارهم لفلسطين لما لها من أثر ديني لدى غالبية اليهود بالإضافة لتشجيعهم من قبل الصليبية الأوروبية لاسيما الصليبية البروتستانتية في بريطانيا وأميركا.

٥) انتشار اليهود في أوروبا بعد مقتل قيصر روسيا وخوف المجتمع الأوروبي ومواطنيه من هؤلاء المهاجرين الجدد وخشيتهم من سحب الميزات والأعمال منهم فعمدت الدول الأوروبية إلى التفكير في حل للتخلص منهم وبالذات بريطانيا.

٦) ضعف الدولة العثمانية على المستوى العالمي وتحرك أطماع الدول الأوروبية فيها طمعاً في تقسيمها والسيطرة على تركتها الأمر الذي شجع اليهود أيضاً لبحث استيطان أو شراء أو استعمار فلسطين من السلطان العثماني بكافة السبل السياسية والمالية والإغرائية والتي فشلت في الحصول على الفرمان العثماني من السلطان لمباركة ذلك لليهود.

٧) خشية كبار أصحاب رؤوس الأموال اليهود أمثال روتشيلد من أن تؤثر النتائج السلبية لهجرة اليهود إلى أوروبا وأميركا - قادمين من روسيا - على مصالح الرأسماليين اليهود في تلك البلدان فتحرّك هؤلاء اليهود الرأسماليين لإنشاء المنظمات المتعددة لمساعدة اليهود على الهجرة إلى فلسطين والأرجنتين إبعاداً لهم عن أوروبا حيث تعرّضوا للاضطهاد وللحفاظ على ميراث كبار اليهود في تلك البلاد.

٨) مشاركة اليهود في معظم حركات الثورات والمؤامرات في أوروبا التي كان آخرها مقتل القيصر الروسي عام ١٨٨١ الأمر الذي حرك مشاعر الغضب الشعبي عليهم في كافة أنحاء أوروبا.

٩) الرأي الذي ساد في أوروبا أن المجتمع اليهودي مجتمع فريد من نوعه غير قابل للاندماج في المجتمع الذي يعيش فيه وتحرك مشاعر الكراهية لهم الأمر الذي ساهم في تعزيز شعور (اللاسامية)[1].

١٠) تأسيس عصبة اللاساميين عام ١٨٨٠ على يد مؤسسها ماير في ألمانيا الذي حذر في كتابه "السامية" من مخاطر السامية (اليهود).

١١) حادثة الراهب المسيحي الإيطالي توما الذي قتل في دمشق عام ١٨٤٠ على يد حاخامات يهود لاستخدام دمه في طقوس يهودية خاصة الأمر الذي حرك المشاعر ضد اليهود بالرغم مما أُشيع لاحقاً ببراءة اليهود من دمه تماماً كما تمت تبرئة دريفوس الضابط الفرنسي من تهمة خيانة بلاده فرنسا عام ١٩٠٧.

١٢) المذابح التي شهدتها مدينة كيشينيف في روسيا في ٦-٨/نيسان ١٩٠٣ والتي استمرت حتى عام ١٩٠٥ حتى تم إخماد الثورة، وقد قتل وجرح فيها مئات اليهود، فاجتمع هرتزل بعدها مع وزير الداخلية الروسي بيليفيه وأبلغه الأخير بتشجيعهم على الهجرة خارج روسيا وأحياناً بواسطة الرفس ووعدت الحكومة الروسية بذل جهودها لدى الدولة العثمانية لتسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين وزود بيليفيه هرتزل برساله موقعة منه بعد أن بحث فحواها مع القيصر أعلن فيها أن الحكومة الروسية تنظر بعين العطف إلى الصهيونية ما دام هدفها إقامة دولة يهودية مستقلة في فلسطين وأنها على استعداد لمساعدتها وهذه المساعدة قد تتخذ شكل حماية للممثلين الصهيونيين أمام الحكومة العثمانية وتسهيل نشاط جمعيات الهجرة ومساعدتها مالياً من الضرائب التي تجبى من اليهود.

---

(١) مع أن العرب ينحدرون إلى سام بن نوح إلا أن تعبير اللاسامية استخدم للتميز ضد اليهود دون غيرهم.

١٣) ظهور الشعور القومي العربي وما رافقه من خشية الغرب واليهـود مـن أن تقوى شوكة العرب فتضيع الفرصة للسيطرة عليهم من جهة أوروبا واحتلال فلسطين من جهة اليهود فقد كتب الدكتور ماكس نوردو صديق هرتـزل، عن موقفه من العرب لأول مرة عام ١٩٠٥ في المؤتمر الصهيوني السابع مشيراً إلى أنّ الحركة القومية العربية التي نشطت وقتئذ قد تلجأ إلى وسـائل تمـس بسلطة تركيا على فلسطين وعلى البلدان المجاورة لها مما قـد يـدفع تركيـا والدول الأوروبية إلى التفتيش عن عامل معين يكفل لها الهـدوء في المنطقـة والمحافظة على سيطرة السلطان على البلاد وكان ذلك العامل هـو اليهـود وحث نوردو على استغلال الوضع.

١٤) حادثة قتل فتى روسي على يد شاب يهودي يدعى مندل ببليس لاسـتخدام دمه في طقوس دينية يهودية مما أثار هيجان الشعب الروسي علـى اليهـود وشنت الصحافة الروسية حملة تحريضية شعواء ضد اليهـود، وعليـه زادت الهجرة اليهودية من روسيا إلى فلسطين في تلك الفترة.

١٥) ظهور المذهب المشيخي على يد جون كالفن.

جون كالفن ١٥٠٩ - ١٥٦٤:

لاهوتي فرنسي بروتستانتي، من رجالات الإصلاح الكنـسي، تحـول عـن الكاثوليكية عام ١٥٢٣ وكان اسمه جون كوهين، من أصل يهودي، ونـشأ عـن مذهبه المذهب الكالفيني الذي لا يعترف بسلطة البابا، (مذهب المـشيخية) وهـو مذهب من أشد المؤيدين لإسرائيل.

نشر عام ١٥٣٩ كتابه الشروح على رسالة بولس إلى أهل رومية كما نـشر كتابه أسس الدين المسيحي وهو في الخامسة والعشرين، والكالفينية هـي المرحلـة الثانية للإصلاح الديني الذي بدأه مارتن لوثر وساهمت في الحد من سيطرة الكنيسة.



الفصل الحادي عشر

مؤامرات اليهود وانهيار الدولة العثمانية

مع تكالب الدول الأوروبية وفي مقدمتها بريطانيا وفرنسا على الدولة العثمانية ومع فشل الحركة الصهيونية في انتزاع الفرمان العثماني بتوطين اليهود في فلسطين التقت الأهداف الصليبية والصهيونية في التآمر على الدولة العثمانية فحدث الانقلاب، وكان الجنرال محمود شوكت هو قائد انقلاب عام ١٩٠٩ الذي أُطلق عليه قائد جيش حركات.

الأسباب والعوامل التي أدّت إلى انهيار الدولة العثمانية:

١ - تنامي الثروات والموارد بعد الفتوحات المتعددة التي أورثت البذخ والغطرسة والإسراف والبطر في النعمة.

٢ - التغييرات التي طرأت على جيش الإنكشارية وتخلي السلاطين عن قيادة الجيوش العثمانية ترفعاً وانعزالهم في قصورهم في خروج واضح على التقليد العثماني السابق بقيادة السلاطين للجيش.

٣ - ترك شؤون الدولة إلى الصدر الأعظم (رئيس الوزراء) الأمر الذي جعل السلاطين في عزلة عما يجرى في السلطنة.

٤ - تراجع التجارة العثمانية بسبب حصار وقيود أوروبا على الدولة العثمانية وبالذات البرتغال التي أقامت مؤسسات تجارية على الشواطئ الشرقية لشبه الجزيرة العربية (مسقط، هرمز، البحرين، عمان) وما أعقب ذلك من منع سفن المسلمين (الدولة العثمانية) من الرسو في الموانئ الهندية.

٥ - بزوغ التفكير القومي التركي وانحسار المد والثقافة الإسلامية عن السياسة العثمانية.

٦- تحكم الأقليات في مراكز الدولة السياسية والاقتصادية والعسكرية يعاونهم في ذلك الدول الأجنبية التي حصلت على امتيازات لها ولرعاياها استخدمتها في تشجيع هذه الأقليات لهدم الدولة وانهيارها.

٧- تعدد الأحزاب والمنظمات السياسية التي توزعت داخل وخارج الإمبراطورية ولاقت تشجيعاً من الدول الأوروبية لاستخدامها لهدم الدولة سواء شعرت تلك الأحزاب بذلك أم لم تشعر ومن ضمن تلك الجمعيات:

- جمعية الحرية العثمانية في سالونيك.
- جمعية الاتحاد والترقي الموجودة في باريس.
- جمعية التشبث الشخصي والإدارة اللامركزية والحزب الثوري العثماني.
- جمعية الوطن والحرية بقيادة مصطفى كمال التي أسست عام ١٩٠٦.
- حركة تركيا الفتاة التي أسست عام ١٨٨٩ بمناسبة مرور مائة عام على الثورة الفرنسية، وقد حاول تنظيم تركيا الفتاة الانقلاب على السلطان عام ١٨٩٦ إلا أن الانقلاب فشل وألقي بمعظم قادة الانقلابيين في السجون.
- لجنة الاتحاد العثماني والترقي التي اتخذت من شعار الثورة الفرنسية (حرية - إخاء - مساواة) شعاراً لها.

٨ - انتشار المعلمين والمدربين والخبراء الأجانب الأوروبيين في مجالس الطب الحربي والبيطرية وكذا الكلية الحربية الذين عملوا على نشر الفكر العلماني بين الضباط والأطباء العسكريين.

٩ - انتشار الصحافة المعارضة سواء داخل أو خارج تركيا الأمر الذي جعلهم يتحالفون ويلقون الدعم والتأييد من دول أوروبية لهدم الدولة فقد عملت بعض تلك الصحف على العمل بالتقويم الغربي الجريجوري وأهملت التقويم الهجري الإسلامي وكان من تلك الصحف جريدة الميزان التي صدرت في إسطنبول ثم في القاهرة.

ومن المفارقات أن الانقلاب كان في نفس العام الذي أطلق فيه ثيودور هرتزل كتابه الدولة اليهودية حيث فشل في أكثر من لقاء مع السلطان بإقناعه منح فرمان لليهود بإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

١٠- الماسونية: التي عملت على هدم الدولة العثمانية بشكل خاص وأوروبا بشكل عام إذ كان معظم قادة الحركة الماسونية من اليهود.

كان السلطان يدرك أطماع وأهداف الماسونية الهدامة، فكتب يقول:

يحاولون بحماس زائد نشر أفكار تجديدية لا يفهمها الناس والذين يميلون للتعاون مع هؤلاء حفنة من الناس بقيت خارج البلاد ردحاً من الزمن فانقطعت عن جذورها وتثقفت ثقافة أوروبية سطحية براقة .... **الشيء الوحيد الذي استطاعوا تحقيقه هو بذر الشقاق والعصيان في البلاد وصفوف الجيش دون أن يعلموا بأنهم يعملون لصالح إنجلترا التي تذرعت بنشر الأفكار التحررية في إمبراطوريتنا بغية إضعاف قدراتنا**.

كان القرار رقم ٧٠ للمحفل الماسوني يقترح إنشاء جمعية سرية باسم تركيا الفتاة بدأ العمل على إنشائها انطلاقاً من مدينة سالونيك حيث أكثر الطوائف اليهودية الأوروبية نفوذاً.

أما جمعية الاتحاد والترقي فقد ولدت في مكتب مجمع ماسوني هو ماسيدونا ريستورا الذي تأسس على يد إيمانويل قره صو المحامي الماسوني اليهودي الذي فاوض عبد الحميد على منح اليهود فرمان فلسطين كوطن قومي لليهود ولمّا رفض السلطان، ما كان من قره صو إلا أن توعد السلطان بالعزل عقاباً له على ذلك ونفذ ذلك الوعد عام ١٩٠٨ وكان أوّلَ من نقلَ أمر العزل من الانقلابيين للسلطان عبد الحميد.

١١- الصهيونية: ولعل مفاوضات هرتزل مع السلطان وأعوانه لخير مثال على مؤامرة اليهود ضد الإمبراطورية وضد السلطان، ففي عام ١٩٠٢ دعي هرتزل

إلى إسطنبول لإبلاغه أنه ليس من المسموح لليهود الذين كانوا قد وصلوا إلى الإمبراطورية العثمانية بإقامة مستوطنات في فلسطين، وكتب السلطان عبد الحميد في يومياته:

لليهود قوة في أوروبا أكثر من قوهم في الشرق لهذا فإن أكثر الدول الأوروبية تحبذ هجرة اليهود إلى فلسطين لتتخلص من العرق السامي الذي زاد كثيراً... وإذا كنا نريد العنصر العربي متفوقاً علينا أن نصرف النظر عن فكرة توطين المهاجرين في فلسطين وإلا فإن اليهود إذا استوطنوا أرضاً تملكوا كل قدراها خلال وقت قصير، وبهذا نكون قد حكمنا على إخوتنا في الدين بالموت المحتم... لن يستطيع رئيس الصهاينة هرتزل أن يقنعني بأفكاره... إنني أدرك أطماعهم جيداً.

الماسونية العربية تساعد اليهود:

كتب الماسوني شاهين مكاريوس مؤسس محفل فنيقيا في بيروت وداعية المنظمة الصهيونية يقول:

إن الاستيطان اليهودي أدى إلى التقدم والعمران في فلسطين وإن الصهيونية ستصل إلى أهدافها برغم المآسي التي ألمت بها في دائبة لم شملها وجمع كلمتها وضم جامعتها تدافع عن كيانها بالصبر وثبات الجأش والرضوخ لأحكام القدر.

أما في مصر فقد أيد الماسونيون الحركة الصهيونية تأييداً صريحاً فقد وجه المحفل الماسوني الأكبر برئاسة إدريس راغب نداءً إلى المحافل الماسونية في فلسطين وعموم الأهالي فيها بتبني الصهيونية التي جاءت لتعمير فلسطين ونشر الرفاه والثقافة ودعت الناس إلى التسليم إلى الأمر الواقع والاستسلام له أما الماسونيون اللبنانيون فقد شارك كل من مكاريوس صروف وفارس نمر عبر صحفهم المقتطف والمقطم في نشر الفكر الصهيوني فكانت المقطم مؤيدة للاحتلال الإنجليزي حتى أنها اكتسبت ثقة اليهود والصهاينة جاء ذلك على لسان - رفائيل مينانو - الذي كان يرى في المقطم مجالاً

لأقلامنا كما أكد وايزمان عام ١٩١٨ بعد زيارته لمصر أنه لم يجد أي روح عدائية لليهود في الدوائر التي كان يسيطر عليها فارس نمر وأمثاله أصحاب المقطم العظيم.

١٣- الأطماع الصليبية الأوروبية في المشرق العربي والإسلامي: ولا يخفى علينا الأطماع والحقد الصليبـــي الأوروبي على المسلمين وبلادهم وأطماعهم في بلاد السمن والعسل كما كانوا يروجون لذلك وحقداً على المسلمين بشكل عام منذ فجر الدعوة الإسلامية وحتى الآن والذين تعاونوا معاً ضد المسلمين عبر التاريخ وصولاً إلى التآمر على الدولة العثمانية وتقطيعها واقتسام تركتها وأراضيها بينهم عن طريق إضعافها وحصارها وإفقارها والتغلغل البطيء داخل الدولة وفرض نظام الامتيازات وتهجير اليهود إلى فلسطين من أجل القضاء على الخلافة الإسلامية واقتسام تركة الرجل المريض كما كانوا يسمونها الأمر الذي ساعد وعجَّل في انهيار الدولة العثمانية، فعلى سبيل المثال لا الحصر، وبعد قيام السلطان بتوقيع اتفاقية مد خط السكة الحديد بين الحجاز وتركيا شعرت بريطانيا وأوروبا بشكل عام بتضرر مصالحها وعملت باستخدام كل ما تستطيع لهدم الإمبراطورية، **وكتب السلطان عبد الحميد يقول:** تعاطف الإنجليز مع الأَتراك الشباب أمر يلفت انتباهنا فهم يشجعون هؤلاء المغتربين على المطالبة بإعلان الدستور ويرفضونه لأنفسهم في الهند المستعمرة، علينا أن نعترف بكل أسف **أن الإنجليز استطاعوا بدعايتهم المسمومة أن يبثوا بذور التفرقة والعصبية في بلادنا،** وقد تحرك القوميون في الجزيرة العربية وفي ألبانيا وظهرت في سوريا بوادر لتحرك مماثل وعملت أميركا هي الأخرى على إرسال البعثات التبشيرية حيث كانت ترسل المعونات إلى الأرمن والحصول على الامتيازات من خلال ذلك إلى الحد الذي جعل هاسلب يقول (إن الخير موجود في آبار البترول في بلاد ما بين النهرين أفضل مما هو موجود في تقارير الأساقفة الأرمن).

كما دخلت روسيا على خط الامتيازات في الدولة العثمانية من خلال تبني الجالية الأرثوذكسية وهو ما كان يعرف بالمسكوب.

ويصف هاسلب مدينة سالونيك بالآتي:

في هذا المرفأ المزدهر والواقع على بحر إيجة حيث كان المسلمون قلة، توثقت العلاقات بين ضباط الجيش الثالث الشبان الذين أرسلوا للقضاء على العصيان المسيحي وبين المحافل الماسونية التي كانت مزدهرة في تلك المدينة والتي كان ثلث سكانها من أصل يهودي.

الأزمة المالية للإمبراطورية:

مرت الإمبراطورية بأزمة اقتصادية مأساوية لم يكن بمقدورها تأمين المرافق العامة إلا بفضل قروض البنك العثماني (بنك فرنسي إنجليزي) تأسس عام ١٨٦٣ فقد سُمِحَ للبنك بتأمين عجز الدولة مقابل تحصيل الموارد الأساسية التي تديرها هيئة جديدة (مصلحة الدين العثماني العام) تحت اسم البنك الإمبراطوري العثماني والذي صار فضلاً عن ذلك البنك الرسمي للدولة مع بقائه شركة أجنبية في نفس الوقت.

الانقلاب على السلطان عبد الحميد:

جمعية الاتحاد والترقي:

كان قادة الانقلاب الثلاثة هم: (نيازي بيه، ناظم بيه، وأنور بيه) ويظهر اتجاه الحركة الانقلابية من خلال تصريح أدلى به أنور بيه لجريدة التايمز اللندنية قال فيه:

إن جمعية الاتحاد والترقي تريد إصلاح الجيش وينبغي للرعايا العثمانيين أن ينال كل منهم نصيبه من الخدمة العسكرية مهما كانت ديانته ومذهبه، فيتوجب على المسيحيين أن ينتظموا في سلك الجيش العثماني، إن الذي نريده هو جيش وطني لا جيش إسلامي، ليس للجامعة الإسلامية محل في خطة جمعية الاتحاد والترقي، والقطر المصري المجيد خارج عن نطاق أعمالنا وبرامجنا وحزب تركيا الفتاة يأبى

التعرض لعمل الحكومة الإنجليزية المجيدة في مصر ولا يعير المهيجين والمحرضين فيها أقل مساعدة أو التفات، فهمّ اللجنة كله إصلاح تركيا وترقيتها على المبادئ الدستورية وأملنا أن نجد في ذلك تأييداً من حكومة الملك إدوارد وميلاً لنا وعطفا علينا من الحكومة الإنجليزية، وكانت الجمعية تدعم احتلال الإنجليز لمصر.

هكذا كانت إستراتيجية الاتحاد والترقي التي كانت ترمي إلى نزع الطابع الإسلامي عن تركيا وبث الروح القومية وإدخال أصحاب الديانات الأخرى في الجيش والتفاهم مع بريطانيا كما تسولوا عطفها عليهم والنتيجة كانت تدمير وتقسيم الإمبراطورية.

ويضاف إلى ذلك تلك الإساءة التي لحقت بالشعور الديني للمسلمين من خلال تشكيل الحكومة التي ضمت عدداً كبيراً من الشخصيات اليهودية والعلمانية وكانت تلك الملاحظة من قبل المسلمين وغير المسلمين والأجانب أيضاً، فكتب سيتون واطسون:

كان جاويد من الطائفة اليهودية المعروفة بالدونمه وكراسو من اليهود الأسبان القاطنين في مدينة سالونيك وكان طلعت باشا بلغارياً من أصل غجري اعتنق الإسلام ديناً أما أحمد رضا أحد زعمائهم في تلك الفترة فكان من أتباع مدرسة كونت الفلسفية.

خطاب السلطان عبد الحميد إلى الشيخ أبو الشامات:

كتب السلطان عبد الحميد خطاباً سرياً إلى الشيخ أبو الشامات من محل إقامته المراقب في سالونيك:

إن الاتحاديين قد أصروا على أَن أُصادق على تأسيس وطن قومي لليهود في الأراضي المقدسة فلسطين، ورغم إصرارهم فلم أقبل بصورة قطعية هذا التكليف، وأخيراً وعدوا بتقديم ١٥٠ مليون ليرة إنجليزية ذهباً، فرفضت هذا التكليف بصورة قطعية أيضاً وأجبتهم بالجواب القطعي التالي: إنكم لو دفعتم ملء الأرض ذهباً فضلاً

عن ١٥٠ مليون ليرة إنجليزية ذهباً فلن أَقبل بتكليفكم هذا بوجه قطعي، لقد صدقت الملة الإسلامية والأمة المحمدية ما يزيد عن ثلاثين سنة فلم أُسود صحائف المسلمين آبائي وأَجدادي من السلاطين والخلفاء العثمانيين لهذا لن أقبل تكليفكم بوجه قطعي أَيضاً.

سياسة الاتحاد والترقي:

وفق إفادة للسفير البريطاني في إسطنبول ومن أجل السيطرة على الجيش بصورة أفضل أدخلت لجنة الاتحاد والترقي عدداً كبيراً من الضباط خاصة صغار الضباط في المحفل الماسوني Risna الذي كان على علاقة بكتيبة القطاع التي يقودها نيازي بيه في مقدونيا، كان على رأس هذا المحفل النقيب عثمان فهمي بيه، شقيق المذكور آنفاً، كان أغلب النواب الاتحاديين في المجلس وفي مجلس الشيوخ من الماسون!!!

ومن ضمن جملة الوطنيين كان هناك كثيرون قد رأوا في سياسة الاتحاديين تقسيماً للإمبراطورية وهو ما حصل بالفعل.

خلع السلطان:

في يوم الأربعاء ١٩٠٩/٤/٢٧ وفي جلسة برلمانية جمعت الغرفتين، عزل السلطان عبد الحميد الثاني لصالح ولي العهد محمد رشاد أفندي - محمد الخامس -.

كلفت الجمعية الوطنية الصدر الأعظم إبلاغ قرار الخلع للسلطان الذي رفض ذلك حيث اختارت اللجنة أربع أفراد هم:

- أسعد طويتاني قائد الدرك.
- الفريق البحري عارف حكمت باشا.
- والنائب رام أفندي.
- إيمانويل كاراسو: وهو نائب يهودي ماسوني كان قد توعد السلطان بالخلع بعد رفضه منح اليهود الفرمان العثماني لاستيطان فلسطين.

حيث نفي السلطان إلى سالونيك المدينة التي كان يكرهها لأن أكثر سكانها من اليهود وغير المسلمين وبعد ثلاث سنوات من العزل، ومع مرور الإمبراطورية بأزمة اقتصادية خانقة وبالرغم من ظروف العزل والإقامة الجبرية في سالونيك فقد اقترح السلطان على لجنة الاتحاد والترقي أن يهب أمواله كلها للإمبراطورية للمساعدة في حل الأزمة الاقتصادية والتي أرسلت بدورها لجنة لجرد تلك الأموال والحصول عليها ومن ضمنها أراضي في غور بيسان في فلسطين بيعت لليهود.

محمد الخامس والإنجليز:

بعد اعتلاء محمد الخامس عرش السلطنة كان أول تصريح له لصالح جريـــدة الأخبار اليومية، وبمبادرة من المتحدث الرسمي للحكومة البريطانية فقال:

إن الإنجليز كانوا دائماً أصدقائي وإن موقف الأمة العثمانية الآن حرج وكان أعدائي يتهمونني بالبله، ولكن مشيئة الله اختارتني اليوم لأن أتولى مصلحة الإسلام وأُؤدي واجبي وأن الصحافة في العالم كله وعلى الخصوص الصحافة الإنجليزية أمامها فروض يجب أن تؤديها!!!؟

الهيمنة الماسونية:

تقول وثائق المحافل الماسونية، أنه منذ ١٩٠٩ جرى تأسيس أكثر من عشرين مقراً في العديد من مدن الإمبراطورية العثمانية أما السفير البريطاني في الآستانة فقال بوضوح: عيّن جويد بيه - نائب سالونيك- وزيراً للمالية وكان ماسونياً من أصل يهودي، وعيّن طلعت بيه وزيراً للداخلية وكان ماسونياً وكان أغلب ضباط المحكمة الوطنية ماسونيين وعيّن أحد ماسونيي سالونيك من أصل يهودي مديراً للمطبوعات.

وكان مدير وكالة الأَخبار التلغرافية يهودياً منحدراً من بغداد، وكان على رأس الفرع الرئيس لجمعية الاتحاد والترقي في إسطنبول أحد اليهود الماسون من مواطني سالونيك، وأصبح الأمير سعيد حليم، مصري وماسوني، معاوناً لرئيس بلدية إسطنبول.

وكانت إدارة الأمن العام تعمل بأوامر الحركة الماسونية.

الحركة الصهيونية وردة الفعل على انقلاب تركيا:

في المؤتمر التاسع للحركة الصهيونية والمنعقد في هامبورج في ألمانيا في شهر ١٩٠٩/١٢ أعلنت الحركة الصهيونية أن انقسام العالم اليهودي إلى معسكرين أحدهما صهيوني والآخر يرغب في الهجرة نحو بلد آخر غير فلسطين، لم يعد موجوداً **إن العالم اليهودي قد عاد من جديد واحداً وواحداً فقط بفضل معجزة الثورة التركية.**

الصحف العربية الموالية لليهود:

انتشرت الكثير من الصحف العربية الموالية لليهود والحركة الصهيونية كان منها في القاهرة ١٨٨٥- المقتطف ورئيسها يعقوب صروف وفارس نمر وشاهين مكاريوس.

والمقطم وأسسها سنة ١٨٨٥ مؤسسو المقتطف نفسهم.

المجلة الماسونية أصدرها يوسف لفلوفا ١٩٠١.

الأُورشليمي مجلة المحفل الماسوني الأهم ١٩٠٥.

النفير أسسها إيليا زاكا عام ١٩٠٨ وصدرت في القدس ثم حيفا.

جراب الكردي- وصدرت في حيفا ١٩٠٨ وهي أسبوعية هزلية أسسها متى حلاج.

العصا لمن عصى أصدرها نجيب حنا عام ١٩١٢.

توجهات الاتحاديين المعادية للإسلام:

في تصريح للدكتور ناظم بيه، وهو يهودي من الدونمه، ومعروف كقومي تركي ومن أهم قادة الاتحاديين جاهر بآرائه العلمانية المعادية للدين قائلاً:

نحن العثمانيون لا يمكن أن نترقى إلا إذا نبذنا الدين وراء ظهورنا وعصرنا العلماء عصراً نمحقهم به محقاً وسرنا وراء فرنسا خطوة خطوة.

أثار انقلاب الاتحاديين ردود فعل عربية واسعة، فلم يكن من الصعب ملاحظة أن الأصابع اليهودية وراء الانقلاب إذ هاجمت جريدة المنار الانقلابيين قائلة هبوا

أموال عبد الحميد خان وصاروا أكثر أغنياء الأمة وباعوا بوسنة وهرسك للنمسا وطرابلس الغرب لإيطاليا، واتفقوا مع الجمعية الصهيونية على بيعها أراضي السلطان عبد الحميد الواسعة في فلسطين والتي انتقلت ملكيتها للدولة وعلى تمهيد الأسباب لاحتلالها البلاد المقدسة لإقامة مُلك إسرائيل فيها وقال وزيرهم حقي باشا "إن مستقبل هذه الدولة العثمانية لليهود".

الحلف الصليبي الصهيوني:

غالبية المسيحيين وخصوصاً المسيحية الأصولية وبالتحديد البروتسنتية يتعاطفون مع اليهود معتبرين ((أن لحظة الخلاص لا تتم إلا عندما تبسط اليهودية سيطرتها على كامل أرض الميعاد المزعوم ويعود جميع يهود العالم إلى فلسطين ينتظرون المسيح ليحيا ويعود وعلى أي حال ستتوحد المسيحية واليهودية من جديد بمجيئه أو بعودته وسندرك جميعاً أن هذا هو المسيح الذي كنا ننتظره)).

المهم أن ظهوره لا محالة حاصل من اليهود وفي صهيون ومن أجل التحضير إلى مجيئه لا بد من عودة أو إعادة اليهود إلى أرض فلسطين وإقامة دولة صهيون لكي يتم ظهور المسيح فيهم، وقد تعزز هذا التحالف الصليبي الصهيوني بما كان له من موروث تاريخي وديني، بعد حملة محمد علي على بلاد الشام، ومن قبله حملة نابليون على مصر وانكفائه وتراجعه أمام أسوار عكا، حيث تفننت الدولتان الاستعماريتان حينها - بريطانيا وفرنسا - في تقسيم وتفتيت العرب من ناحية، للحد من تنامي قوتهم كما حدث مع محمد علي ونجله إبراهيم باشا، فكانت خططهما المشتركة في تشجيع اليهود على الهجرة إلى فلسطين، والحصول على الامتيازات داخل السلطة العثمانية لتوفير الغطاء السياسي والقانوني للتدخل في توجيه السياسة العثمانية تحت غطاء حماية رعاياها داخل الدولة، ووضع الخطط لتقاسم أملاك وتركة الدولة العثمانية ومن ضمن تلك الخطط كانت استمالة الوطنيين العرب وتلميع فكرة القومية العربية لتحريضهم على الدولة العثمانية ومن المفارقات أن معظم المنتمين

لتلك الجهات والحركات القومية هم من المسيحيين أمثال الحزب القومي السوري الاجتماعي الذي أسسه أنطون سعادة وحزب البعث العربي الاشتراكي الذي أسسه ميشيل عفلق ولاحقاً الجبهة الشعبية التي أسسها جورج حبش وجبهة تحرير فلسطين التي أسسها نايف حواتمة وجميعهم مسيحيون[١] ويؤكد المؤرخ الأميركي اليهودي برنارد لويس ذلك، حيث يرى أن دولاً أوروبية كثيرة تجد مصلحة ما في تشجيع الأفكار القومية بين العرب، وفي مراحل مختلفة كانت فرنسا وبريطانيا وألمانيا وإيطاليا وروسيا تلعب دوراً للتأثير في حركات من هذا النوع ورعايتها وربما تنظيمها[٢] ، كما لاحظ برنارد لويس كثرة الأعضاء المسيحيين في كثير من المنظمات الإرهابية الأكثر عنفاً، لأنهم مازالوا يأملون في أن يجدوا في التطرف الراديكالي الذي تعبر عنه تلك الجماعات ذلك القبول والمساواة والمبادئ التي راودتهم في الاتجاه القومي السائد، وربما كانت الطموحات وخيبات أمل الراديكاليين اليهود في روسيا القيصرية هي النموذج الدال الذي يتطابق مع ذلك[٣]، (إذ كان معظم قادة الحركة الشيوعية المتطرفة من اليهود).



(١) وهذا لا يطعن في وطنية هؤلاء أو بعضهم أو غيرهم إذ إن تقييم وطنيتهم منوط بإنجازاتهم وليس بعضويتهم بأحزاب ساهم الاستعمار الغربي بتأسيسها خفية.

(٢) برنارد لويس - من بابل إلى التراجمة - ترجمة طلعت الشايب - ص ٣٤٢.

(٣) برنارد لويس - من بابل إلى التراجمة - ترجمة طلعت الشايب - ص ٥٧٧.

الفصل الثاني عشر

رياح الفتنة والتقسيم تهب على العرب والمسلمين

التحالف العربي البريطاني ضد الأتراك المسلمين:

المؤتمر العربي الأول:

مع تفاعل الروح القومية عالمياً، ومع توجه الاتحاديين وتركيا الفتاة نحو المشاعر الوطنية القومية التركية الطورانية، امتدت هذه الرياح إلى العرب وبدأت رياح الانفصال تهب على الولايات العربية مع أول اتصال بين الشريف حسين والإنجليز عام ١٩١٢ تبع ذلك تجمع عربي في باريس في الفترة ١٨- ١٩١٣/٦/٢٣ أطلق عليه المؤتمر العربي الأول، وقد كشف المؤتمر عن خطر لم يلحظه أحد حتى تاريخه وهو خطر الانفصال بين العرب وإخوانهم الأَتراك، فاعترض الأمير شكيب أرسلان على المؤتمر وهاجمه بشدة قائلاً:

إن مؤتمراً كهذا لا ينبغي أن يعقد في عاصمة كباريس لها ما لها من المطامح في سوريا، ولا يجوز أن يعقد بينما الدولة مشغولة بالحرب البلقانية وقد فقدت قسماً عظيماً من السلطنة، وسقطت أهميتها العسكرية والسياسية، إن سقوط الدولة لا ينحصر ضرره على الترك وحدهم بل يتناول جميع المسلمين **لأَن الأوروبيين مهما اجتهدنا وحاولنا التظاهر بالقومية لا يعرفون المسلمين إلا أمة واحدة إذا سقط بعضهم رأيت الأوروبيين احتقروا الجميع.**

وطالب بعض المتآمرين أمثال نادي المطران وخير الله خير الدين وجورج سمنه وشكري غانم بانضمام العرب إلى فرنسا ومحاربة الأَتراك وقد شجع وزير الدفاع الفرنسي حينها منادياً بتأسيس جيش المشرق من العرب والأرمن لمحاربة الأَتراك.

حضر المؤتمر ٢٥ مندوب، كان معظمهم من سوريا ولبنان باستثناء طـــالبين عراقيين تصادف وجودهما في باريس أثناء انعقاد المؤتمر، وكانت مطالب المؤتمر:

١- سلطة إدارية ذاتية في الأقاليم العربية.

٢- درجة أعلى من المشاركة في الحكومة المركزية.

٣- اعتبار اللغة العربية إلى جانب اللغة التركية لغة رسمية للإمبراطورية.

ومن المفارقات أن السفارة الفرنسية قامت بإبلاغ الباب العالي بنص البرقية التالية: نحن الموقعين أدناه علماء وأعيان المدينة أتينا لنقول إننا علمنا بأن جماعة خونةً لدينهم قد اجتمعوا في القاهرة وشكلوا جمعية تدعى اللامركزية وأن بعض الشبان الجهلة غير المثقّفين مع بعض الطلاب يريدون أن يعقدوا مؤتمراً في باريس، إن هؤلاء يدَّعون أنهم يدافعون عن حقوق الوطن العربي، وفي الواقع إنهم خونة يخونون دينهم ووطنهم، نرجو من الله تفشيل كل مشاريعهم وإنزال العقاب الذي يستحقونه بهم.

وكانت البرقية موقعة من مفتي المدينة الحنفي والمفتي الشافعي ونقيب الأشراف (زعيم أمراء المدينة) ورئيس البلدية والشيخ أحمد عارف باسم كل سكان المدينة، كما رددت الصحافة العربية هذا الاستنكار فنشرت صحيفة المقتبس نصاً يحمل توقيع عبد الرحمن باشا والأمير شكيب أرسلان وكذلك توقيعات ممثلي الجماعة المسيحية كان نصه:

(إن المؤتمر العربي الذي انعقد في باريس لا يمثل المقاطعات السورية وأنه مبادرة تعود إلى أشخاص لا يمثلون إلا أنفسهم فقط) كما عمل مفتي الجيش أسعد الشقيري وكمال الأسعد على إبلاغ جمال باشا بأن الثورة العربية كانت على الأبواب وأن عليه أن يتخذ إجراءات احترازية قبل فوات الأوان.

ولعل ذلك كان فخاً واستدراجاً لجمال باشا لإثارته على العرب وبالتالي إيقاع الفرقة بين العرب والأَتراك وبالتالي تحريض العرب للإسراع والانضمام تحت لواء الحلفاء الإنجليز والفرنسيين ضد إخوانهم المسلمين ومع ذلك فإن جمال باشا

أخفى أمر هذه الوثائق والمعلومات حرصاً منه على السيطرة على العرب وعدم إثارة الفوضى أو التمرد ضماناً لانضوائهم تحت قيادته لمحاربة الإنجليز في قناة السويس وحتى لا تستهويهم الوعود الأوروبية الخادعة والكاذبة، ومع فشل حملته على قناة السويس انتابت الرجل الخيبة من العرب من السكان المحليين وبدأ بمحاكمة وإعدام العرب الخونة وفق ما تبين له من معلومات ومن الوثائق المضبوطة داخل السفارة الفرنسية في بيروت.

مراسلات الشريف حسين / مكماهون:

مع وضوح الدلائل باقتراب اندلاع الحرب العالمية الأولى أواخر صيف ١٩١٤، فكر الإنجليز بالاتصال بالشريف حسين أمير مكة بقصد استمالته من جهة وضرب إسفين بين المسلمين كعادهما في بذر الفتنة والتفرقة بين الأخوة، وكذا لتثنيه عن وعوده بإعلان الجهاد إلى جانب تركيا ضد الحلفاء أعداء الإسلام، وعملت بريطانيا على تشجيع الاتجاه القومي العربي، وتشجيع العرب على القومية والتفكير بالاستقلال بل وعدهم فوق ذلك بمملكة عربية مستقلة إن هم ساعدوها ضد الأَتراك، وهكذا اعتقد الإنجليز أن في إمكانهم تحقيق نجاحات في مناطق أخرى من العالم، وبأنهم كانوا قلقين من إمكانية استخدام السلطان العثماني صلاحيته كخليفة للمسلمين لإعلان الجهاد المقدس على الإنجليز والفرنسيين، وكانوا قلقين من إمكانية تمرد المسلمين في المستعمرات البريطانية، وهكذا بدأوا البحث عن شخصية دينية يمكن أن تؤدي دوراً رمزياً بين المسلمين فوجدوا ضالتهم في الشريف حسين، ومع أن الشريف حسين تردد في البداية نظراً لموقف ولديه، الأمير عبد الله الموالي للإنجليز والأمير فيصل المتخوف من الأطماع الأوروبية في الدول العربية.

بل إن الإنجليز شجعوا الشريف حسين على إعلان نفسه خليفة للمسلمين، الأمر الذي أغرى الشريف حسين بالتحالف مع الإنجليز وامتنع عن مخالفة الأَتراك تحت ذريعة أن الأُسطول التركي لا يستطيع حماية موانئ الجزيرة العربية من الإنجليز،

ولعل ثقة الشريف حسين بالإنجليز ذهبت به إلى حد دعوة العرب في فلسطين لاستقبال المستوطنين اليهود وحسن الضيافة العربية لهم!![1].

حاول مكماهون في مراسلاته التهرب من التزاماته الأساسية التي طالبه بها الشريف حسين مكتفياً بتمجيد الشريف حسين والاسترسال في مدحه وإضفاء الألقاب عليه والتوسع في المجاملات والعبارات العامة المطاطة المبهمة التي يجيدها الإنجليز جيداً والإيحاء بوعود براقة مغرية على الصعيد الشخصي - بتعيينه خليفة للمسلمين - وعلى مستوى الأمة باستقلال العرب ومملكة عربية واحدة، وفي الوقت الذي كان فيه الشريف حسين يتبادل الرسائل مع مكماهون بين تموز ١٩١٥ ومارس ١٩١٦ وتعهد بريطانيا منح استقلال العرب ومساعدتهم على التحرر من تركيا مقابل نفوذ سياسي واقتصادي كانت بريطانيا تطعن العرب في اتفاقيات سايكس بيكو الموقعة مع فرنسا وروسيا عام ١٩١٦، ووزعت تركة الدولة العثمانية على دول الحلفاء.

الثورة العربية الكبرى ١٠/٦/١٩١٦:

يورد الدكتور صبحي غوشة في كتابه شمسنا لن تغيب - ص ٢٣٩ الجزء الأول - ملاحظة طريفة للأستاذ يعقوب هاشم أثناء تدريسه في مدينة السلط في أحد أيام الاحتفال بالثورة العربية الكبرى قائلاً ((إذا كانت رصاصة واحدة قسمت العالم العربي إلى سبع دويلات فماذا كان الأمر لو أُطلقت رصاصات أكثر؟؟)).

ويجدر بنا أن ننقل تعليق الأستاذ محمد حسنين هيكل على ثورة ١٩١٦ وغدر بريطانيا بالعرب يقول:

في يوم من الأيام، قبل قرابة تسعين عاماً كانت في الشام ثورة حقيقية أطلقوا عليها الثورة العربية الكبرى، وكان ثوار الشام على حق، لكنهم وقعوا في فخ الاستعانة بالشريف حسين وأبنائه قائداً لهم، واعتمد الشريف حسين على الكولونيل

---

(١) راندال بيكر - مملكة الحجاز - ص ٢١٦.

لورنس الذي ادعى لنفسه قيادة الثورة وانتهى بـــالطبع وبالوظيفـــة إلى تـــسليمها بالكامل لمطامع بريطانيا تحت سلطة اللنبي[1].

معاهدة سايكس بيكو:

قبل أن يجف حبر مراسلات حسين مكماهون دخلت وزارة الخارجية البريطانية في مفاوضات مع الحكومة الفرنسية لاقتسام مناطق النفوذ وتوزيع تركة الرجل المريض تركيا، وتقسيم التركة إلى مناطق نفوذ ضاربة عرض الحائط بالالتزامات والوعود التي قطعتها حول الاعتراف بالاستقلال العربي وبالرغم من الاتفاقية المؤامرة بين الدولتين الاستعماريتين، وبالرغم من أن وضع فلسطين تحت إدارة دولية، كان محل معارضة دولية لاسيما أن بريطانيا تنبهت إلى خطر فلسطين إذ إنها تعتبر خط الدفاع الأول عن مصر وليس سيناء، الأمر الذي يضع السويس في خطر لاسيما أمام المطامع الفرنسية.

كانت المعاهدة على شكل وثائق تم تبادلها خلال شهري ٤، ٥ - نيـــسان - أيار ١٩١٦، بين فرنسا وبريطانيا وروسيا، تم الاتفاق النهائي عليها في بطرسبرغ في روسيا، ومن المفارقات أن "الثورة العربية الكبرى" ضد الدولة العثمانية جاءت بعد شهر واحد من اتفاق بريطانيا وفرنسا على تقسيم الدول العربيـــة بينـــهما، فيمـــا أوحت بريطانيا غدراً للشريف حسين أن ثورته ستقود إلى استقلال العرب، وقـــد جاء في بنود الاتفاقية:

أ) تعترف بريطانيا وفرنسا بدولة أو حلف دولة عربية مستقلة برئاسة رئيس عربي لمنطقتين أ، ب[2] وتحمياه، على أن يكون لفرنسا في المنطقة أ[3] ولبريطانيـــا في المنطقـــة ب[4] حق الأولوية في المشاريع والقروض المحلية والانفراد بتقديم المستشارين والموظفين.

---

(١) محمد حسنين هيكل - مصر إلى أين - مبارك وزمانه - ص ٢٦١.

(٢) العراق - سوريا - لبنان - شرق الأردن.

(٣) سوريا ولبنان.

(٤) العراق وشرق الأردن.

ب) تنشئ فرنسا في المنطقة الزرقاء (سوريا ولبنان) وبريطانيا في المنطقة الحمراء - العراق والأردن- ما ترغبان من أشكال الحكم مباشرة أو بالواسطة أو بالمراقبة.

ج) إنشاء إدارة دولية في فلسطين يعين شكلها بعد استشارة روسيا وبالاتفاق مع الحلفاء وممثلي شريف مكة.

د) تنال بريطانيا مينائي حيفا وعكا وتنال فرنسا ميناء الاسكندرون وتكون حيفا ميناءً حراً لتجارة فرنسا ومستعمراتها والاسكندرون ميناء حراً لتجارة الإمبراطورية البريطانية.

هـ) يحق لبريطانيا أن تنشئ وتمتلك سكة حديد تربط حيفا بالمنطقة ب.

ظلت الاتفاقية سراً لم يدر عنه أحد إلى أن أذاعتها الثورة البلشفية عام ١٩١٧ فَصُدِمَ العرب من خيانة بريطانيا لهم ومع ذلك فإن المعتمد البريطاني في القاهرة تلقى تعليمات بإبلاغ الشريف حسين أن ما قيل عن خريطة مزعومة تم الاتفاق عليها لتقسيم المشرق بين بريطانيا وفرنسا هو محض دعاية مغرضة قام بها البلاشفة الملاحدة لإفساد "الصداقة العربية البريطانية[١] ومع ذلك فإن الشريف حسين بالرغم من شكوكه بالإنجليز استمر بالتفاوض والتعاون معهم وكان على استعداد لأن يصدقهم بالرغم من أن عدداً من الوطنيين العرب وفي مقدمتهم الجنرال عزيز باشا المصري قائد الفيلق العربي في الجيش التركي حذروه من الاطمئنان لبريطانيا إلا أنه لم يستمع لتلك النصائح وصدق بريطانيا ممثلة برجالها هو جارث ولورنس، حيث كان الأخير يستغفل العرب بقيادة أبناء الشريف حسين فيصل وعبد الله وعلي وزيد في الحجاز والأردن وسوريا.

وكانت هناك صدمة أخرى على العرب تمثلت في أن الأتراك اقتحموا مبنى القنصلية الفرنسية في بيروت فإذا هم يعثرون على قائمة كاملة بأسماء الزعماء

---

(١) وكان للإنجليز صداقات وهم القائلين بلسان تشرشل «لا توجد صداقات دائمة بل مصالح دائمة».

السوريين الذين يتعاونون في حركة الثورة العربية مع الشريف حسين إذ قاموا بتشكيل محكمة عسكرية أصدرت حكمها بالإعدام على أربعة عشر منهم جرى تنفيذ الحكم فيهم بعد أيام من صدور الحكم، وكان اعتقاد العرب أن الأتراك لم يعثروا على هذه القائمة بأسماء القادة السوريين مصادفة إلا أن الأمر كان ترتيباً فرنسياً قصد منه الخلاص من العناصر القومية المحركة للثورة والفاعلة في صفوفها والمعارضة لتقسيم سوريا والمطالبة بدولة عربية موحدة[1].

انقلاب جمال باشا على العرب وأسبابه:

١- العلاقات التي أقامها بعض العرب مع القنصلية الفرنسية.

٢- تخوفه من أن يجدهم ينخرطون في الثورة العربية التي أعلنها الشريف حسين في مكة في يونيو ١٩١٦ (وهذا هو ما حصل بالفعل).

٣- استغلال ضابط المخابرات الإنجليزي لورنس في انضمامه للثورة العربية وعمله مستشاراً للأمير فيصل، فقام لورنس بدورٍ خبيث لتنمية الشعور القومي للعرب وتحريضهم على الثورة على الأَتراك وثار الشريف حسين في الحجاز وثار أهل الشمال في الشام.

وتم الإيقاع بين المسلمين أنفسهم ليتم تفتيتهم وتقسيمهم وهيمنة الأعداء الصليبيين واليهود عليهم، وكانت سايكس بيكو، وكان بلفور، وكانت إسرائيل.

٤- نكث العهد الذي أطلقه الشريف حسين لتقديم مساعدات عسكرية لجمال باشا، ففي حديث له مع قيادة الأركان **أقسم الأمير فيصل أمام جمال باشا أثناء اللقاء الذي عقد بينهما في القدس، أقسم بروح الرسول محمد ﷺ بأنه سيأتي مع قواته لمحاربة أعداء الدين حتى الموت وتدعيماً لحديثة أكد لجمال**

(١) محمد حسنين هيكل- المفاوضات السرية ١ - ص ٩٩.

باشا أنه سيرسل قوة من ١٥٠٠ جندي لتقاتل إلى جانب الأتراك ضد الإنجليز في السويس[١]، وبالطبع فإن العرب حاربوا الأتراك إلى جانب الحلفاء ونكثوا عهدهم مع المسلمين في حين أوفوا بعهدهم مع الإنجليز!

٥ - الأزمة الاقتصادية الخانقة لتركيا على إثر حصار الموانئ التركية من قبل دول الحلفاء أو من قبل الدول الأوروبية.

أحكام الإعدام بحق العرب من قبل جمال باشا:

كانت قافلة الشهداء العرب (الأولى) الذين أعدمهم جمال باشا في ١٩١٥/٨/٢١ مكونة من ١١ شهيداً، كان من ضمن المحكومين جمال حماد الذي فر بأعجوبة بينما تم تخفيض الأحكام على عدد من المحكومين إلى السجن المؤبد كان منهم حافظ السعيد (يافا) والشيخ سعيد الكرمي (طولكرم) نظراً لتقدم السن بهما حيث توفي السعيد في السجن.

أما القافلة الثانية من المحكومين بالإعدام فتكونت من ٢١ شهيداً أعدموا في ١٩١٦/٥/٦ وضمت عدداً من رجالات المؤتمر العربي الأول الذي عقد في باريس بالإضافة إلى عمر النشاشيبي وسليم الأحمد عبد الهادي ومحمد الشنطي (يافا).

يقول لورنس العرب في كتابه بأن الصحف نشرت في حينها، أن العرب الذين أعدمهم جمال باشا كانوا يتصلون بالسفارات الأجنبية وأنهم كانوا على استعداد لقبول حكم فرنسي وبريطاني بديلاً عن الأتراك وابتسم فيصل له وهو يغمز له وقال له " إنك كما ترى فنحن الآن بحاجة للارتباط مع البريطانيين فنحن مسرورون لنكون أصدقاء لهم وشاكرين لمساعدتهم لنا من أجل مصالحنا المستقبلية إلا أننا لسنا أتباعاً للبريطانيين[٢].

(١) راندال بيكير - مملكة الحجاز - الصراع بين الشريف حسين وآل سعود.

(٢) أعمدة الحكمة السابعة - ص ١١٠.

وعد بلفور ومصلحة بريطانيا:

كانت الأهداف والأسباب السياسية وراء وعد بلفور بالإضافة للأهداف الاستعمارية أهدافاً صليبية وقد عملت بريطانيا قبل وبعد سقوط فلسطين في الحرب العالمية الأولى على تشجيع الهجرة اليهودية والاستيطان اليهودي في فلسطين.

فقبل سقوط فلسطين في الحرب العالمية الأولى كانت بريطانيا تمارس الضغط على الحكومة العثمانية لتسهيل هجرة اليهود من خلال تدخل سافر في الشؤون الداخلية التركية وبعد سقوط فلسطين سارعت منذ اللحظة الأولى إلى اتخاذ كل الأسباب لتسهيل هجرة اليهود إلى فلسطين.

كان تصريح بلفور أول اعتراف دولي لليهود بالصهيونية السياسية ومشاريعها الاستيطانية في فلسطين، وهو الفرمان الذي طالما سعى إليه هرتزل عند السلطان عبد الحميد وفشل في الحصول عليه، إلى أن أعلن أن هذا الفرمان لن يحصل عليه إلا بعد تقسيم الدولة العثمانية وهذا ما تم بالفعل بعد هزيمة العثمانيين في الحرب العالمية الأولى.

وقبل سقوط فلسطين بشهر واحد في ٩/١٢/١٩١٧ صدر وعد بلفور في ٢/١١/١٩١٧.

وقد عجل في إعلان السياسة البريطانية بشأن فلسطين حدثان:

١ - الأول دخول أميركا الحرب رسمياً في نيسان ١٩١٧.

٢ - ثانياً إقبال الشباب اليهودي في روسيا بعد ثورة ١٩١٧ إلى الانخراط في الحزب الشيوعي البلشفيك بقيادة لينين والذي وقف ضد استمرار روسيا في الحرب وبالتالي رأت الإسراع في إعلان فلسطين وطناً قومياً لليهود لكي يتجه الشباب اليهودي نحو العقيدة الصهيونية الموالية للحلفاء واستعمار فلسطين.

وقد عُبر عن وعد بلفور بمقولة مختصرة ترى أنه "**مستند وعدت أمة بموجبه أمةً أخرى بإعطائها بلاد أُمة ثالثة**".

وفي عام ١٩١٧ أصدرت الحكومة البريطانية أمراً بإقامة أول كتيبة في الفيلق اليهودي التي كان من المفروض أن تشترك بحسب تخطيط الصهيونيين على الأقل مع الجيش البريطاني في احتلال فلسطين وفي ١٩١٧/١٢/١١، وبعد مرور تسعة وثلاثين يوما على وعد بلفور دخل الجنرال اللنبي القدس وصرح بصلافة وعجرفة "الآن انتهت الحروب الصليبية".

وبعد انتهاء الإدارة العسكرية لفلسطين سارعت بريطانيا بتعيين المندوب السامي البريطاني اليهودي هربرت صموئيل مندوباً سامياً على فلسطين في ١٩٢٠/٧/١ الذي سارع بإصدار تشريعات أقر فيها بالسماح بدخول ١٦٥٠٠ مهاجر إلى فلسطين وقد صرح صموئيل بكل وقاحة بأن سياسة حكومة جلالته التي جاء لتطبيقها هي تشجيع هجرة اليهود إلى أن يضمن لهم السيطرة على البلاد ويمكن إنشاء حكومة يهودية.

هذا في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا تخدع العرب والهاشميين بالذات والذين تعاونوا معها على إسقاط الدولة العثمانية أملاً في استقلال العرب وأطلقوا رصاصتهم الأولى على الدولة العثمانية في ١٩١٦/٦/١٠، وإذا بها تدير لهم ظهر المجن وتتخلى عن عهودها لهم وتستعمر بلادهم وتتقاسمها وفق اتفاقية سايكس بيكو مع فرنسا.

كانت حماسة بلفور تتحدث عن حاجة ماسة لوطن يهودي في فلسطين، وكانت حماسته في أن هؤلاء اليهود يبثون القلق في المجتمعات الأُوروبية التي لم تكن على استعداد لاستيعابهم وكان الحل الوحيد أن يذهبوا مع بعضهم بعيداً عنا في بلد يكون لهم "أي فاتورة على الحساب لصالح أوروبا دفع ثمنها عرب فلسطين".

كانت رسالة بلفور للورد روتشلد مكونة من ٦٨ كلمة، ولم يشهد التاريخ حالات أفضت بها هكذا رسائل إلى المعاناة التي خلفتها كما شهد المعاناة التي خلفها وعد بلفور، ولا نجانب الصواب وجادة الحق إذا قلنا أن وعد بلفور كان الرد الصليبي الإنجليزي على رسالة صلاح الدين لريتشارد قلب الأسد قبل مغادرته

فلسطين جاء في تلك الرسالة: "القدس هي إرثنا كما هي إرثكم من القدس عـــرج نبينا إلى السماء وفي القدس تجتمع الملائكة، لا تفكر بأنه يمكن لنا أن نتخلى عنـــها أبدا كما لا يمكن بأي حال أن نتخلى عن حقوقنا فيها كطائفة مسلمة، أما بالنسبة للأرض فإن احتلالكم لها كان شيئاً عرضياً وحدث لأن المسلمين الذين عاشـــوا في البلاد حينها كانوا ضعفاء ولن يمكنكم الله أن تشيدوا حجرا واحداً في هذه الأرض طالما استمرت الحرب[1].

وكان نص وعد بلفور كالآتي:

"إن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للـــشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل أفضل مساعيها لتسهيل تحقيق هذه الغاية علـــى أن يفهم جلياً أنه لن يسمح بأي إجراء يلحق الضرر بالحقوق المدنية والدينية التي تتمتع بها المجتمعات غير اليهودية القائمة في فلسطين، ولا بالحقوق أو بالمركز الـــسياسي الذي يتمتع به اليهود في البلدان الأخرى".

الجنرال الصليبي يدخل القدس:

إدموند اللنبي ١٨٦١- ١٩٣٦:

يذكر الكاتب إميل الغوري عن ذكرياته في القدس[2] عندما دخلها الإنجليز أن مفرزة من الجنود الاسكتلنديين على رأسهم ضابط يتقن اللغة العربية طوقوا منـــزله يطلبون ماءً فدعاهم والده لشرب الشاي فلبوا دعوته ودخلوا وأحـــضروا الـــسكر معهم لعدم توفره في منزل أُسرة إميل وعبر الضابط الاسكتلندي باللغة الفصحى عن فرح بريطانيا لإنقاذ القدس (قصده احتلال القدس) وأضـــاف أن الأمـــير فيـــصل سيدخل قريباً إلى دمشق وسوف يرسل نائباً عنه لاستلام القدس من الإنجليز ومعها

---

(١) وليد الخالدي - القدس مفتاح السلام - ص ٣٣.

(٢) فلسطين عبر ستين عاماً - اميل الغوري - ص ٣٠.

العاصمة الثانية للدولة السورية العربية، ويشير الكاتب إميل الغـوري أن منـدوب فيصل لم يصل ولم تسلم القدس لفيصل وكانت أول كذبـة وانكـشف خـداع بريطانيا للعرب كما انكشفت قبلها اتفاقية سايكس بيكو.

ويتابع الكاتب إميل الغوري في كتابه "فلسطين عبر ستين عاماً" أنـه عنـد دخول الإنجليز القدس في ١٩١٧/١٢/١١، دعت السلطات البريطانيـة رؤسـاء الأديان والمجالس البلدية والوجهاء والأعيان وكبار الموظفين وممثلي العرب للاجتماع في الساحة الواقعة بين القلعة والقشلة قرب باب الخليل بالقدس لاستقبال الجنـرال والسلام عليه والاستماع إلى خطاب سيلقيه.

حيث كان بين الحضور الشيخ كامل الحسيني مفتي القدس ورئيس بلدها سليم الحسيني وقد تحدث الجنرال الصليبي يوم ١٩١٧/١٢/١١ بلهجة قاسية عن الحروب الصليبية في القرون الوسطى واحتلال الصليبيين للقدس وأن هذه نهايـة الحـروب الصليبية وقد أبرق له رئيس وزراء بريطانيا لويد جورج مهنئاً بانتـصاره في آخـر الحملات الصليبية التي اعتبرها اللنبي الحملة الثامنة وقد أثار سلوك اللنبي هذا غضب وضيق الحضور من زعماء وشيوخ وبدؤوا بالانسحاب من الاجتمـاع وفيـه (في اللنبي) قال الشاعر أحمد شوقي قصيدته:

يا فاتح القدس خل السيف ناحية	ليس الصليب حديداً كان بل خشبا
إذا نظرت إلى أين انتهت يده	وكيف جاوز في سلطانه القطبا
علمت أن وراء الضعف مقـدرَةً	وأن للحق لا للقوة الغلبـا

اللنبي قائد آخر حملة صليبية:

وإمعانا في تأكيد الحقد الصليبي الإنجليزي على العرب والمسلمين، يذكر السيد بيان نويهض في كتابه القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩١٧-١٩٤٨، نقلاً عن الأستاذ عزة دروزه، بأن الكتاب المدرسي للناشئة الإنجليزية (نيو أج ريدر) "New Age Reader" ذكر في نهاية فصل الحروب الصليبية (دعني أقول لك قبـل

أن أختم هذا الفصل أن آخر حملة صليبية هي الحملة التي قادها اللورد اللنبي وفـــتح بها المدينة المقدسة أورشليم)[1] .

ومما يجدر ذكره أن رسماً كاريكاتيريا في الأسبوعية اللندنية بنش Punch معلماً باحتلال اللنبي للقدس جاء بعنوان "الحملة الصليبية الأخيرة" وقد رســـم ريتـــشارد قلب الأسد يحدق في القدس قائلاً وأخيراً يتحقق حلمي".

وبصورة مماثلة، فإن النصب التذكاري للسيد مارك سايكس صاحب اتفاقيـــة سايكس بيكو، ومهندس النظام الجديد في الشرق الأوسط بعد الحرب العالمية الأولى والمتوفى عام ١٩١٩م هو تمثال مزخرف بالنحاس يرتدي درعاً ويحمل سيفاً وتحت قدميه جثة مسلم وفوقه درج دوِّن عليه باللاتينية "ابتهجي يا أورشليم" والنـــصب موجود في سليدمير يوركشاير موطن السير مارك[2].

ولعل الكاريكاتير الخاص بريتشارد قلب الأسد وتمثال مارك سايكس يعكسان وحدة صليبية ولوحة ناطقة بالعداء الصليبي العلني للمسلمين والوجه القبيح لبريطانيا تجاه العرب والمسلمين.

الاحتفال الصليبي بدخول اللنبي القدس:

بالرغم من أن الحرب العالمية الأولى كانت بين بريطانيا وحلفائها من جهة ضد ألمانيا وتركيا من جهة أخرى وبالرغم من معاداة ألمانيا لبريطانيا إلا أنه وعند دخول اللنبي القدس في ١٩١٧/١٢/١١ قرعت أجراس الكنائس احتفالاً وابتهاجاً في كافة المدن الأوروبية احتفالاً بالانتصار النهائي على المسلمين، **بما في ذلك احتفال ألمانيا نفسها بالرغم من أن ذلك كان انتصاراً لعدوها اللدودة بريطانيا، إلا أن الأحقاد الصليبية تغلبت على الترعة الوطنية الألمانية ضد بريطانيا.**

---

(١) بيان نويهض - القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين - ص٢٧٤.

(٢) وليد الخالدي - القدس مفتاح السلام - ص٣٤.

وفي الوقت الذي كانت فيه الصحف البريطانية تهلل كاريكاتيريا لانتصار اللنبي في آخر حملة صليبية من جهة وكانت أجراس الكنائس الأوروبية في كافة أنحاء أوروبا بما فيها ألمانيا العدو اللدود لبريطانيا، تُقرعُ احتفالاً بالانتصار الصليبي النهائي على المسلمين، كان الملك عبد العزيز يرسل ابنه الأمير فيصل الذي كان في الثانية عشر من عمره لتهنئة بريطانيا لاحتلالها القدس وانتصارها على المسلمين الأتراك[1].

وعلى الجانب الآخر، في بادية الأردن وفي الوقت الذي كان فيه أحمد جمال باشا قائد الجيش الثامن التركي يندفع مسرعاً ليدافع عن القدس ضد الهجوم الصليبي بقيادة اللنبي، كان "ثوار العرب" يكمنون عند جسر اليرموك لقطار أحمد جمال باشا ليفجروه بقيادة الجاسوس الإنجليزي لورنس[2].

ومن الجدير ملاحظة أن هجوم اللنبي على القدس في ديسمبر عام ١٩١٧ بعد بضعة أسابيع من وعد بلفور قصد منه تقديم هدية صليبية للشعب الإنجليزي ولأوروبا بشكل عام - هدية عيد الميلاد - بانتصار الصليبيين على المسلمين في آخر حملة صليبية.

ومن أوجه الأطماع والأحقاد الصليبية الإنجليزية على المسلمين أن بريطانيا عندما أرسلت المطران الإنجيلي الإنجليزي المعين في القدس عام ١٨٤١ أرسلته على متن طراد عسكري تابع للبحرية الإنجليزية في رسالة ذات مغزى بأن ذهابه إلى فلسطين هو سلسلة من حلقات الحروب الصليبية المستمرة على المسلمين[3].

---

(١) العين والمخرز - عبد الجبار محمود العمر - ص ٧٩.

(٢) أعمدة الحكمة السبعة - لورنس العرب - ترجمة محمد نجار - ص ٥٠٢.

(٣) وليد الخالدي - القدس مفتاح السلام - ص ٢٢٧.

إعلان وعد بلفور في فلسطين:

صدر الإعلان الرسمي عن وعد بلفور في فلسطين في ١٩٢٠/٢/٢٠ من قبل الجنرال بولز عندما دعا رؤساء الطوائف والأعيان إلى اجتماع عقده في منزله وتلا عليهم تصريحاً أنبأهم فيه بوعد بلفور مركزا على الحقوق الدينية والمدنية للسكان ومخفياً الأغراض الخبيثة لبريطانيا من وراء الوعد لتحويل فلسطين إلى وطن قومي لليهود لتكون قاعدة لها في الشرق الأوسط ومخلب قط وحاجز بين الشمال العربي السوري والجنوب المصري أكبر ركيزتين عربيتين في المنطقة وبعد ذلك الاجتماع والتصريح للجنرال بولز انفجرت في فلسطين المظاهرات والاضطرابات والتي عرفت باضطرابات نيسان ١٩٢٠.



الفصل الثالث عشر

التعاون البريطاني الصهيوني
ودور بريطانيا في نقل أراضي العرب لليهود



هربرت صموئيل:

كان أول ما صنع هربرت صموئيل أن عيّن أحد أغنياء الصهيونية واسمه نورمان بنتو تيش نائباً عاماً يتولى وضع القوانين والأنظمة التي تسير البلاد كما عين يهوديين في منصب المدير العام للهجرة والسفر والتجارة ثم أضاف إليهما ثالثاً هو مدير السياحة وحرص على أن يكون كبار المسؤولين في الحكومة المركزية والإدارات المحلية أدوات لتنفيذ السياسة الصهيونية وأعلن اعتبار اللغة العبرية لغة رسمية إلى جانب العربية والإنجليزية وترك للجنة التنفيذية الصهيونية للوكالة اليهودية أن تستقل بإدارة معارف اليهود ومدارسهم في حين جعلت إدارة المعارف العربية بيد الإنجليز، كما قام بطباعة (أرض إسرائيل) باللغة العبرية إلى جانب فلسطين بالعربية على الطوابع الفلسطينية، وبدأت عملية انتقال الأراضي إلى اليهود لاسيما أراضي الدولة فأقطعت حكومة الانتداب اليهود مساحات شاسعة من أراضي الدولة وأقفلت المصرف الزراعي الذي كان في العهد العثماني يقرض المزارعين العرب وحجزت أراضي الفلاحين ومواشيهم في سبيل تسديد القروض وأرهقت المواطنين بزيادة الضرائب حتى يضطروا إلى بيع أراضيهم لدفعها أو لتأمين معاشهم وفتحت أبواب الهجرة على مصراعيها ومنحت سنة ١٩٢١ امتياز توليد الكهرباء لليهودي الروسي روتنبرغ لمدة سبعين عاماً، ورفضت عروض شركات عربية لتنوير المدن العربية أو اقتناء محركات كهربائية وسهلت السلطات البريطانية لليهود شراء

أكثر من ألف دونم في مرج ابن عامر من غير فلسطينيين[1] إلى جانب الاستيلاء على مساحة أخرى في وادي الحوارث وفتحت أبواب الهجرة لليهود وتجنيس القادمين بالجنسية الفلسطينية وتسهيل امتلاكهم مساحات واسعة من أراضي الدولة ومنحت امتياز استخراج أملاح البحر الميت عام ١٩٣٠ لمدة خمسة وسبعين عاماً ليهوديين وكيلين عن شركة البوتاس الفلسطينية المؤلفة في لندن.

بيع الأراضي الفلسطينية لليهود والجهات التي كانت تقف وراء البيع:

بعد عام النكبة واحتلال معظم أراضي فلسطين عام ١٩٤٨ وإنشاء دولة إسرائيل راح البعض يروج دعاية أن الفلسطينيين باعوا أراضيهم لليهود ثم هاجروا وقد أخفى مروجو الإشاعات جهلا أو تجاهلاً أن الفلسطينيين كانوا يبيعون مصاغات نسائهم لشراء أي قطعة من السلاح لمقاومة اليهود ومؤيديهم من الاحتلال الإنجليزي.

وفيما يلي أهم بيانات بيع الأراضي لليهود ومن كان وراء البيع:

١) قام اليهود الروس بشراء ٢٦٠٠ دونم[2] من الأرض التي عرضتها الدولة العثمانية للبيع عام ١٨٨٣ التي صادرتها من العرب الفلاحين لعجزهم عن دفع الضرائب للسلطة وأضيفت هذه المساحة من الأراضي إلى مستعمرة بتاح تكفا.

٢) قام اليهود الروس أيضاً عام ١٨٨٢ بشراء مساحة ٣٢٠٠ دونم التي تقع على بعد ١٢ كم جنوب شرق يافا وذلك من خلال المزاد العلني الذي عقدته السلطة العثمانية لبيع الأراضي بسبب عجز أصحابها عن دفع الضرائب حيث تم تأسيس مستعمرة ريشون ليصيون ومع أن والي القدس عارض الصفقة إلا أن القنصل البريطاني الذي قام بالشراء تدخل من أجل إتمام الصفقة لصالح اليهود وقام بتسجيل الأراضي باسمه وتنازل عنها فيما بعد للمهاجرين اليهود.

---

(١) إقطاعيين عرب من سوريا ولبنان.

(٢) الدونم يعادل ألف متر مربع.

٣) قام أفندية صفد ببيع ٣٧٠٠ دونم للممول اليهودي روتشيلد حيث تم توسيع المستعمرة اليهودية روش بينا وذلك عام ١٨٨٢.

٤) قام أحد المهاجرين اليهود الألمان عام ١٨٨٣ بمبادلة ٢٠٠٠ دونم من أراضي وادي حنين بأراضٍ أخرى داخل روسيا، وقد أُنشئت على أراضي وادي حنين مستعمرة نس تصيونا -راية صهيون-.

٥) قام ابن نائب قنصل فرنسا في القدس إميل يوسف فيلت عام ١٨٨٤ ببيع ٣٠٠٠ دونم من أراضي قرية مطره غرب عكرون التي اشتراها صندوق مونتفيوري، وأُنشئت عليها مستعمرة غديرة (قطرة يهود).

٦) قامت السلطات العثمانية عام ١٩١٣ في عهد الاتحاديين ببيع الأراضي المسجلة باسم السلطان عبد الحميد في غور بيسان وكان البيع لليهود بعد أن تنازل السلطان عنها لصالح الإمبراطورية بعد الأزمة الاقتصادية الخانقة التي مرت بها الدولة العثمانية بالرغم من أن السلطان عبد الحميد كان آنذاك معزولاً في منفاه في سالونيك.

٧) كان لبعض الحكام الإداريين دوراً رئيساً في تسريب الأراضي لليهود، ومن الأمثلة على ذلك التقرير الذي رفعته شورى الدولة إلى الباب العالي والذي بيَّنَ بيع عشر قرى في قضاء صفد من قبل قائم مقام صفد حمدي أفندي خلال فترة ولايته بين ١٨٩١-١٨٩٤ فقد قام متصرف عكا صادق باشا بالاتفاق مع قائم مقام حيفا أحمد شاوي وقائم المقام السابق مصطفى القنواتي ومفتي عكا علي أفندي ورئيس بلدية حيفا مصطفى أفندي وآخرين بقبول ١٤٠ عائلة يهودية طردوا من الممالك الروسية وتم إسكانهم في قضاء حيفا كما تم الاتفاق على بيع الأراضي التي يملكها والي أضنه السابق وشقيق المشار إليه شاكر باشا وسليم نصر الله قوري من أهالي جبل لبنان وقبول المأمورين الرشى وقيام

رئيس البلدية بتنظيم رخص مزورة وإحداث مائة وأربعين منزلاً على الأراضي المذكورة وتحويلها إلى قرية وإسكان اليهود فيها وإعطائهم صفة الرعايا وبالتالي حق الإقامة.

٨) قامت عائلة سرسق اللبنانية ببيع مساحة واسعة من الأراضي قرب طبريا وكان ذلك عام ١٩٠١ بالرغم من أن قائم مقام طبريا آنذاك الأمير أمين أرسلان كان يعارض بيع الأراضي لليهود على أسس قومية وبالرغم من معارضة أرسلان فقد تمت الصفقة بعد أن أصدرت الحكومة العثمانية قراراً يسمح بالبيع لرئيس جمعية الاستيعاب اليهودي الصهيوني (يكا) نارسيس ليفني، بحجة أنه أجنبي يستطيع شراء الأراضي في بيروت وفقاً لفرمان الأراضي العثماني الصادر عام ١٨٦٩ وبموجب هذا الامتياز حصلت الجمعية من خلال مكتبها في القدس على ٣١٥٠٠ دونم من الأراضي الفلسطينية الواقعة بالقرب من طبريا بالرغم من معارضة الفلاحين العرب لتلك الصفقة.

وقد كان القومي العربي نجيب عازوري أول عربي ينبه إلى خطورة بيع الأراضي لليهود وخطورة المشروع اليهودي خصوصاً بعد مؤتمر بال حيث نشر مقالاً عام ١٨٩٧ بعنوان (القدس الشريف) وتحدث عن ازدياد عدد المهاجرين وقد اتهم عازوري حاكم القدس كاظم بك ببيع وتسهيل بيع الأراضي لليهود وللوكالة اليهودية وقال إن اليهود اشتروا كاظم بك بالمال.

٩) تمكنت جمعية الأليانس الفرنسية بإرسال مندوبها كارل نيطر إلى فلسطين ومن ثم استئجار ٢٦٠٠ دونم من الحكومة لليهود على حساب أصحاب تلك الأراضي في قرية يازور العربية جنوب شرقي يافا لاستعمالها لأغراض مدرسة لليهود.

١٠) تمكن يوئيل موشي سلومون عام ١٨٧٨م من شراءِ ما مساحته ٣٣٧٥ دونماً من أراضي ملبس قرب يافا من أحد التجار العرب اللبنانيين من آل قصار.

١١) وفي السنة التالية اشترى سلمون ١٠٠٠٠ دونم من التـــاجر اللبنـــاني طيـــان وأنشئت عليها قرية بتاح تكفا.

١٢) قام نائب قنصل ألمانيا والنمسا في الإسكندرية إميل فرانـــك وهـــو يهـــودي بمساعدة مواطن فرنسي ببيع ٦٠٠٠ دونم من أرض قرية زمارين الواقعة على بعد ٢٠ كم إلى الجنوب من حيفا.

١٣) وفي عامي ١٨٨٣/١٨٨٤ قام اليهودي يعقوب عبو أحد المقيمين في صـــفد ببيع ٢٥٠٠ دونم في الحولة شمال فلسطين وكان يعمل قنصلاً لفرنسا في عكا ووكيل فرع القنصلية الفرنسية في صفد وأسكن فيها يهوداً بولونيين.

١٤) كان بعض الفلاحين العرب يلجؤون إلى تسجيل أراضيهم بأسماء كبار الأغنياء لتجنب دفع الضريبة، وكان هؤلاء الأغنياء كثيرا ما يخونون الأمانة ويبيعـــوا الأرض لليهود، حيث قام عرب الزبيد بتسجيل أراضيهم بالقرب من بحـــيرة الحولة باسم القنصل الفرنسي اليهودي في عكا يعقوب عبو الذي قام بـــدوره ببيعها إلى المستوطنين اليهود.

١٥) عام ١٨٩٦ استغل وكلاء روتشيلد التمرد الذي قام به سكان قريـــة المطلـــة الدروز ضد السلطات واشتروا أراضي القرية الواقعة في شمال فلسطين علـــى الحدود الفلسطينية اللبنانية ودفعوا تعويضاً لسكانها وأجبروهم بمساعدة السلطة على الرحيل عن القرية.

١٦) قامت شركة تطوير أراضي فلسطين عام ١٩١٨ بشراء ما يعادل ١٩٢ دونماً من الأراضي على جبل المشارف (سكوبس) حيث أقيمت الجامعة العبرية وكانـــت هذه الأراضي ملكاً للورد إنجليزي وللبطريك اليوناني في القدس[١].

---

(١) ويجدر بنا أن نشير إلى دور البطريرك اليوناني ثيوفولس الثالث بطريرك المدينـــة المقدســـة وسائر فلسطين وما راج من فضائح عنه ببيع آلاف الدونمات التابعة للوقـــف المـــسيحي لليهود، وقد تم تداول ذلك على نطاق واسع على كافة الشبكات العالمية - خلال الفترة ٢٠١٦-٢٠١٨ الأمر الذي حدا بالمسيحيين أنفسهم للمطالبة بعزله.

١٧) ومع تمسك العرب بأراضيهم وصحوتهم وإدراكهم للمرامي الاستعمارية البريطانية والأطماع اليهودية والصهيونية في أراضيهم لجأت بريطانيا وفرنسا في مؤازرة اليهود لشراء أراضي شاسعة في فلسطين من إقطاعيين عرب يقيمون في سوريا ولبنان، منهم عائلات سرسق والجزائري واليوسف والقباني وسلام والتيان والتويني والشماع، حيث تم بيع أراضي شاسعة من أراضي مرج بن عامر وغيرها في شمال فلسطين ومع بيع الإقطاعيين العرب لهذه الأراضي وبدلا من قيام حكومة الانتداب بحماية حقوق الفلاحين والمزارعين العرب في تلك الأراضي فإنها تنكّرت لهم واعترفت بشرعية البيوعات التي جرت وكانت كلها غير قانونية وأمرت الفلاحين والمزارعين العرب بإخلاء وترك أراضيهم لليهود، ولما رفض العرب الانصياع لتلك الأوامر لجأت السلطات البريطانية إلى قوة الحديد والنار فأخرجت الفلاحين والمزارعين من قراهم بالعنف بعد أن قوضت خيامهم ونسفت بيوتهم وأتلفت مزروعاتهم وسقط عدد من الشهداء رجالاً ونساءً من جراء تلك الإجراءات.

ومن ضمن القرى التي أخرج الإنجليز سكانها العرب بالقوة كانت: قرى المنسي والعفولة والغولة وطيعون والزبيدات وبعض أراضي عشائر الساخنة والصقر ووادي الحوارث وغيرها[1]، حيث وقعت اشتباكات مع عرب الزبيدات الذين رفضوا إخلاء وادي الحوارث أدت إلى جرح ٤٣ شرطي عربي وإنجليزي ومقتل عربي واحد.

١٨) كانت الحكومة البريطانية تمارس الضغط الاقتصادي على الفلاحين العرب وتلزمهم بدفع الضرائب بالقوة، وقد ظهرت هذه السياسة جلية في عهد أندروز - حاكم الجليل متصرف اللواء الشمالي الإنجليزي - الأمر الذي دفع

---

(١) فلسطين عبر ستين عاماً - اميل الغوري - ص ٨٦-٨٧.

كثيراً من الأهالي المزارعين والبدو البسطاء إلى بيع أراضيهم لليهـود تحـت تطمين خادع بأنهم سيبقونهم في أراضيهم وما أن تنتهي إجراءات البيع حـتى يمارسوا القوة عليهم لإجلائهم.

وقد اغتيل أندروز على يد العرب في الناصرة عام ١٩٣٧ فقامت السلطات البريطانية بإقصاء المفتي عن جميع مناصبه سواء في المجلس الإسلامي الأعلى أو في رئاسة الأوقاف واعتقلت عدداً من أعضاء اللجنة العربية العليا ونفتهم إلى جزر شيلي وقد تم إتلاف جانب من خط أنابيب نفط العراق في بقعة إلى الغرب مباشرة من نهر الأردن واشتعلت النار في النفط المتدفق وقطعت خطوط الهاتف وأطلقت النيران على دوريات عسكرية جنوبي القدس، وقام الثوار العرب بإحراق مطار اللد لاسيما المكاتب الخشبية إحراقاً تاماً ففرضت السلطات الإنجليزية منع التجول على القدس وكذا منعته في اللد لمدة ٢٣ ساعة يومياً ولمدة أربعة أيام.

وقد ذكر الكاتب إميل الغوري في كتابه فلسطين عبر ستين عاماً، أنه أصـدر مجلة الشباب باللغة العربية التي تخصصت في فضح سماسرة الأراضي عرباً ويهوداً[(١)] وعملت على حضِّ العرب على التمسك بأراضيهم وعدم بيعها وفضح السماسرة وكان من بين هؤلاء السمسار اليهودي خانكيف بالإضافة إلى المنظمات اليهودية المعروفة البيكا والكيرن هايسود والكيرن كيميت أما السماسرة العرب فكان منهم وفقاً للمجلة: محمد داود - نخله عبد الله - محمد الزيناتي - عبد الفتاح درويش - سعيد عواد - الخوري جميل الأبيض - جميل الكعكة - صدقي العلمي - سلامة بن سعيد - سلامة إبراهيم - أحمد القاسم والعائلات العربية السورية واللبنانية من آل سرسق - وسلام - والتيان - واليوسف - والجزائري والمطران والشماع والتويني والقباني وكاظم بك والي القدس حتى عام ١٩٠٤.

---

(١) فلسطين عبر ستين عاماً - إميل الغوري - ص ١٧٧.

١٩) كان المزارعون اليهود يقومون بزراعة الأراضي بقيادة (التراكتورات) وهم يحملون السلاح تحت مرأى وسمع الإنجليز دون أن يحركوا ساكناً في حين أن من يحمل شبرية (جنبية)[1] من العرب كان يعتقل ويحاكم.

العوامل التي ساعدت على بيع الأراضي لليهود:

ظهر مقال في جريدة فلسطين الصادرة في ١٩٣٠/٨/٢٤ (بقلم مزارع من طولكرم) أوضح فيه العوامل المتشابكة التي أكرهت الفلاحين على بيع أراضيهم جاء في المقال:

إنني أبيع أرضي وممتلكاتي لأن الحكومة تكرهني على دفع الضرائب والأعشار في وقت لا أملك الوسائل الضرورية لإعالة نفسي وأسرتي وفي نفس هذه الظروف أكون مضطراً للجوء إلى شخص غني يقدم لي قرضاً أتعهد برده مقروناً بفائدة ٥٠% بعد شهر أو شهرين، وهنا أَضطر إلى تجديد الصك مرة تلو مرة بفوائد مضاعفة من الدين الأصلي الأمر الذي يضطرني في النهاية لبيع أرضي لكي أسدد ديوني.

كان ذلك واحداً من الأسباب المتعددة التي كانت تساهم في بيع الأراضي لليهود على المستوى الفردي.

لجان مقاومة بيع الأراضي لليهود:

مع الانتقال المستمر للأراضي العربية لليهود بكافة الوسائل وبمساعدة الإنجليز ظهرت حملة صحفية واسعة في الصحف لمهاجمة السماسرة مع نشر أسماء هؤلاء السماسرة وحضّ المواطنين على عدم البيع والتمسك بأراضيهم وكانت أول مدينة انتصرت على مشكلة بيع الأراضي مدينة يافا حيث زار وفد من رجالها المفتي في القدس وتعهدوا له بعدم بيع الأراضي لليهود.

---

(١) سكين خاص مشهورة لدى أهل اليمن بشكل خاص وأهل الصحراء والأرياف في فلسطين بشكل عام.

وقد اتبع المفتي أسلوبين لتشجيع المواطنين على التمسك بأراضيهم الأسلوب العاطفي الديني والأسلوب الفعلي بالإقناع.

وقد تجلى ذلك في قضية بيت جبرين قرب الخليل وتوجه السماسرة في بيع أراضيها لليهود إذ توجه وفد من أحمد حلمي باشا وسامي السراج وأحمد النحوي وعبد الله طهبوب وطالب مرقه ومحمد صبري عابدين وداري البكري بصحبة عدد من السياسيين والصحفيين واجتمع الوفد مع آل العزة شيوخ بيت جبرين وتعهد الشيخ سعيد العزة شيخ بيت جبرين للوفد بعدم بيع أي شبر من أراضي بيت جبرين.

المؤتمر العربي الفلسطيني:

انعقد في القدس بين ١/٢٧-١٩١٩/٢/١ عندما ظهر الصراع بين الوجهاء ملاك العقارات والنخبة الثرية البرجوازية، كان عدد المجتمعين ٢٧ مندوباً منهم:

١١ موالون لبريطانيا.

٢ موالون لفرنسا.

١٢ من أنصار الوحدة العربية.

٢ ليس لهم أي ارتباطات سياسية.

وتولى رئاسة المؤتمر عارف الدجاني وكان من أبرز المؤتمرين عزت دروزه ويوسف العيسى وجاءت توصية المؤتمر إلى مؤتمر السلام في سان ريمو كما يلي:

١ - إننا نعتبر فلسطين جزءاً من سوريا العربية.

٢ - إن التصريح الذي أتى به مسيو بيكو وزير خارجية فرنسا مدعياً أن لفرنسا حقوقاً في بلدنا مبنية على رغبات السكان ليس له أساس.

٣ - نعرب عن رغبتنا بألا تنفصل سوريا الجنوبية عن سوريا الشمالية وأن تكون متحررة من كافة أنواع النفوذ الأجنبي.

٤ - وفقاً للمبدأ الذي وضعه الرئيس ولسون وأقرته معظم الدول الكبرى يعتبر كل وعد صدر أو معاهدة عقدت فيما يتعلق ببلادنا ومستقبلها لاغيين وباطلين ونحن نرفضها.

٥ - إن حكومة هذه البلاد ستطلب العون من صديقتها بريطانيا العظمى إذا دعت الحاجة إلى تحسين أو تطوير في البلاد شريطة ألا ينتقص ذلك من استقلالها أو يؤثر في الوحدة العربية، وقرر المؤتمر إيفاد عدداً من مندوبيه إلى دمشق كان منهم: إبراهيم عبد الهادي - حيدر عبد الهادي - الشيخ راغب أبو السعود - جبران قزما - عزت دروزه.

وذلك لإبلاغ الوطنيين العرب مضمون القرارات هذه وبالذات مضمون القرار الداعي إلى تسمية فلسطين سوريا الجنوبية ووحدها مع سوريا الشمالية كما أن المؤتمر سمى ثلاثة أعضاء آخرين ليكونوا ممثلين محتملين للذهاب إلى باريس.

لجنة كينغ كراين:

وهي لجنة كانت نتيجة مقررات مؤتمر الصلح الذي عقد في باريس عام ١٩١٩ وكان إنشاؤها بناءً على اقتراح الرئيس الأميركي وودرو ولسون، ووافق عليه المجلس الأعلى للمؤتمر، إلا أن المخاوف البريطانية الفرنسية من تسلل أميركا إلى المنطقة جعلهما تنسحبان من اللجنة لاسيما بعدما علمتا أن العراق وفلسطين ستكونان من ضمن وجهات اللجنة، فسحبت بريطانيا هوجارث ومكماهون وسحبت فرنسا ممثلها أيضاً فأصبحت اللجنة بتمثيل أميركي ضعيف، وكان هدف اللجنة الوقوف على آراء أبناء سوريا وفلسطين في مستقبل بلادهم وقد اختار ولسون لرئاسة اللجنة هنري كينغ رئيس كلية أوبريت بولاية أوهايو وتشارلز كرين وهو رجل أعمال بارز من شيكاغو، وبعد أن طافت هذه اللجنة في مختلف المدن السورية والفلسطينية بما فيها دمشق وشرق الأردن ما بين ١٩١٩/٦/١٠ إلى ١٩١٩/٧/٢١، تقدمت لها الجمعية الإسلامية بمطالب المؤتمر العربي الفلسطيني، وكانت تلك المطالب:

١- استقلال سورية المكونة من جبال طوروس شمالاً إلى العريش جنوباً استقلالاً تاماً.

٢- إن فلسطين جزء لا ينفك من سوريا وتكون مستقلة استقلالاً داخلياً وتنتخب جميع حكامها الوطنيين وتنشئ قوانينها الداخلية وفقاً لرغبات السكان وحاجة البلاد.

٣- رفض الهجرة الصهيونية إلى فلسطين والاحتجاج على جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود.

تقرير لجنة كراين:

وضعت اللجنة تقريراً أعلنت فيه:

١. أن الكثرة المطلقة من العرب تطالب بدولة سورية مستقلة استقلالاً كاملاً.

٢. رفض فكرة إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين.

٣. وضع الأماكن المقدسة في فلسطين تحت إدارة لجنة دولية تشرف عليها الدولة المنتدبة وعصبة الأمم ويمثل اليهود فيها عضو واحد.

٤. طالبت اللجنة بوحدة سوريا بأقاليمها الثلاث لبنان وفلسطين وسوريا وطالبت بمنح لبنان حكمياً ذاتياً في إطار الوحدة السورية.

٥. قالت اللجنة إن سوريا لا ترحب بالانتداب ولكنها ترحب بالمعونة الخارجية.

٦. اقترحت إعطاء الانتداب على سوريا لأميركا وعلى العراق لبريطانيا وحذرت من إعطاء الانتداب على سوريا لفرنسا.

٧. كما أكدت اللجنة أن عداء الصهيونية لا يقتصر على فلسطين بل في كافة أنحاء سوريا.

ونظراً لضغط الحركة الصهيونية واليهود وتدخل المخابرات الأميركية لصالح اليهود تم تجميد تقرير اللجنة وبقي طي الكتمان حتى أَذن الرئيس ولسون فيه عام ١٩٢٢.

اتفاقية فيصل وايزمان:

*** اجتماع فيصل بوايزمان:**

اجتمع الأمير فيصل بحاييم وايزمان في ١٩١٨/٦/٤ في بلدة وحيدة ووفقاً لكولونيل جويس فإن الاجتماع كان ودياً صرح فيه الأمير فيصل بأنه لا يستطيع

بوصفه عربياً أن يبحث في مستقبل فلسطين سواء بوصفها مستعمرةً يهودية أم بوصفها بلداً تحت الحماية البريطانية فهذه القضايا قد أصبحت بالفعل موضوع قدر واسع من الدعاية الألمانية والتركية، ولا شك أن البدو غير المتعلمين سوف يسيئون فهمها إذا بحثت بصورة علنية ولكن عندما تصبح الشؤون العربية فيما بعد أكثر استقراراً أو انتظاماً يصبح بالإمكان إثارتها.

ورد في الاتفاقية الموقعة بين فيصل ووايزمان في ١٩١٩/١/٣، وكما ورد في المادة الثالثة "تؤخذ جميع التدابير وتعطى أفضل الضمانات لتطبيق تصريح الحكومة البريطانية الصادر في ١٩١٧/١١/٢ حين وضع دستور حكومة فلسطين وإزاء الاعتراف بوعد بلفور تسقط أهمية تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين بمقياس كبير وبالسرعة الممكنة" وغير ذلك من التنازلات[(١)].

وقد قيل في هذه الاتفاقية أن فيصل كان مرغما على التوقيع نظراً لحاجته المادية والمعنوية للإنجليز، كما أنه كان يجهل الاتفاقية الموقعة بين الدولتين الاستعماريتين - سايكس بيكو - من جهة، ومن جهة أخرى كان يجهل مراسلات والده الشريف حسين مع الإنجليز.

وكتب كلايتون في ١٩١٩/٥/١١ يقول:

أبلغ فيصل وفداً عربياً في دمشق أنه لا يرى أن الأهداف العربية والصهيونية غير قابلة للالتقاء وبدا أن الوفد قد أخذ انطباعاً طيباً عن ذلك، وسيدعى أعضاء اللجنة الصهيونية لزيارة فيصل الذي قد يقوم بدعوة زعماء بارزين من العرب الفلسطينيين للحضور بقصد التوفيق بين الجانبين.

* **رسالة الأمير فيصل إلى الزعيم الصهيوني الأميركي- فرانكفورتر في ١٩١٩/٣/٣:**

جاء في الرسالة التي وجهها الأمير فيصل إلى الزعيم الصهيوني الأميركي فرانكفورتر:

---

(١) بيان نويهض الحوت - القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين - ص ١٠٥.

... ونحن العرب خاصة المثقفين ننظر برغبة شديدة إلى النهضة الصهيونية... وسنعمل كل ما بوسعنا لمساعدة اليهود أبداً ونتمنى لهم وطناً ينزلون فيه على الرحب والسعة، وإني أتطلع وشعبي أيضاً إلى مستقبل نستطيع فيه أن نتبادل التعاون لتصبح البلاد التي نشترك في الاهتمام بها ذات مركز بين الأمم المتحدة في العالم.

وبعد يومين نشرت جريدة نيويورك تايمز تقريراً حول الرسالة تشير إلى أن أمير الحجاز يرحب بالصهاينة[1].

وتجلّى موقف الحكومة البريطانية ورجالها المقابل لذلك في رسالة كتبها بلفور إلى كيرزون في ١٩١٩/٨/١١ يتجلى بوضوح تام الموقف التآمري الخبيث لبريطانيا، يقول بلفور في رسالته التي وجهها بمناسبة استفتاء لجنة كنغ كرين واعتراضه عليها[2]:

في فلسطين نحن لا نعتزم القيام بمراعاة السكان الحاليين حول أَمانيهم على الرغم من أن اللجنة الأميركية قد قامت باستفتائهم حول ذلك، إن الدول الكبرى قد تعهدت للصهيونية والصهيونية سواء كانت على صواب أم خطأ جيدة أم سيئة، فإن جذورها في التقاليد المتوارثة عن الأجيال في احتياجات الحاضر وفي أماني المستقبل، هي ذات أهمية أبعد بكثير من أَماني وأهواء سبعمائة أَلف عربي يسكنون الآن في تلك البلاد القديمة مهما يكن مستقبل فلسطين فهي الآن ليست بلداً مستقلاً وليست على الطريق لتصبح كذلك ومهما يكن الاحترام الذي يجب أن يعطى لآراء السكان فالدول الكبرى في اختيارها بلداً للانتداب لا تعتزم كما أفهم أنا الأمور أن تراعي مصالح السكان أو تستشيرهم بالاختصار فبالنسبة إلى فلسطين فالدول الكبرى لم

---

(١) بيان نويهض الحوت - القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين - ص ١٠٦/١٠٧.

(٢) بيان نويهض - القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين - ص ١٠٥/١٠٦.

تصدر بلاغاً بشأنها لم يكن باعتراف الجميع خاطئاً كما أنه لم يصدر عنها أي بيان عن سياستها لم تكن تنوي أن تنتهك حرمته[1].

مؤتمر سان ريمو وفلسطين:

انعقد المؤتمر في مدينة سان ريمو في إيطاليا في نيسان عام ١٩٢٠، حيث انعقد المجلس الأعلى للحلفاء وكانت ردات الفعل على المؤتمر الاحتجاجات ثم الثورات حيث اندلعت ثورة ١٩٢٠ في العراق ثم ثورة ١٩٢٠ في فلسطين وكذا ساد الشغب شوارع مصر.

انتهى مؤتمر سان ريمو في ١٩٢٠/٤/٢٦ وقد وصف الرئيس الأميركي ولسون بأن ما جرى في المؤتمر هو تزاحم على الشرق الأوسط يثير القرف والاشمئزاز[2]، حيث منحت فرنسا حق الانتداب على سوريا ولبنان ومنحت بريطانيا حق الانتداب على فلسطين والأردن و لم تكن لهذه النتائج أي مراعاة لحقوق السكان أو لالتزامات بريطانيا تجاه العرب وعهودها معهم حيث كانت نتائج المؤتمر - والمثبتة مسبقاً من قبل بريطانيا وفرنسا - صفعة للشعوب العربية وقادتها المتعاونين مع الصليبيين.

تصريح الملك فيصل في مؤتمر باريس للسلام:

تحدث الملك فيصل في مؤتمر باريس للسلام بصفته ممثلاً لوالده، بتاريخ ١٩١٩/٢/٦ قائلاً:

إن العرب يشكلون وحدة واحدة في الدم والتاريخ والعقيدة واللغة ولما طالب باستقلال الدول العربية استثنى منها فلسطين وجاء في كلمته **تترك فلسطين جانباً بالنظر إلى طابعها العالمي ثم ارتأى بأن تحل قضيتها من قبل جميع أصحاب العلاقة.**

---

(١) بيان نويهض - القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ١٩٤٨/١٩١٧ - ص١١٤.

(٢) بيان نويهض الحوت - القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين ص ١٢٢.

وجاء في مذكرته لمؤتمر السلم في ١٩١٩/١/١ "أكثرية السكان الساحقة في فلسطين مؤلفة من العرب، واليهود قريبون إلى العرب تربطهم روابط الدم وليس هناك أي تناقض بين هذين العنصرين ونحن على اتفاق تام مع اليهود في القضايا الأساسية غير أن العرب لا يقدرون على تحمّل مسؤولية حفظ التوازن بين مختلف العناصر والأديان التي تصطدم في هذه المنطقة الوحيدة من مناطق الشرق وطالما أدى تصادمها في الماضي إلى خلق صعوبات دولية فإن العرب يطلبون أن يشرف عليهم وصي في هذا البلد إلى أن تقوم فيه إدارة حكومية على أساس التمثيل النسبي تكون قادرة على تأمين رفاهية البلاد[١]".

فيصل ولورانس:

قام الكابتن لورانس (العرب) بإقناع الأمير فيصل كونه مستشاراً له بترتيب اجتماع مع حاييم وايزمان في العقبة ثم اجتماع آخر في لندن حيث تم في الأسبوع الأول من شهر يناير ١٩١٩ توقيع اتفاق مكتوب بين الاثنين أورده المؤرخ الكبير جورج أنطونيوس في كتابه المرجعي يقظة العرب على النحو الآتي[٢]:

١- إن صاحب السمو الملكي الأمير فيصل ممثل المملكة العربية الحجازية والقائم بالعمل نيابة عنها والدكتور حاييم وايزمان ممثل المنظمة الصهيونية والقائم بالعمل نيابة عنها يدركان القرابة في الجنس والصلات القديمة القائمة بين العرب والشعب اليهودي وهما متأكدان أن أضمن الوسائل لبلوغ غاية أهدافهما الوطنية هو الأخذ بأقصى ما يمكن بأسباب التعاون في سبيل تقدم الدولة العربية وتقدم فلسطين ولكونهما يرغبان في زيادة توطيد حسن التفاهم الذي يقوم بينهما فقد اتفقا على ما يلي:

---

(١) بيان نويهض الحوت - القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين - ص ١٠٢.

(٢) محمد حسنين هيكل - المفاوضات السرية - ج١ - ص ١٢٠/١١٩.

٢- يجب أن يسود جميع علاقات والتزامات الدولة العربية وفلسطين أقصى درجة من النوايا الحسنة والتفاهم المخلص وللوصول إلى هذه الغاية تؤسس وتقوم وكالات عربية ويهودية معتمدة حسب الأصول في بلد كل منهما.

٣- تحدد بعد إتمام مشاورات مؤتمر السلام مباشرة الحدود النهائية بين الدول العربية وبين فلسطين من قبل لجنة يتفق على تعيينها من قبل الطرفين المتعاقدين.

٤- عند وضع دستور لإدارة شؤون فلسطين تتخذ جميع الإجراءات التي من شأنها تقديم أَوفى الضمانات لتنفيذ وعد الحكومة البريطانية المؤرخ في اليوم الثاني من شهر نوفمبر ١٩١٧.

٥- يجب أن تتخذ جميع الإجراءات لتشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين على مستوى واسع والحث عليها بأقصى ما يمكن من السرعة ولاستقرار المهاجرين في الأرض عن طريق الإسكان الواسع والزراعة الكثيفة ولدى اتخاذ مثل هذه الإجراءات تحفظ حقوق الفلاحين والمزارعين والمستأجرين العرب ويجب مساعدتهم في سيرهم نحو التقدم الاقتصادي.

٦- يجب ألا يسن نظام أو قانون يمنع أو يتدخل بأي طريقة في ممارسة الحرية الدينية.

٧- إن الأماكن الإسلامية المقدسة يجب أن توضع تحت رقابة المسلمين.

٨- تقترح المنظمة الصهيونية العالمية أن ترسل إلى فلسطين نخبة من الخبراء لتقوم بدراسة الإمكانيات الاقتصادية في البلاد وأن تقدم تقريراً عن أحسن الوسائل للنهوض بها، وستضع اللجنة المذكورة تحت تصرف الدولة الوليدة بقصد دراسة الإمكانيات الاقتصادية في الدولة العربية وسوف تستخدم المنظمة الصهيونية العالمية أقصى جهودها لمساعدة الدولة العربية بتزويدها بالوسائل لاستثمار الموارد الطبيعية والإمكانيات الاقتصادية في البلاد.

٩- يوافق الفريقان المتعاقدان أن يعملا بالاتفاق والتفاهم الكاملين في جميع الأمور التي تشملها هذه الاتفاقية لدى مؤتمر الصلح.

١٠ - كل نزاع قد ينشأ بين الفريقين المتنازعين يجب أن يحال إلى الحكومة البريطانية للتحكيم [١].

ويذكر هوجارث ممثل الحكومة البريطانية في مكتب القاهرة أن الشريف حسين كان مستعداً لقبول صيغة وعد بلفور ووافق بحماسة قائلاً: إنه يرحّب باليهود في كل الدول العربية [٢].

لورنس العرب - توماس إدوارد لورنس:

يشير لورنس في كتابه أعمدة الحكمة السبعة إلى نية بريطانيا المسبقة لخيانة العرب وعدم الالتزام بوعودها لهم، ونقتطف من كتابه ما يلي ونترك للقارئ تحليل واستنتاج ما كان عليه الإنجليز من خبث ودهاء ومكر وخداع ونقض عهود:

"إنني لفخور جداً من أن المعارك الثلاثين التي خضتها وقدمتها لم تكلف إراقة قطرة دماء لجندي إنجليزي [٣، ٤].

وعن خداع الإنجليز يقول لورنس في نفس الكتاب "فالحكومة البريطانية التي حثت العرب على القتال من أجلنا كانت مقابل وعود محدودة لإنشاء دولة عربية مستقلة بعد انتهاء الحرب" والعرب يثقون بالأشخاص وليس بالمؤسسات، فهم رأوا فيَّ عميلاً حراً للحكومة البريطانية وطلبوا مني العمل على تطبيق تلك الوعود المكتوبة من قبل الحكومة لذلك فقد كان علي أن أَنضمَّ للمؤامرة وأن أقوم بإعطاء تأكيدات كلامية للرجال بأنهم يستحقون مكافآتهم وخلال سنين من العمل المشترك

---

(١) محمد حسنين هيكل - المفاوضات السرية - ج١ - ص ١١٩ - ١٢٠ - ١٢١.

(٢) محمد حسنين هيكل - المفاوضات السرية - ج١ - ص ١١٩.

(٣) أعمدة الحكمة السبعة - لورنس العرب - ترجمة محمد نجار - ص١٢.

(٤) بريطانيا معروفة تاريخياً بأنها تستدرج الآخرين لخوض حروبها بالدم والمال وتنفرد بقطف الثمار.

في ظل المعارك المستمرة **فقد اعتادوا على تصديقي وظنوا أن حكومتي مثلي تماماً كانت مخلصة في وعودها وفي ظل هذا الدجل فهم قاموا ببعض الأمور الرائعة ولكن بدلاً من أن نكون فخورين بما قمنا به سوياً فإنني كنت خجلاً باستمرار وبشدة من نفسي.**

كان واضحاً منذ البداية أنه في حال كسبنا للحرب فإن هذه الوعود ستكون عبارة عن ورقة ميتة وكان لزاماً علي كمستشار أمين ومخلص للعرب أن أنصحهم بأن يذهبوا لوطنهم وألا يخاطروا بأرواحهم في الخوض بحرب لقاء مثل هذا الهراء إلا إنني طوقت نفسي بالأمل بالاشتراك في القتال مع هؤلاء العرب بشكل جنوني حتى النصر النهائي والسلاح ما زال بأيديهم، **وخاطرت بشكل مخادع على الرغم من قناعتي أن مساعدة العرب لنا كانت ضرورية لانتصارنا الرخيص والسريع في الشرق وأنه كان من الأفضل أن نكسب الحرب وننقض عهودنا بدلاً من أن نخسرها، إن تخلي هنري مكماهون عن تعهداته أكد اعتقادي بعدم إخلاصنا الجوهري لتلك التعهدات.**

ويتابع لورنس في كتابه المذكور ص ٣١٨: "ولم يكن لدي أي معرفة أو علم مسبق بتعهدات مكماهون ومعاهدة سايكس بيكو التي صنعت خلال الحرب في أروقة وزارة الخارجية البريطانية، بيد أنني لم أكن غبياً تماماً **فقد أمكنني أن أرى بأنه إذا ما كسبنا الحرب فإن كافة الوعود للعرب ستكون حبراً على ورق ولو كنت مستشاراً مخلصاً لكان علي أن أُرسل رجالي إلى بيوتهم ولا أدعهم يخاطرون بحياتهم، ومع ذلك فقد أكدت لهم -للعرب- بأن بريطانيا ستحافظ على وعودها نصاً وروحاً وقاموا بأداء جهد كبير، وبدلا من أن نكون فخورين معاً فقد كنت خجلاً من نفسي بشكل مرير ومستمر**".

وبالرغم من تضحيات العرب ومساعدتهم للإنجليز في ضرب الجيش العثماني وتدمير خطوط مواصلاته وإمداده، ماذا قال لورنس عن العرب، قال فيهم كم

أتعبني هؤلاء العرب، إنهم تجسيد للساميين المنحطين، إن العقل العربي شاذ وغـــارق في الظلمة والكآبة والاعتزاز المفرط بالنفس ويفتقر إلى قواعد المنطق.

ويقول لورنس في كتابه: إن الثورة البلشفية كشفت معاهدة سايكس بيكـــو وقد صدمنا هذا الكشف لفترة من الزمن إذ إننا والفرنسيين فكرنا بلؤم وسد الشرخ في السياسة بصيغة غامضة تماماً لكل واحد لتفسر بطريقة مختلفة ولحسن الحظ فقد ضللت ونفيت وجود المعاهدة لفيصل وأقنعته بأن يساعد البريطانيين؛ لأنه بعد انتهاء الحرب وعقد اتفاقيات السلام فإنهم لن يكونوا قادرين وبسبب الخجـــل مـــن أن يتخلوا عنه رجوته "**بألا يثق بوعودنا إنما يثق بأدائه القوي**"[(١)].

ويتابع لورنس: دخل علي الشيخ نوري الشعلان حاملاً ملفاً به مجموعة مـــن الوثائق وهو يسألني بارتباك بأي وثيقة من هذه الوثائق يمكن أن نصدقها؟

وكما حصل من قبل فقد ذكرت له أن يصدق آخر وثيقة صدرت ذلـــك أن بريطانيا - يقول لورنس - أصدرت ضربتها من الوثائق:

فأصدرت الوثيقة أ للشريف حسين، والوثيقة ب لحلفائها، والوثيقة ج للجنة العربية في القاهرة، والوثيقة د للورد روتشليد.

ويذكر لورنس كيف تربص بالأخوين الوطنيين الجزائريين عبد القادر ومحمد سعيد وكيف قتلهما بدم بارد في دمشق لمجرد أنهما تجرأا عليه وقالا له إنه إنجليـــزي بمعنى ألا يتدخل في توزيع المناصب العربية وكيف قتل المناضل فراج الـــذي كـــان يقاتل في صفوف جنود الأمير فيصل وهو مصاب وينزف بدلاً من إسعافه.



---

(١) لورنس العرب - أعمدة الحكمة السبعة - ترجمة محمد نجار - ص ٦٥٥ - ٦٥٦.

الفصل الرابع عشر

ثورات العرب ضد الإنجليز واليهود



ثورة ١٩٢٠ وموقف الشريف حسين منها:

نتيجة الضغط الصهيوني الكبير على رجال الإدارة، صدر أمر بحظر القيام بمظاهرات وكان اقتراب موعد أسبوع عيد الفصح ومصادفة وقوع الاحتفالات الدينية للمسيحيين واليهود في نفس موعد موسم النبي موسى عند المسلمين قد أحدث قلقاً بالغاً للطائفة اليهودية ففي تلك المناسبة يحتشد المسلمون حاملين البيارق المحلية قادمين من القرى المجاورة للقدس وبالنظر إلى الهياج السياسي والتوتر السائد قررت الأوساط الوطنية العربية تحويل أي تجمع إلى مناسبة للاحتجاج والتحريض ضد الصهيونية والإدارة البريطانية، ومع وصول وفد الخليل في ١٩٢٠/٤/٤ توقف أكثر من مرة للاستماع إلى خطب ألقاها عارف العارف وموسى كاظم الحسيني رئيس البلدية والحاج أمين الحسيني وغيرهم من الشخصيات الإسلامية البارزة.

كانت الخطب ذات طابع سياسي حيث رفعت صور الأمير فيصل وتحيته بوصفه ملكاً على سوريا وفلسطين، وبعد السماع إلى الخطب، وبينما كان موكب وفد الخليل يجتاز باب يافا وقع انفجار كان قد وضع من قبل بعض العملاء المخربين أدى الانفجار إلى قذف الحوانيت اليهودية المجاورة بالحجارة والاشتباك مع اليهود وقام اليهود بإطلاق النار واستمرت الانتفاضة من ٤/٤ إلى ١٩٢٠/٤/١٠ وقد تسببت في:

أ) ٤ شهداء عرب.

ب) ٢٨ إصابة عربية.

ج) ٥ قتلى يهود.

د) ٢١١ إصابة يهود.

هـ) ٧ جرحى من الجنود الإنجليز.

وعلى إثر تلك الاشتباكات عمل اليهود على تأسيس الهاجناه (نواة الجيش الإسرائيلي) على يد كل من جابوتنسكي الذي كان ضابطاً بارزاً في حكومة روسيا عام ١٩١٧ وعلى إثر ثورة القدس قامت السلطات البريطانية بعزل رئيس بلدية القدس موسى كاظم الحسيني وعينت مكانه راغب النشاشيبي في خطوة كشفت صراع العائلات الفلسطينية على حساب القضية.

بعد أحداث ١٩٢٠، اجتمع الزعماء الفلسطينيون في مؤتمر وطني شمل:

الحاج أمين الحسيني - سليمان فاروقي التاجي - إسحق درويش - حسن أبو سعود - موسى كاظم الحسيني - وعارف باشا الدجاني، وأرسلوا برقية إلى الأمم المتحدة ومعتمدي الدول الأجنبية في القدس.

كما أرسلوا برقية إلى الشريف حسين أخبروه فيها أن الحكومة البريطانية تعمل على تحويل فلسطين إلى وطن قومي لليهود حتى قبل اعتماد وعد بلفور وتصديقه من عصبة الأمم.

فما كان من الشريف حسين إلا أن أرسل رداً قال فيه ليس لي ما أبديه في هذا إلا الأسى والحزن[1].

انتفاضة يافا ودور بريطانيا في قمع العرب:

أدت النقمة من سياسة بريطانيا في فلسطين إلى نشوب ثورة يافا في ١٩٢١/٥/١ حيث تجمع في المرفأ العربي في يافا وفود المناضلين السياسيين القادمين من شتى المدن الفلسطينية بما فيهم النساء، واحتشد سبعة آلاف متظاهر هجم فيها

---

(١) حبذا لو أن الشريف حسين بادر إلى إطلاق مائة رصاصة معلناً ثورة ضد الإنجليز كما أطلق رصاصته معلنا ثورة ضد الأتراك؟

الثوار على مركز الهجرة الصهيوني حيث تصدى لهم البوليس الإنجليزي وقتل منهم ١٢ عربياً وجرح ٧٨ وفي عكا استخدم الشيخ أسعد الشقيري نفوذه لمنع المظاهرة فيها وقد كان الشقيري معروفاً بولائه للإنجليز.

وفي التفاصيل كانت شرارة الانتفاضة العثور على جثة رجل عربي بالقرب من معسكر للمهاجرين اليهود، ففي صباح الأول من أيار اصطدمت في تل أبيب تظاهرة صهيونية اشتراكية بتظاهرة أخرى غير مرخصة قام بها نحو ٥٥ شيوعياً إذ اضطر الشيوعيون إلى اللجوء إلى الحي العربي اليهودي المشترك ومع محاولة الشرطة تفريق البلشفيك (الشيوعيون) شمل ذلك سكان الحي المسلمين فثارت ثائرتهم ووقعت اضطرابات عمت أبناء المدينة بأسرها وفي الخامس من أيار تجمع ٣٠٠٠ عربي إلى الشمال من مستعمرة ملبس (بتاح تكفا) وتجمع حشد آخر قوي جنوب المستعمرة وتولت قوة الحكومة صدّ المهاجمين فوقع عدد من القتلى والجرحى منهم:

٤٨ شهيد عربي.

٤٧ قتيل يهودي.

٧٥ جريح عربي.

١٤٦ جريح يهودي.

كتاب ونستون تشرشل:

مع حلول شهر أيار ١٩٢١ انعقد المؤتمر الوطني الفلسطيني الرابع في مدينة القدس في الفترة ٢٩-٥/٤/٦/١٩٢١ واتفق المجتمعون على إرسال وفد إلى لندن برئاسة موسى كاظم الحسيني للاتصال بالأوساط البريطانية وعرض القضية الفلسطينية أمامهم ومواجهة الدعاية الصهيونية، إلا أن الوفد لم يفلح في تحقيق أي نتائج ايجابية في مهمته، وبالرغم من أن مجلس اللوردات البريطاني قرر في ٢٠/٦/١٩٢٢ رفض الموافقة على صك الانتداب على فلسطين لمناقضته للوعود التي

قطعتها بريطانيا للعرب عام ١٩١٥ ولأنه لا يتفق مع رغبات أهالي فلسطين طالباً من الحكومة إعادة النظر في سياستها، إلا أن مجلس العموم أقر سياسة الحكومة مخالفاً بذلك قرار مجلس اللوردات.

وبينما كان الوفد الفلسطيني يواصل جهوده، فوجئ بإصدار ونستون تشرشل وزير المستعمرات آنذاك للكتاب الأبيض الأول في شهر ١٩٢٢/٦م والذي اعتبره البعض أبيضاً فيما كان في واقع الأمر أسودا كالحاً يعكس سوء نية بريطانيا تجاه العرب والذي نص على: إن الحكومة البريطانية تؤكد ثانية بأن تصريح بلفور لا يقبل التغيير وستؤسس في فلسطين وطناً قومياً لليهود، ولكن ذلك لا يعني أن تكون فلسطين برمتها وطناً قوميا لهم، وسيكون الشعب اليهودي موجوداً في فلسطين كحق من حقوقه لا كمنة، ولكن حكومة جلالته لا ترمي إلى جعل فلسطين يهودية كما هي إنجلترا إنجليزية وهي لا تفكر في إفناء الشعب العربي أو اللغة والثقافة العربيتين أو جعلهما في مرتبة ثانوية.

وإن حكومة جلالته تريد أن تعطي قسطاً كاملاً من الحكم الذاتي في فلسطين، وستكون خطوتها التالية تأسيس مجلس تشريعي في الحال تكون أكثرية أعضائه من المنتخبين وأن المركز الخاص الممنوح للجنة التنفيذية الصهيونية لا يخوّلها الاشتراك في إدارة البلاد، وأما بشأن الهجرة اليهودية، فالحكومة ترى من الضروري زيادة عدد اليهود المهاجرين على شرط ألا يزيد عن مقدار ما تستطيع مقدرة البلاد الاقتصادية استيعابه من المهاجرين الجدد.

برقية الشريف حسين إلى رئيس الهيئة التنفيذية وعموم فلسطين:

أبرق الشريف حسين في برقية له بتاريخ ١٩٢٣/٥/١ إلى رئيس الهيئة التنفيذية وعموم فلسطين قال فيها، أما فيما يتعلق بفلسطين فإن صاحب الجلالة البريطانية يتعهد بألا يجري شيء في هذه البلاد يمكن أن يجحف بحقوق أهلها العرب المدنية

والدينية، أما إذا أبدت إحدى هذه الحكومات أو كلها رغبة في عقد اتفاق جمركي أو خلافه بقصد إيجاد حلف عربي نهائي فإن صاحب الجلالة البريطاني يسعى لتنفيذ رغبتهم إذا طلب إليه ذلك أَحد المتعاقدين ذوي الشأن ويعترف صاحب الجلالة الهاشمية بالمركز الخاص لصاحب الجلالة البريطانية في العراق وشرق الأردن وفلسطين.

ويتعهد بأن يبذل له غاية جهده في التعاون مع جلالته البريطانية على القيام بتعهداته في المسائل التي تقع ضمن نفوذ جلالته الهاشمية بشأن هذه البلاد.

حزب المتعاونين مع الحكومة

بعد فشل اللجنة التنفيذية للمؤتمر العربي في اتخاذ أي إجراء إيجابي تجاه الثورة ومقاومة الحكومة الإنجليزية والمستوطنين اليهود لاسيما بعد تمسك رئيسها موسى كاظم الحسيني بسياسة المهادنة مع الإنجليز.

عقد المؤتمر الأول للحزب الوطني في القدس خلال ٩-١٠/١٠/١٩٢٣ وحضر المؤتمر عدد من الوجهاء وكان من ضمن أعضاء الحزب زعيمه عارف الدجاني الذي كان يعارض الجمعيات الإسلامية والمسيحية وراغب النشاشيبي والشيخ سليمان التاجي الفاروقي الذي اختير رئيساً للجنة، وكان راغب النشاشيبي رئيس لجنة القدس ومعه ثلاثة أفراد من شيوخ البلاد الوحيدين الذين حضروا حفل تدشين الجامعة العبرية وامتنعوا عن مقاطعة زيارة بلفور إلى فلسطين عام ١٩٢٥ بالرغم من المقاطعة الفلسطينية الجماعية لتلك الزيارة.

ثورة البراق:

في يوم ١٤/٨/١٩٢٩، وهو يوم احتفال اليهود في تل الربيع(١) بالذكرى السنوية لخراب الهيكل حيث حاول اليهود وضع ستار يفصل بين الرجال والنساء أثناء الصلاة وأمرت الحكومة بإزالته، ولرفض اليهود ذلك أزاله البوليس بالقوة ثم

(١) تل أبيب.

تجمعوا في اليوم التالي المصادف لذكرى المولد النبوي الشريف في مدينة القدس بتاريخ ١٩٢٩/٨/١٥ واندفع آلاف اليهود في مظاهرة حاشدة واعتدوا على السكان العرب ورفعوا العلم الصهيوني على حائط البراق، ونصبوا مائدة للصلاة واستولوا على جامع صغير هو جامع البراق وارتفعت عقيرتهم بالصياح وإقامة الصلوات ورد العرب بتجمع حاشد مضاد هجم على اليهود وأخرجهم من المسجد وأنزل علمهم فنشب نزاع بين الفريقين، وفي يوم الجمعة الموافق ١٩٢٩/٨/٢٣ احتشدت جماهير غفيرة من اليهود في يافا في طليعتها قوات يهودية عسكرية متوجهة إلى القدس لاحتلال البراق، فخرجت مظاهرة ضدّها من المسلمين بعد صلاة الجمعة، ووقعت اصطدامات عنيفة بين الطرفين تغلب فيها العرب على اليهود وتطور الأمر إلى ثورة عربية شاملة في فلسطين ضد الإنجليز واليهود سميت بثورة البراق وفي ١٩٢٩/٨/٢٥ تدفق عدد كبير من العرب إلى القدس مسلحين بالعصي والسيوف والمسدسات وبدؤوا بالهجوم على اليهود وفي ١٩٢٩/٨/٢٧ نشب شجار بين شاب عربي وشاب يهودي انتهى بإصابة ١١ يهودياً وعربياً، ومع وصول أنباء الاضطرابات في القدس إلى نابلس والخليل قام العرب في الخليل بتاريخ ١٩٢٩/٨/٢٤ بهجوم دموي قتل فيه ٦٤ يهودياً وأصيب ٥٠ يهودياً وفي أحد أحياء يافا وقع أسوأ هجوم على ذلك الحي الذي يقطنه العرب حيث قتل إمام المسجد و٦ أفراد من العرب وبعد مذبحة الخليل اتهم اليهود عرب الخليل بإجراء تمثيل بالجثث وقد تم فحص عدد من الجثث بعد نبشها من القبور وتم التأكد من عدم وجود أي تمثيل بالجثث بإشراف مدير الصحة الفلسطيني الدكتور حسين الخالدي وإشراف عدد من الممثلين من العرب واليهود.

وفي صفد هاجم الثوار المستوطنين الصهاينة بتاريخ ٨/٢٩ وقتلوا وجرحوا ٤٥ صهيونياً، وقد سقط في تلك الاشتباكات قرابة ٢٠٠ شهيد عربي، وكالعادة، انتفضت السلطات الإنجليزية تشعلُ نار غضبها على العرب وشكلت محاكم عسكرية وحكمت على ٢١ عربي بالإعدام أُعدم منهم ثلاثة - بتاريخ

١٩٣٠/٦/١٧ - فيما عرف بالثلاثاء الحمراء والأبطال الذين أُعدموا هـم فـؤاد حجازي من صفد وعطا الزير ومحمد جمجوم من الخليل وحكمت بالسجن علـى ثمانمائة عربي كان منها الحكم بالسجن المؤبد على ٣١ منهم والسجن مـن ٣-١٥ عام على ١٢٧ عربي بالإضافة إلى غرامات مالية باهظة على عدد من القرى العربية ونسفت عشرات البيوت وأتلفت مزروعاتها وفرضت منع التجول على العرب دون اليهود والإقامة الجبرية على الكثير من الزعماء العرب وأطلقت الرقابة على الصحف وأطلقت حملة للتفتيش عن الأسلحة دون أن تتخذ إجراءات مماثلة مع اليهود.

ومن ردود الفعل الطريفة لبعض المسؤولين العرب على أحداث ثورة البراق أعلن الأمير محمد علي بن الخديوي توفيق وشقيق عباس حلمي ولي عهد المملكة المصرية أن المشاكل في فلسطين سببها رغبة اليهود في الوصول إلى حائط المبكى وهو يقترح على المسلمين في فلسطين بيع حائط المبكى بمبلغ مائة ألف جنيه وهكذا يرتاح الجميع(١).

على إثر تلك الاضطرابات، أبدت الحكومة البريطانية رغبة في استقبال وفـد عربي فلسطيني في لندن للبحث بشأن قضية فلسطين، فسافر وفد من عرب فلسطين ضم موسى كاظم الحسيني (رئيساً) وعضوية كل من الحاج أمين الحسيني، راغـب النشاشيبـي، ألفريد روك، عوني عبد الهادي، جمال الحسيني.

واجتمع الوفد مع رئيس الحكومة البريطانيـة رامـزي مكدونالـد ووزيـر المستعمرات اللورد باسفيلد.

تقرير السيد هوب سمبسون:

نشر السيد جون هوب سمبسون تقريره عام ١٩٣٠ الـذي أصـدرت فيـه الحكومة البريطانية بيانها السياسي بشأن فلسطين وعُرِفَ بكتاب باسفيلد الأبـيض الذي بني على أساسه وقائع تقرير سمبسون وتوصياته:

---

(١) محمد حسنين هيكل - الجيوش والعروش - الجزء الثاني - ص ٦٨.

* **أولاً**: عدم كفاية الأراضي الزراعية عند توزيعها على الفلاحين العرب لسد رمقهم أو للاكتفاء الذاتي.

* **ثانياً**: ليس هناك متسع لزيادة مستوطن إضافي في البلاد.

* **ثالثاً**: إن البطالة متفشية وكبيرة بين العرب.

الكتاب الأبيض الثاني - كتاب باسفيلد:

أصدرت الحكومة البريطانية بتاريخ ٢١/١٠/١٩٣٠ ما أسمته الكتاب الأبيض (الثاني) بنته على تقرير السيد هوب وتضمن سياسة جديدة لفلسطين بنتها على التوصيات والمقترحات التي اشتملت عليها تقارير لجنة التحقيق البرلمانية واللجان الفنية التي قامت بتعيينها.

عرف الكتاب الأبيض باسم كتاب باسفيلد نسبة لوزير المستعمرات باسفيلد، ونص في بنوده:

١- تنمية مؤسسات الحكم الذاتي في فلسطين.

٢- تشكيل مجلس تشريعي لفلسطين يتألف من ٩ عرب (٨ مسلمون ومسيحي واحد) وثلاثة يهود، ينتخبون من قبل السكان ومن عشرة رؤساء دوائر يعينهم المندوب السامي.

٣- إخضاع الهجرة اليهودية وجداول هجرة الذين يسمح لهم بدخول فلسطين لمبدأ قدرة استيعاب البلاد الاقتصادي.

٤- سن تشريعات وأنظمة لصيانة حقوق المزارعين ومساعدتهم، وأشار الكتاب إلى مسؤولية الحكومة البريطانية المسؤولية المزدوجة تجاه العرب واليهود.

ومع أن العرب لم يرفضوا الكتاب إلا أنهم تحفظوا على بعض البنود إلا أن اليهود رفضوا الكتاب وقامت مظاهرات يهودية صاخبة في فلسطين.

كتاب ماكدونالدز الأسود:

على إثر إعلان كتاب باسفيلد الأبيض (ماكدونالدز الأبيض) أعلن الدكتور حاييم وايزمان استقالته من رئاسة الجمعية الصهيونية العالمية (الوكالة اليهودية)، مما جعل الحكومة البريطانية تتراجع عن موقفها (عن الكتاب الأبيض) حيث وجه بعدها ماكدونالدز كتاباً إلى الدكتور وايزمان بتاريخ ١٩٣١/٢/١٧ تراجع فيه عن معظم بنود الكتاب الأبيض وأثنى فيه على حسن تعاون الوكالة اليهودية مع الحكومة البريطانية، كما أوضحت الرسالة أن الحكومة البريطانية لا تنوي منع الهجرة اليهودية بكافة أشكالها وأن بريطانيا ملتزمة بصك الانتداب، وأسمى العرب كتاب ماكدونالدز هذا بالكتاب الأسود وعاد وايزمان عن استقالته، ومع ذلك فإن اللورد باسفيلد صاحب الكتاب الأبيض اضطر أمام ضغط اليهود إلى الاستقالة وخرج من المسرح السياسي نهائياً (١).

ثورة الكف الأخضر:

انطلقت الثورة المذكورة في شهر ١٩٢٩/١٠ بقيادة أحمد طافش وكانت تضم عدداً من الثوار الدروز السوريين الذين شاركوا في ثورة ١٩٢٥ ضد الفرنسيين في سوريا وقامت هذه الحركة بالهجوم على الحي اليهودي في صفد، وقد ألقي القبض على زعيمها عام ١٩٣٠ في شرق الأردن وانهارت وتفككت المنظمة بعد ذلك.

مظاهرات ١٩٣٣:

على إثر تزايد الهجرة اليهودية إلى فلسطين عام ١٩٣٣، الذي صادف استلام الحزب النازي الحكم في ألمانيا وزيادة سياسة التنكيل الإنجليزية بالعرب وملاحقتهم ومصادرة أراضيهم، عقد اجتماع خاص بتاريخ ١٩٣٣/٩/٢٧ حيث اتفق المجتمعون العرب على تنظيم مظاهرات في كافة مدن فلسطين فانطلقت مظاهرة

---

(١) اميل الغوري - فلسطين عبر ستين عاماً - ص ١٣٩ - ١٤٤.

القدس في ١٣/١٠/١٩٣٣ وفي ٢٧/١٠/١٩٣٣ عمت المظاهرات كافة أنحاء فلسطين، وهرعت جماهير الشعب الفلسطيني إلى جامع يافا الكبير للاشتراك في المظاهرة وشارك موسى كاظم الحسيني في المظاهرة وبعد صلاة الجمعة خرجت جموع المصلين إلى الساحة مقابل دار الحكومة وحشد الإنجليز أكثر من ٥٠٠ شرطي لمواجهة العرب، ومع رفض العرب فض المظاهرة انقض الجنود والشرطة الإنجليز على العرب **بالرشاشات والهراوات** وقتل ثلاثة وخمسون عربياً وجُرِحَ أكثر من مائتي عربي مع قتل سبعة جنود إنجليز وسبعة وثلاثين جريحاً منهم وكان من المصابين في تلك المصادمات الشيخ موسى كاظم الحسيني شخصياً رئيس اللجنة التنفيذية في القدس وقتها، وعلى إثر تلك المظاهرة قامت السلطات الإنجليزية بحملة اعتقالات ومطاردات للوطنيين العرب منهم يعقوب الغصين وسعيد الخليل وسليم عبد الرحمن وإدمون روك وصليبا عويضة ومحمد علي الغصين وعزة دروزه والشيخ المظفر ونقل المعتقلون إلى سجن عكا، وقد توفي موسى كاظم الحسيني بعد اعتداء البوليس عليه في تلك الأحداث.

وعلى إثر تلك الأحداث تأسست لجنة للتحقيق هي لجنة واكهوب التي بيَّنَ تقريرها مقتل أحد رجال البوليس وإصابة ستة وخمسين شرطيّاً ومقتل ستة وعشرين مواطناً عربياً وإصابة مئة وسبع وثمانين منهم.

كتائب القسام / الشيخ عز الدين القسام ١٨٨٣-١٩٣٥:

وهو شيخ سوري وقائد بارز في ثورة ١٩٢٠ ضد الاحتلال الفرنسي انضم لجهاز التعليم في حيفا ثم إلى جمعية الشباب المسلمين وتولّى رئاستها عام ١٩٢٦ وانضم لحزب الاستقلال عام ١٩٣٢ ثم بدأ بعد حوادث ١٩٣٣ بجمع التبرعات لشراء السلاح استعداداً لثورة مسلحة ضد الحكومة واستطاع القسام تجنيد ٢٠٠ من أتباعه ونظّم ٨٠٠ من أنصاره وبدأ القسام ثورته المسلحة عام ١٩٣٥ حيث خاض معركة في أحراش يعبد في منطقة جنين استشهد فيها مع اثنين من رفاقه وأسر خمسة آخرون واختفى الباقون في الجبال.

دور السلطات البريطانية في التدريب العسكري لليهود وتزويدهم بالأسلحة:

١) في ١٩٣٥/١٠/١٧ - رست سفينة في ميناء يافا وأفرغت حمولتها التي تتألف من ٥٣٤ برميل ذكر أنها تحتوي على إسمنت وفق بيان الشحن (المانيفست) ومرسلة إلى إحدى الشركات اليهودية في تل أبيب وأثناء نقل العمال لها من ساحة الجمارك وقع برميل منها فتحطّم وتبيّن ما بداخله من أسلحة، وهنا تدخلت السلطات الإنجليزية المسؤولة وطمست الأمر وتغاضت عنه وسمحت بنقل البراميل والأسلحة إلى عدة مستعمرات يهودية متجاهلة الحقيقة.

٢) كان العقيد الإنجليزي تشارلز أورد وينغيت المشرف الرئيس على بناء الجيش اليهودي وتدريبه والمساهم بشكل خاص بتأسيس الوحدات الليلية الخاصة ابناً لعائلة اسكتلندية تنتمي إلى جماعة إخوان بليموت إحدى طوائف المنشقين في إنجلترا والمتشبعة بروح بيوريتانية صارمة.

التقى وينغيت بحاييم وايزمان وديفيد بن غوريون وقدم لهما خطة مفصلة لإنشاء جيش عبري في فلسطين يكون جاهزاً لتسلم البلاد في اللحظة المناسبة، وكان من جرائم وينغيت أن ألقى بالمناضل الفلسطيني خليل السلال وولده إبراهيم من فوق الجسر إلى لجة الوادي.

وكان من نتائج أعمال وينغيت أن أسس الإنجليز مدرسة لتدريب الجيش اليهودي على غرار المدارس المستعملة في الجيش البريطاني.

٣) تأسيس الفيلق اليهودي: تم تأسيس الفيلق اليهودي من قبل كل من حاييم جابوتنسكي وترومبلدور واللذان التقيا في مصر بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى ونجحا في تشكيل كتيبة حمالة على البغال خدمت على جبهة غاليبولي عام ١٩١٦ ثم نجحا في تأسيس الفيلق اليهودي بالتعاون مع بريطانيا، وكان عدد ذلك الفيلق ٦٤٠٠ جندي، ضم مجموعة من يهود أميركا وأُخرى من يهود بريطانيا، والمجموعة الثالثة كانت من اليهود الذين نفتهم الدولة العثمانية

إلى مصر كونهم من اليهود الروس وكان من بينهم ديفيد بن غوريون، وحارب الفيلق اليهودي مع أللنبي عند دخوله فلسطين، ومع حلول عام ١٩٣٩، كانت بريطانيا قد أنشأت جيشاً كولونيالياً يهودياً إضافياً رديفاً للهاغناه، مكوناً من ٢٠٠٠٠ مقاتل قامت بتسليحه وتدريبه وتوفير ضباط لقيادته من أجل معاونتها في قمع الثورة الفلسطينية أسمته شرطة المستعمرات اليهودية، وبغض النظر عن الاسم فقد كان جيشاً إقليمياً بريطانياً - يهودياً.

وبضم هذا الجيش (الشرطة) لقوة الهاجناه المقدرة بـ٣٠٠٠٠، أصبح لليهود في فلسطين أكثر من خمسين ألف مقاتل مدربين ومسلحين تسليحاً جيداً أمام عدد متواضع من الثوار العرب مسلحين بالبنادق الإنجليزية القديمة من مخلفات الحرب العالمية الأولى الأمر الذي جعل (البيشود) المجتمع اليهودي في فلسطين، واحداً من أكبر المجتمعات عسكرة في العالم.

٤) صدرت الأوامر إلى المعسكرات البريطانية ببيع "مهمات لا لزوم لها" عند الانسحاب من فلسطين بعد انتهاء الانتداب وكانت هذه المهمات تباع كلها للجانب اليهودي كما أن حدود "ما لا لزوم له" جرى توسيعها فإذا هي تشمل أسلحة وذخائر وجرارات وعربات نقل مهمات متعددة الأغراض وكان ذلك محرماً على العرب[1].

مساندة بريطانيا في إنشاء وتعزيز قيام الدولة اليهودية في فلسطين:

١) يسرت بريطانيا لليهود شراء ما يزيد على نصف مليون دونم من الأراضي في الفترة بين ١٩٢٤- ١٩٣١ وأصبح لليهود سنة ١٩٣١ مائة وعشرة مستعمرة.

٢) سهلت الحكومة البريطانية في فلسطين دخول اليهود إلى فلسطين فدخلها ٨٢٠٠٠ مهاجر بين ١٩٢٤-١٩٣١.

---

(١) محمد حسنين هيكل - جيوش وعروش - ص ٦١.

٣) منحت بريطانيا امتياز احتكاري لأكبر موردين للصناعة في فلسطين - مشروع روتنبرغ للكهرباء سنة ١٩٢١ ومشروع أملاح البحر الميت سنة ١٩٣٠.
٤) أصبحت الوكالة اليهودية شريكا في الحكم لحكومة فلسطين.
٥) تعزيز مركز الكيرن هايسود (أُنشئ سنة ١٩٢١) وهو الذراع المالية للحركة الصهيونية من حيث شراء الأراضي واعتبارها وقفاً لليهود.
٦) إنشاء الاتحاد العام للعمال الهستدروت سنة ١٩٢٠ والذي حرم على العمال العرب العمل في المؤسسات الصناعية اليهودية.
٧) قامت الحكومة الإنجليزية بإبعاد الجنرال بولز الحاكم العسكري لفلسطين في بداية الانتداب عن منصبه لأنه قام بتقديم توصيات لحكومته طالبها بانتهاج سياسة عادلة تجاه السكان العرب في فلسطين بالإضافة إلى مطالبته بإلغاء اللجنة الصهيونية بسبب تدخلها المستمر في شؤون فلسطين الداخلية.
٨) عملت الحكومة البريطانية على دعم وتعزيز قوة الهاغناه وغضت الطرف عن إنشائها أساساً في الوقت الذي كانت تحرم فيه على العرب اقتناء أي نوع من السلاح.
٩) كلف الجيش البريطاني شركة سوليل بونيه التابعة للهستدروت ببناء سياج على امتداد حدود فلسطين الشمالية (١٨٠كم) فقامت بذلك بحماية الجيش البريطاني والهاجناه معاً، وتولت الوحدات الليلية الخاصة التي أنشأها وينجيت حماية أنبوب نفط العراق العابر وسط مرج ابن عامر بالاشتراك مع الجيش البريطاني(١).

كما تزايد دعم بريطانيا لليهود في فلسطين في عهد المندوب السامي آرثر واكهوب وتزايد عدد المهاجرين اليهود الذين دخلوا فلسطين عدا الآلاف الذين دخلوا تهريباً وتزايد انتقال الأراضي إلى اليهود.

---

(١) وليد الخالدي - فلسطين وصراعنا مع الصهيونية وإسرائيل - ص ٣٠٦.

سياسة فرق تسد الإنجليزية الخبيثة:

المعروف أن السياسة البريطانية تمتاز بالخبث والدهاء والغموض وعدم الإفصاح عن مآربها الحقيقية حتى لعملائها من الساسة والزعماء ومن أدوات سياستها تلك كانت سياسة فرق تسد وهو ما يمكن تسميته في نهاية المطاف (بالسياسة أو الحرب) الناعمة وأدواتها في إضعاف والسيطرة على الطرف الآخر.

ومن ضمن أدوات السياسة الناعمة البريطانية في الدول العربية وفي فلسطين كانت سياسة فرق تسد التي طبقتها في معظم مستعمراتها في مختلف أنحاء العالم سواء في الهند أو دول الخليج العربي أو في إيران والدول العربية وإفريقيا وكان من ضمن سياسة فرق تسد البريطانية في فلسطين:

١) إثارة النعرات بين أهل المدن وأهل القرى عن طريق التمييز بين الفلاح والمدني، وراحت تنفث سمومها محرضة أهل القرى بأنهم مغبونون أمام أهل المدن وأن أهل المدن يسيطرون على السياسة والتجارة والزعامة الدينية، وكان اليهود يتعاونون مع الإنجليز على تعزيز هذه السياسة علماً أن أجهزة الأمن الإسرائيلية ما زالت تتبع تلك الوسيلة لضرب الفلسطينيين ببعضهم.

واستطاعت الحكومة البريطانية في فلسطين أن تستقطب عدداً من زعماء الفلاحين العرب وعقدت لهم مؤتمراً في بلدة بيت دجن عام ١٩٣٣ على مقربة من يافا، وأطلق على ذلك المؤتمر مؤتمر الفلاحين والمزارعين.

واتخذ ذلك المؤتمر عدة قرارات كان منها:

أ- مطالبة الحكومة بحماية الفلاحين من جشع أهل المدن.

ب- وجوب تمثيل القرويين في الحركة الوطنية والمجلس الإسلامي وفقاً لنسبة عددهم في البلاد.

ج- إن المؤتمر هو الهيئة التي لها الحق الوحيد في تمثيل القرويين.

وأغدقت الحكومة البريطانية بالأموال على المشاركين في المؤتمر، إلا أن أهل القرى تبرؤوا من ذلك المؤتمر وأعضائه واعتبروه أداة مسخ في يد الإنجليز واليهود وعقدوا مؤتمراً لزعماء القرى الوطنيين في قرية المسمية مطلع ١٩٣٤ نددوا فيه بالمؤتمر الآنف الذكر وعقد بعد ذلك بشهر واحد مؤتمر كبير في مترل الحاج إبراهيم الصانع في بئر السبع اتخذ فيه المجتمعون مقررات مؤيدة لمؤتمر المسمية وبدأ مؤتمر الخونة العملاء يضمحل وذاب وتفتت أعضاؤه ورجع بعضهم للحركة الوطنية.

ولم تكن بريطانيا لتكتفي بالتفريق وإثارة الفتن داخل البلد أو الإقليم الواحد، بل إن سياستها الخبيثة في التفرقة وإثارة العداوات لضمان سيطرتها على الجميع امتدت إلى كافة مناطق نفوذها وبالذات في الدول العربية.

فزرعت بذور الفتنة بين العناصر التقليدية من العرب من الشيوخ والسلاطين الطامعين بالملك والنفوذ أمثال الهاشميين وآل سعود، وشيوخ الخليج ورشيد رضا، وعملت على زرع الفرقة بين كل مجموعة من هؤلاء ففرقت بين الهاشميين وآل سعود، وبين عزيز المصري ونوري السعيد وبين الملك عبد الله والملك فاروق، حتى أن الملك عبد الله يروي في مقابلة مع الأستاذ محمد حسنين هيكل أن لورنس (العرب) فرق بينه وبين شقيقه الأمير فيصل[١].

ومما يعكس التفرقة بين الهاشميين وآل سعود أن سلطان نجد ابن سعود سخر من الأمير فيصل بعد دخوله دمشق عن طريق شاعره فؤاد حمزة الذي نظم قصيدة سخرية من الأمير فيصل جاء فيها:

بسيفك لا بسيف الإنجليز   دخلت الشام إيزي ثم إيزي

الطائفية:

من أدوات السياسة البريطانية في التفريق بين المواطنين العرب محاولتها التفريق بين مسيحي ومسلم ظناً منها أنها الدولة المسيحية وأن ملكها حامي الإنجيل المسيحي،

---

(١) محمد حسنين هيكل - جيوش وعروش - ص ٦٦.

وبالتالي فإن المسيحيين العرب سيتعاطفون معها، ومع كون البعثات والإرساليات التبشيرية الأجنبية في فلسطين كان معظمها مسيحياً ويستقطب المسيحيين العرب.

فقد عملت بريطانيا على استقطاب هؤلاء المسيحيين وتحريضهم على المسلمين العرب لشق الصف الفلسطيني[1].

وفي مصر كان كرومر ينتقد الأقباط المصريين لعدم مجاراتهم الإمبراطورية البريطانية وهي مسيحية مثلهم، وكان رأيه ترتيبا على ذلك أنه يمكن تعويض ضعفهم السياسي بقوة مالية تؤدي إلى توازن يعطيهم نوعا من التأثير السياسي حتى وإن كان صامتاً[2].

اعتمدت السياسة البريطانية في خطّتها على:

١) تحريض المسيحيين على الاستقلال عن المسلمين:

وذلك بترويج الفكرة الخبيثة بأن على النصارى أن يعنوا بشؤونهم وأمورهم وأن يدافعوا عن حقوقهم ومصالحهم في منأى عن المسلمين وأن استقلالهم بالعمل يشجع الدول الأوروبية بالعطف عليهم ومساعدتهم... وبالتالي عليهم عقد مؤتمرات خاصة بهم وانتداب ممثليهم أمام الجمعيات والأحزاب الإسلامية.

وخاطبت بريطانيا عن طريق سفيرها في الفاتيكان بابا روما في المساعدة على تحقيق هذا الهدف وقد أثمرت جهودها عن تشكيل جمعية مسيحية واحدة في حيفا عام ١٩٣٠ وفي المقابل أوعزت لبعض زعماء المسلمين تأسيس أحزاب إسلامية مضادة كان منهم أسعد الشقيري وسليمان التاجي الفاروقي حيث تم تأسيس المؤتمر الإسلامي الوطني في تموز ١٩٣٠ برئاسة سليمان التاجي الفاروقي وزعامة أسعد الشقيري.

---

(١) تماماً كما تفعل الآن في الدول العربية لإثارة الفتنة في مصر بين المسلمين والأقباط وبين المسلمين أنفسهم بين شيعي وسني وعربي وكردي وأردني وفلسطيني وهكذا.

(٢) محمد حسنين هيكل - عام من الأزمات - كلام في السياسة - ص ٣٠.

وفي النهاية تصدى المسلمون والمسيحيون لتلك المحاولات وأفشلوها.

٢) **إثارة المسلمين العرب على المسيحيين العرب:**

بسبب سيطرهم على المرافق التجارية والوكالات التجارية الأجنبية ومحـــلات الصرافة والبنوك والإعلام... والاقتصاد بشكل عام (وقد كـــان ذلـــك صـــحيحاً والسبب أن الاستعمار الغربي والبريطاني هو الذي سهل ذلك منذ أيام نظام الحماية أيام الدولة العثمانية إلى أن تم احتلال البلاد العربية بعد الحرب العالمية الأُولى، حيث ازداد تقرب العائلات المسيحية من السلطات الاستعمارية الحاكمة ومنحت ميزات سياسية واقتصادية وتعليمية على حساب المسلمين).

وقد تمكن الإنجليز من تجهيز عدد من المأجورين المسلمين لتحريض المسلمين على الثورة ضد سيطرة المسيحيين... وقام بنك موصيري اليهودي بدفع ثلاثين ألف جنيـــه مصري كدفعة أُولى لهؤلاء المأجورين لإشعال الفتنة فضلاً عما كانت تقوم به دوائـــر الاستخبارات البريطانية بدفعه من أموال لهم وكذلك الوكالة اليهوديـــة - الجمعيـــة الصهيونية - بزعامة سكرتيرها كيش اليهودي البريطاني وبـــالرغم مـــن أن هـــؤلاء المأجورين قاموا بجهد ودعاية مغرضة لإثارة الفتنة إلا أن جهودهم فشلت في الإيقـــاع بين المسلمين والمسيحيين وكان من بين الزعماء المسلمين الذين تصدوا لتلك المحاولـــة عارف الجاعوني وسعيد زايد ومحمد القرة شولي ومحمود العكرماوي وجودت الحلبي.

٣) **التحريض عن طريق سياسة الوظائف:**

بالرغم من أن موظفي الحكومة البريطانية العرب في فلسطين كانوا يـــشغلون المراكز الدنيا، ومع كون أغلبية هؤلاء الموظفين من المسيحيين بسبب حرص الحكومة البريطانية على ذلك، فقد وجد الأعداء في موضـــوع الوظـــائف وســـيلة لإثـــارة الخلافات بين العرب مسلمين ومسيحيين للترويج للدعاية بأن المسيحيين وهم الأقلية يسيطرون على الوظائف الحكومية.

فتحرك بعض العملاء والمأجورين مثل الشيخ سليمان التاجي الفاروقي وأصدر عام ١٩٣٢ في يافا جريدة الجامعة الإسلامية التي تولّت مقاومة الحركة الوطنية ومهاجمة المجلس الإسلامي الأعلى ورئيسه وقد قيل وقتها أن تلك الجريدة مولت بأموال غير عربية وقامت عام ١٩٣٣ بحملات دعائية وإعلامية مضللة واسعة النطاق لإثارة الفتنة.

وانبرت بعد ذلك جريدة فلسطين وأصحابها مسيحيون للدفاع عن المسيحيين والتصدي لمجلة الجامعة الإسلامية وهكذا أُشعل فتيل الأزمة فانطلت تلك الأضاليل على الكثير من مسلمين ومسيحيين إلى أن تنبه الوطنيون العرب إلى ذلك وانبرى المفتي أمين الحسيني للتصدي لذلك وأعلن أن الموظفين المسلمين والمسيحيين هم عرب في النهاية وأن الوطنية الصادقة تحافظ على حقوق العرب عامة وقد أُخمدت الفتنة بعد ذلك.

وكان من بين نتائج تلك الفتنة أن بعض المأجورين قاموا عام ١٩٣٥ بقتل ميشيل متري -المسيحي- وهو سكرتير جمعية العمال العربية في يافا ومعظم أعضائها من المسلمين إلى أن تم إلقاء القبض على القاتل في طولكرم في قرية مجدل الصادق واسمه علي القاسم وتم تنفيذ حكم الإعدام فيه.

السلطات تمنع عقد المؤتمر الفلسطيني الثاني:

بالرغم من الإشارات الودية تجاه الحكومة البريطانية من قبل الوجهاء الفلسطينيين فقد منعت السلطات البريطانية المؤتمر الفلسطيني الثاني ونصَّبت أقلية من الوجهاء السياسيين للتعاون مع الصهاينة بموجب برنامج سري وضعه وايزمان.

عقد الدكتور أدر من أعضاء اللجنة الصهيونية صفقة مع رئيس تحرير الأخبار بمبلغ ١٢٥ جنيه وصفقات بمبالغ أكبر مع وجهاء متعاونين آخرين مثل سعيد النابلسي ورشيد أبو خضره وحيدر طوقان.

٤ - **إحياء الحزبيات البائدة:**

بدأت بريطانيا تروج للنعرات العشائرية والقبلية القديمة بين العـرب فبـدأت تروج للأحزاب القيسية والأحزاب اليمنية وهكذا انقسم العرب في فلـسطين إلى مجموعتين متنافستين بين قيسي ويمني وظهرت هذه الأزمة في متصرفية القدس الـتي تألفت من أقضية القدس والخليل ورام الله وبيت لحم وغزة والمجدل ويافـا واللـد والرملة وتركزت زعامة القيسيين في جبل الخليل وفى قرية الراس بقـضاء رام الله، بينما تركزت زعامة الفريق اليمني بالأُسرة الحسينية في القدس وآل أبو غوش وكان النشاشبيون والحسينيون يمنيون في حين كانت الأُسرة الخالدية قيسية[1].

وقد ذهبت جهود الأعداء في تلك التفرقة أدراج الرياح.

٥ - التفريق بين الأحزاب السياسية المختلفة والعائلات المتناحرة وإضعاف الحركـة الوطنية، وكانت تغذي الصراع بين عائلات النشاشيبـي والحسيني والخالـدي من جهة وبين المجلس الإسلامي الأعلى والمعارضة من جهة أُخرى[2] حيـث كان آل الحسيني يسيطرون على منصبي الإفتاء ورئاسة المجلس الإسلامي الأعلى في حين كان آل النشاشيبي ينافسوهم على هذين المنصبين أو على أحدهما.

الإضراب والثورة عام ١٩٣٦:

منذ أن وطئت أقدام بريطانيا فلسطين وباقي الدول العربيـة وفـق اتفاقيـة سايكس بيكو، ومع انفضاح خيانتها للعرب وإعلان الثورة الـشيوعية لاتفاقيـة سايكس بيكو وظهور بريطانيا على حقيقتها مع إعلان بلفور السافر العلني لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وبعد أن انفضحت بريطانيا بلسان رجلها العسكري أللنبي وتصريحه العلني أمام جمع من الوفود الوطنية أن الحروب الصليبية انتهت مـع

---

(١) اميل الغوري - فلسطين عبر ستين عاماً - ص ٢٢٦.

(٢) صادق الشرع - حروبنا مع إسرائيل - ص ٢٠.

دخوله القدس ومع تنكيل بريطانيا بالعرب الفلسطينيين في كل المناسبات والثورات ابتداءً من ثورة ١٩٢٠ في القدس إلى ثورة البراق سنة ١٩٢٩ إلى ثورة يافا ١٩٣٣ / ١٩٣٤ وتزويدها العلني لليهود بالسلاح وإرسال كبار ضباطها في القوات الخاصة أمثال العقيد وانجيت لتدريب اليهود ومع تنكيلها بالعرب وقمعها وقتلها وإعدامها لقادة العرب وثوارهم وبعد أن بلغ السيل الزبى، ومع تزايد وتفاقم أوضاع الفلسطينيين وزيادة الصهاينة والمهاجرين القادمين وسيطرتهم على الأراضي والوظائف والأعمال وتنامي عدد الفلاحين الذين فقدوا أراضيهم وسوء الأوضاع الاقتصادية بالإضافة إلى العنف والظلم الإنجليزي المتزايد ضد العرب الفلسطينيين لصالح اليهود وتسهيل سيطرة اليهود على البلاد ومع الآثار السلبية للأزمة الاقتصادية العالمية (الكساد الكبير) عام ١٩٢٩ إلى ١٩٣٢ الذي أرخى ظلاله على الأوضاع الاقتصادية عالمياً فنالت فلسطين نصيبها من آثاره، ومع تنامي النضال الوطني المصري والسوري ضد المحتل الإنجليزي والفرنسي وتنامي الشعور الوطني الفلسطيني وما تم اكتشافه من تهريب اليهود للسلاح على نطاق واسع، تجمعت وتلبدت غيوم الثورة، إذ كانت الشرارة تَعاقُدَ الحكومة الإنجليزية مع أحد المقاولين اليهود على بناء ثلاث مدارس حكومية وبدوره رفض تشغيل العمال العرب فما كان من العرب إلا أن طوقوا المدارس ومنعوا اليهود من الوصول إليها كما تم قتل رجل يهودي وأصيب آخران بنيران المقاومين العرب في جبال طولكرم ونابلس وبعدها بليلتين تم قتل عربيين شمال مستعمرة ملبس (المطلة) كما قام الشيخ فرحان السعدي رفيق القسام في السلاح والتنظيم بقتل ثلاثة يهود وهكذا اندلعت الثورة.

وامتنع العرب عن دفع الضرائب وكانت الشرارة التي أشعلت نيران الثورة مقتلُ فلسطيني قرب مستعمرة بتاح تكفا يوم ١٦/٤/١٩٣٦، وقد جرى تأليف لجان وطنية للمقاومة ودعت كل الأحزاب الفلسطينية إلى تنظيم إضراب عام ثم تم تشكيل لجنة عربية عليا للمقاومة برئاسة الحاج أمين الحسيني.

تشكيل اللجنة العربية العليا:

في ١٩٣٦/٤/٢٥ تشكلت اللجنة العربية العليا برئاسة المفتي الحاج أمين وعضوية كل من عوني عبد الهادي سكرتير اللجنة وأحمد حلمي باشا أمين الصندوق وراغب النشاشيبي وعبد اللطيف صلاح والدكتور حسين الخالدي ويعقوب الغصين ويعقوب فراج والفرد روك وأعلن الأعضاء لجنة لمواصلة الإضراب حتى يتم تحقيق المطالب العربية الثلاث للميثاق الوطني وهي:

١) منع الهجرة.

٢) منع بيع الأراضي.

٣) تأليف حكومة وطنية مسؤولة.

تنكيل بريطانيا بالفلسطينيين أثناء ثورة ١٩٣٦ وتطويق الثورة:

لم تأل بريطانيا جهداً في مقاومة وقمع العرب على إثر أحداث ١٩٣٦، فقامت بهدم ٢٢٠ منزلاً في يافا بحجة تجميل الشوارع وقامت بعملية فرض منع التجوال لمدة ٢٢ ساعة يومياً وبلغ عدد الذين حكمت عليهم المحاكم البريطانية بالإعدام في سجن عكا ١٤٨ عربياً بتهمة حيازة الأسلحة كان بينهم الشيخ فرحان السعدي الذي أعدم وهو صائم وكان في الثمانين من عمره وأمَّا من حكم عليهم بالسجن المؤبد فقد زادوا عن ألفي عربي من رجالٍ ونساءٍ ونسفت السلطات البريطانية أكثر من خمسة آلاف متزل وحانوت واعتقلت عشرات الآلاف من العرب وكانت تقتحم القرى وتجمع الشباب بحجة البحث عن السلاح ثم تقوم بإعدامهم أمام مرأى أهلهم فتجاوز عدد الشهداء ثلاثة آلاف شهيد في الوقت الذي كانت فيه تغض الطرف عن تسليح اليهود وتدريبهم وانتدبت لذلك الضابط الإنجليزي وانجيت الذي كان يقود الفصائل العسكرية الليلية كما مر ذكره سابقاً.

وازدادت وحشية السلطة عام ١٩٣٦ في أسلوب فرض الغرامات وهدم المنازل كما نسفت أحياءً بكاملها كما حدث في مدينة جنين، وابتدعت السلطة

نظام منع التجول الذي استمر على بعض المدن لأشهر كما حصل في صفد حيث استمر ١٤٠ يوماً ثم كان من إجراءات السلطة البريطانية إحضارها لأحد رجالاتها من الهند وهو تشارلز تيغرت الخبير المتمرس في حرب العصابات الذي عمل على بناء سور بين فلسطين وسوريا من الأَسلاك الشائكة بطول ٨٠ كيلو متراً وبناء خمسة عشر قلعة للحراسة سمي بعدها بسور تيغرت.

ومن جرائم اليهود قيامهم في ٧/٦ وفي ٧/٢٥ من العام ١٩٣٦ بوضع متفجرات في سوق الخضار في حيفا مما أدى إلى مقتل ٧٤ عربياً وجرح ١٢٩ دون أن يتخذ الإنجليز أي إجراء ضدهم كما كانوا يفعلون مع العرب.

وساطة الحكام العرب لدى الفلسطينيين بعد أحداث ١٩٣٦:

مع قيام الثورة واندلاعها لمدة ستة أشهر في عموم فلسطين، أرسلت بريطانيا للزعماء العرب للتوسط لدى الفلسطينيين وتهدئتهم (أمام الصديقة بريطانيا) مبدية استعدادها للنظر في المطاليب العربية حالما يعود السكان إلى الهدوء وكتب الزعماء العرب وهم الملك عبد الله الأول ملك شرق الأردن والملك عبد العزيز آل سعود ملك السعودية والملك غازي ملك العراق إلى مفتي القدس الحاج أمين الحسيني رسالة حثوا فيها الفلسطينيين على التهدئة ومهادنة (الصديقة بريطانيا)[(١)].

ففي ١٩٣٦/٨/٧ دعا الأمير عبد الله اللجنة العربية العليا إلى عمان حيث وصل عوني عبد الهادي إلى عمان بتاريخ ١٩٣٦/٩/٢٩ وأبلغه أن اللجنة العربية عاجزة عن وقف الإضراب ما لم تقرر الحكومة البريطانية وقف الهجرة اليهودية، وكان الأمير عبد الله قد أرسل رسالة إلى رئيس الهيئة العربية العليا يبشره فيها من تأكيد عزم أصحاب الجلال ملوك العرب في التوصل إلى حلّ مسألة فلسطين حلاً يتناسب مع أماني العرب، جاء فيها: «أحبّ أن ألفت نظر سماحتكم واللجنة العليا

---

(١) الدكتور صبحي غوشة - شمسنا لن تغيب - ص ٢٧١.

واللجان القومية ثم الشعب الفلسطيني الكريم إلى جهة واحدة هي الاعتماد على الله وحده والاعتصام به والتذرع بالحكمة ثم أكرر لفت أنظاركم إلى نقطة أخرى هي عدم لزوم تبشير الشعب بما هو فوق متناول أيدي الوسطاء»[1].

وبعد أسبوعين من دعوة الأمير عبد الله للجنة العربية العليا إلى عمان، وصل نوري السعيد وحل ضيفاً على الحكومة وعرض خدماته كوسيط غير رسمي، ومع عدم تمكنه من تقديم أي ضمانات انقطعت المفاوضات، وخلال شهر أيلول ١٩٣٦/٩ توجه وفد من اللجنة العربية العليا للاجتماع بالملك عبد العزيز، وفي ١٩٣٦/١٠/٠٨ صدر عن عنيزه في نجد أول نداء إلى عرب فلسطين باسم الملك عبد العزيز آل سعود يدعوهم فيه لإنهاء الإضراب وصدر في اليوم التالي نداءٌ آخرَ باسم الملك غازي في بغداد وآخر باسم الأمير عبد الله في عمان وكان نص نداء الملوك والأمراء العرب: ((إلى أبنائنا عرب فلسطين لقد تألمنا كثيراً للحالة السائدة في فلسطين فنحن بالاتفاق مع إخواننا ملوك العرب والأمير عبد الله ندعوكم للإخلاد إلى السكينة حقناً للدماء معتمدين على حسن نوايا صديقتنا الحكومة البريطانية ورغبتها المعلنة في تحقيق العدل[2] وإعطائها فرصة لإعادة تقييم الأمور))[3].

وقد نشرت هذه النداءات والبيانات في الصحف الفلسطينية صباح ١٩٣٦/١٠/١١ وبعد أن استشارت اللجنة العليا اللجان القومية دعت اللجنة الشعب الفلسطيني إلى إنهاء الإضراب والاضطرابات ابتداءً من ١٩٣٦/١٠/١٢ طاعةً لأوامر أصحاب الجلال والسمو الزعماء العرب وإكراماً للصديقة بريطانيا (ونواياها الحسنة)، وأن يبكر أفراد الأمة صباح اليوم إلى معابدهم للصلاة على أرواح الشهداء والشكر لله على ما ألهمهم من خير وجلدٍ ويخرجوا بعد ذلك إلى

---

(١) الدكتور صبحي غوشة - شمسنا لن تغيب - ٢٧١-٢٧٢.

(٢) أجل بريطانيا الصديقة صاحبة النوايا الحسنة.

(٣) محمد حسنين هيكل - ملفات سرية - ص ١٣٢.

مخازنهم ومزاولة أعمالهم المعتادة»[1]، ولما كان قد مر على الإضراب ستة أشـــهر فقد أُنهكت البلاد اقتصادياً وبات الخوف من احتمال خسارة موسم الحمضيات وارداً، ولما كانت الحكومة قد لوحت وهددت بتحركات عسكرية جديدة فقد بات قبـــول اللجنة العليا لوساطة الحكام العرب خشبة الخلاص الوحيدة الممكنة، وتوقف الإضراب الذي امتدّ ستة أشهر إلا أسبوعاً والذي اعتبر من أطول إضرابات الشعوب.

وتوقف الإضراب وكانت الحصيلة:

١٦ قتيل من البوليس البريطاني.

٢٢ جندي إنجليزي.

١٤٨ إصابة بين الإنجليز.

٨٠ قتيل يهودي.

٣٨٠ إصابة يهودية.

١٤٥ شهيد عربي.

٨٠٤ إصابات عربية.

تقرير واكهوب:

اجتمع المندوب السامي واكهوب مع كل من:

الحاج أمين الحسيني - راغب النشاشيبـــي - عوني عبد الهادي.

---

(١) الدكتور صبحي غوشة - شمسنا لن تغيب - ص ٢٧١.

لاحظ أن النص إنجليزي دبلوماسي وقد يكون مكتوباً بالإنجليزية أساساً لأن العرب لا يستخدموا كلمة مخزن Stores تعبيراً عن متاجرهم أو محلاتهم وإنما دكان أو مصنع أو معمل أو متجر وكلمة مخزن معربة عن Stores الكلمة الإنجليزية الرديفة مما يوحي أن مصدراً ما من الأوساط الحكومية البريطانية كتبَ النصّ وسرّبه إلى الحكّام العرب!!!.

ويستفاد من تقرير واكهوب أن الزعماء الفلسطينيين أبدوا رغبتهم في وقـف الثورة عند طلب الزعماء العرب منهم ذلك وأصدر الزعماء الفلسطينيون بياناً أكدوا فيه احترامهم لتقليد احترام الحكام والملوك العرب وعدم مخالفتهم كما أصدر القاوقجي بياناً مماثلاً.

وأصدرت اللجنة العربية العليا بيانها بتاريخ ١٠/١٠/١٩٣٦ دعت فيـه إلى إنهاء الإضراب طاعةً لأوامر أصحاب الجلال والسمو الزعماء العرب وإكراماً للصديقة بريطانيا ونواياها الحسنة؟[1]

فوزي القاوقجي:

وصل المجاهد العربي فوزي القاوقجي إلى فلسطين قادماً من سوريا على رأس عصابة مسلحة وأعلن نفسه قائداً عاماً للثورة العربية في سوريا الجنوبية (فلسطين) كما دخل ضباط آخرون أمثال سعيد العاص الذي استشهد في الشهر العاشر من عام ١٩٣٦ والشيخ محمد الأشمر ومع وصول القاوقجي ساد لدى الفلسطينيين جوّ من التفاؤل بالمقاومة فراحوا يردّدون:

صهيوني دبر حالك نفدوا الثوار.

فيهم فوزي القاوقجي البطل المغوار.

لجنة بيل - Peel

بعد أحداث ثورة عرب فلسطين عام ١٩٣٦ عينت الحكومة البريطانية لجنة ملكية برئاسة اللورد بيل في آب ١٩٣٦ مهمتها التحقيق في:

١. أسباب الاضطرابات السياسية في فلسطين.

---

(١) ترى ألم يتعلم الزعماء العرب وقتها من غدر وخيانة بريطانيا لهم وكشفها عن وجهها الصليبي الحاقد ضد الإسلام؟!!

٢. كيفية تنفيذ صك الانتداب بالنسبة لالتزامات بريطانيا تجاه العرب واليهود.

٣. تقديم توصيات لإزالة الظلامات المشروعة التي يقدمها العرب واليهود.

وصلت اللجنة إلى فلسطين في ١٩٣٦/١١/١٢ وقدمت تقريرها في ١٩٣٧/٧/٧ احتوى تقرير اللجنة على أن أسباب الاضطرابات في فلسطين كانت:

١. رغبة العرب في الاستقلال القومي.

٢. كراهيتهم وخوفهم من تأسيس كيان قومي يهودي في فلسطين.

٣. عدم تكافؤ الفرص بين العرب واليهود في عرض قضيتهم أمام الحكومة والبرلمان والرأي العام في بريطانيا.

٤. الهجرة اليهودية واستمرار شراء اليهود للأراضي.

٥. شك العرب في قدرة ورغبة بريطانيا في تنفيذ التزاماتها تجاه العرب.

وأوصت اللجنة بتقسيم فلسطين بين العرب واليهود كحل للصراع بينهم وأوصت بمنح اليهود منطقة الجليل ومرج ابن عامر وسهل سامور حتى نقطة تقع على بعد عشرة أميال وشملت يافا وصفد وطبريا وعكا والناصرة وتل أبيب من رحبوت وتوحيد القسم الأكبر من فلسطين جنوبي وشرقي هذا الخط مع شرق الأردن وإبقاء القدس وبيت لحم والناصرة تحت الانتداب البريطاني مع ممر يصل القدس بالبحر عند يافا كما أوصت بترحيل العرب قسراً من المناطق اليهودية Transfer وكتب بيل في تقريره الذي اقترح فيه التقسيم إذا أخذنا في الاعتبار ما يعنيه إمكان توفير ملجأ في فلسطين بالنسبة إلى مئات الآلاف من اليهود المعذبين، فإننا لا نستطيع أن نصدق أن الكرب الذي سيسببه التقسيم مهما عظم، أكبر مما يستطيع الكرم العربي احتماله[1].

(١) وليد الخالدي - المرجع السابق - ص ٢٧٩.

وكان من أحاديث عامة الناس تعليقاً على أعمال لجنة بيل:

دبرها يا مستر بيل   بلكي على يدك بتحلّ

ورفض كلا الطرفين تقرير اللجنة حيث انعقد المؤتمر الصهيوني العشرون في زيورخ في ١٩٣٧/٨/١٧ ورفض تقرير اللجنة.

وبعد صدور تقرير بيل بتقسيم فلسطين، أمر ديفيد بن جوريون في صيف ١٩٣٧ وقبل عشرة أعوام من صدور قرار التقسيم، قائد الهاجناه في تل أبيب، البيميليخ سليكوفيتش أفنير، بوضع خطة للاستيلاء عسكرياً على البلد بأكمله تحسباً لانسحاب بريطانيا من فلسطين والذي كان متوقعاً بعد تقرير بيل.

مؤتمر بلودان:

انعقد المؤتمر العربي في بلودان بتاريخ ١٩٣٧/٩/٨ بحضور أكثر من ٤٠٠ مندوب من مختلف الدول العربية في بلودان في سوريا، وقرر رفض تقرير اللجنة بالتقسيم، وانتخب المؤتمر ناجي السويدي من رؤساء الوزراء العراقيين السابقين رئيساً للمؤتمر كما انتخب نواباً للرئيس كلاً من:

محمد علي علوية - شكيب أرسلان - الأسقف حريكة.

وانتخب عزت دروزه سكرتيراً للمؤتمر وأكد المؤتمر على أن فلسطين جزء من الوطن العربي.

وطالب المؤتمر بإلغاء وعد بلفور وإلغاء الانتداب وعقد معاهدة أنجلو فلسطينية تعترف بريطانيا بموجبها باستقلال فلسطين.

نتائج ثورة ١٩٣٧:

ارتفع صوت العرب بعد الثورة منذراً بضرورة الاتصال باللجنة الملكية البريطانية وحجتهم في ذلك أن المقاطعة تفسد النتائج التي سعوا إليها في إيقاف الإضراب فأرسلت اللجنة العليا وفدا ضم الشيخ كامل القصاب وعوني عبد الهادي

وعزت دروزه ومعين القاضي لشرح وجهة نظرها فزار الوفد بغداد والرياض ودمشق وفي العاصمة الأخيرة اجتمع بأركان الحكومة الوطنية التي تشكلت إثر معاهدة ١٩٣٦ وكان رأي الحكام في العواصم الثلاثة ضرورة الاتصال باللجنة فرضخ الفلسطينيون وغيروا موقفهم.

وكما حصل في عملية إنهاء الإضراب فقد أرسل كل من الملك عبد العزيز والملك غازي رسالة إلى رئيس اللجنة العليا بنص مشترك جاء فيه، (... وبالنظر لما لنا من الثقة بحسن نية الحكومة البريطانية في إنصاف العرب فقد رأينا أن المصلحة تقضي بالاتصال باللجنة الملكية والإدلاء بمطالبكم العادلة لأن ذلك أضمن لحقوقكم وأدعى لمساندة أصدقائكم في حسن الدفاع عنكم)[1]!!!.

الكتاب الأبيض عام ١٩٣٩:

بعد إعدام الشيخ فرحان السعدي في ١٩٣٧/١١/٢٢ بالرغم من كونه كبيراً طاعناً في السن وقد جاوز الثمانين من عمره وكان صائماً يوم إعدامه ازدادت الثورة الفلسطينية عنفاً ازداد معها بطش الإنجليز ضد العرب، كما قام اليهود في ١٩٣٨/٧/٦ بوضع قنابل في سوق خضار حيفا أدت إلى مقتل ٢٣ عربياً وجرح ٧٩ كما اشتد نشاط المفارز اليهودية الليلية بقيادة وانجيت الإنجليزي وقامت بغارات معاكسة على الثوار العرب على إثر هذه الاشتباكات قام أثرياء العرب الفلسطينيين وتجار الأراضي وسماسرتها بالهرب من فلسطين كما واظب العرب على لباس الكوفية بدلاً من الطربوش للتغطية على الثوار.

ومع استمرار الثورات والاحتجاجات ضد السلطات البريطانية أصدرت الحكومة البريطانية كتاباً عام ١٩٣٩ أُطلقَ عليه الكتاب الأبيض وكان ظاهره لمصلحة العرب ولكن كان ذلك شكلياً، وكانت الغاية منه امتصاص غضب العرب الفلسطينيين ليس أكثر.

---

(١) القيادات والمؤسسات السياسية في فلسطين- بيان نويهض- ص ٣٥٩-٣٦٠.

فمع تزايد النذر باقتراب الحرب العالمية الثانية تزايد الشعور لديها بأن دعمها للصهيونية سيكون له تأثيرٌ سلبيٌ على علاقاتها بالعالمين العربي والإسلامي، بناء على ذلك دعت بريطانيا سنة ١٩٣٩ إلى مؤتمر في لندن حضره مندوبون من الأقطار العربية ومن فلسطين وقادة يهود واجتمعت مع الطرفين، وبعد انتهاء المؤتمر حددت بريطانيا سياستها المقبلة تجاه فلسطين، فيما أسمته الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ وعرف باسم كتاب ماكدونالد الأبيض الذي سمّي على اسم مالكوم ماكدونالدز وزير المستعمرات البريطاني وتضمن:

١- وضع سقف للهجرة الجماعية اليهودية إلى فلسطين ولانتقال الأراضي الفلسطينية إلى أيد صهيونية.

٢- تركت الباب مفتوحاً أمام فلسطين موحدة وذلك رهنا بموافقة الطرفين.

أصدرت الحكومة البريطانية بيانها عام ١٩٣٩ أعلنت فيه بشكل حاسم:

أنه ليس من سياستها أن تصبح فلسطين دولة يهودية، ولكنها لا تستطيع أن توافق على أن مراسلات مكماهون الحسين تشكل أساساً عادلاً للمطالبة بأن تحول فلسطين إلى دولة عربية، إن ما تريده حكومة صاحب الجلال البريطانية أن تقام في النهاية دولة فلسطينية مستقلة يقتسم العرب واليهود - شعب فلسطين - السلطة الحكومية فيها على نحو يصون مصالح كلٍّ منهما.

إن هدف حكومة صاحب الجلال هو أن تقيم في غضون عشر سنوات دولة فلسطينية مستقلة ترتبط ببريطانيا بمعاهدة تصون على نحو مرض جميع المصالح التجارية والإستراتيجية لكلا البلدين كما اتخذت السلطات البريطانية خطوات لتخفيض الهجرة إلى ٧٥٠٠٠ خلال خمسة أعوام قادمة مع حظر بيع الأراضي في بعض المناطق.

كان الكتاب الأبيض لسنة ١٩٣٩ بداية الخلاف بين الصهيونية وبريطانيا، وانتقل مركز الثقل الصهيوني إلى الولايات المتحدة، وأعلنت فيها الجالية اليهودية

الأميركية برنامج بلتمور ١٩٤٢، وقبل انتشار أخبار الهولوكوست، وبطلب من بن غوريون أعلنت دعمها لإنشاء الدولة العبرية على كامل التراب الفلسطيني واتبع بن غوريون سياسة مقاومة الكتاب الأبيض، وازدادت حدة الهجمات اليهودية على القوات الإنجليزية متمثلةً بقيام منظمة الهاجناه والمنظمتين المنشقتين عنها الأرغون (إيتسل) وشتيرن (ليحيى) فنسفت فندق الملك داود في القدس بتاريخ ١٩٤٦/٧/٢٢، ممّا أدى إلى مقتل ٤١ عربياً، و١٧ يهودياً، و٢٨ بريطانياً، وذلك في خطوة للضغط على الإنجليز لتسريع الانسحاب من فلسطين.

اللجنة المركزية للجهاد:

تم تشكيل لجنة مركزية أطلق عليها اسم اللجنة المركزية للجهاد واتخذت مقرها في دمشق وتولى إدارتها عزت دروزه بتوجيه من المفتي الذي كان يقيم في لبنان وكان من الثوار في هذه المرحلة عبد الرحيم محمود شهيد الشجرة الذي استشهد في ١٩٤٠/٣/٢٥ فَأُعْلِنَ الإضراب العام حزناً على استشهاده ومن الثوار أيضاً عارف عبد الرازق الذي قام بعد استشهاد عبد الرحيم محمود مع عدد اثنا عشر ثائراً آخراً بتسليم أنفسهم للسلطات الفرنسية على الحدود السورية الفلسطينية كما قامت القوات الأردنية في ١٩٤٠/٧/٢٤ باعتقال يوسف أبو درة (الخليل) بالقرب من نهر الأردن وكان منهم أيضاً عبد القادر الحسيني (القدس) الذي استشهد لاحقاً في معركة القسطل في القدس في ١٩٤٨/٤/٨.

حزب العمال البريطاني وعداؤه للعرب والفلسطينيين:

أصدر حزب العمال البريطاني قراراً في كانون الأول (ديسمبر- ١٩٤٤) جاء فيه «فليشجع العرب على الخروج بينما اليهود يدخلون، وليجزل لهم في التعويض عن أراضيهم وينظم استيطانهم بعناية في أماكن أُخرى ويمول بكرم، إن للعرب مناطق واسعة تخصهم وحدهم فيجب ألا يطالبوا بإخراج اليهود من فلسطين الضيقة

التي تقل مساحتها عن مساحة ويلز وبالحقيقة يجب علينا أن نعيد دراسة إمكانية توسيع حدود فلسطين الحالية بالاتفاق مع مصر وسوريا وشرق الأردن وبالإضافة إلى ذلك يجب أن نسعى إلى كسب تأييد وعطف الحكومتين الأميركية والروسية في تنفيذ ذلك، وحديثاً أعلنت رئيسة وزراء بريطانيا في لقائها مع رئيس الوزراء الإسرائيلي نتنياهو في ٢٠١٧/١٠/٢٥ أنّ بريطانيا لن تعتذر عن وعد بلفور وأنها تفخر بأنها أسست دولة إسرائيل في فلسطين، وأنها ستحتفل بفخر بالذكرى المئوية لوعد بلفور الذي وضع قاعدة لتأسيس دولة إسرائيل في الأراضي الفلسطينية.

جامعة الدول العربية والسياسة البريطانية

في ١٩٤١/٥/٢٩ ألقى أنتوني إيدن وزير الخارجية البريطاني خطاباً ذكر فيه (إن العالم العربي قد خطى خطوات عظيمة منذ التسوية التي تمت عقب الحرب العالمية الماضية، ويرجو كثير من مفكري العرب للشعوب العربية درجة من درجات الوحدة أكبر مما تتمتع به الآن، وإن العرب يتطلعون لنيل تأييدنا في مساعيهم نحو هذا الهدف، ولا ينبغي أن نغفل الرد على هذا الطلب من جانب أصدقائنا، ويبدو أنه من الطبيعي ومن الحق وجوب تقوية الروابط الثقافية والاقتصادية بين البلاد العربية وكذلك الروابط السياسية، وحكومة جلاله سوف تبذل تأييدها التام لأي خطة تنال موافقة عامة، وفي ١٩٤٣/٢/٢٤ صرح إيدن في مجلس العموم البريطاني بأن الحكومة البريطانية تنظر (بعين العطف) إلى كل حركة بين العرب ترمي إلى تحقيق وحدهم الاقتصادية والثقافية والسياسية).

كانت بريطانيا تهدف إلى إحكام سيطرتها على الدول العربية عبر جمعهم تحت مظلة الجامعة العربية، والتي سميت لاحقاً بجامعة الدول العربية، واتخذت من القاهرة مقراً لها لاعتقادها أن القاهرة يمكن أن تمثل قاعدة لانطلاق السياسة البريطانية في المنطقة العربية، وبعد أن أطلق إيدن أفكاره هذه عن الوحدة العربية بدأت جملة من

المشاورات والاجتماعات بين زعماء العرب انتهت بتوقيع ميثاق جامعة الدول العربية في ١٩٤٥/٣/٢٢ الذي أعلن عيداً سنوياً للاحتفال بتأسيس الجامعة العربية.

إن إيدن يتحدث عن العطف الذي يغدقه على العرب لتحقيق آمالهم في الوحدة، ولا أدري أين كانت عين العطف البريطانية من الوعود التي أعطتها للشريف حسين ونكثتها جميعاً؟ وأين كانت عين العطف البريطانية على الشعب الفلسطيني الذي شردته سياستها من وطنه الذي وهبته لليهود؟، بالرغم من عشرات الاحتجاجات والوفود والمؤتمرات والمظاهرات والتوسلات للحدّ من أطماع اليهود في فلسطين ومنع سيطرتهم على البلاد، ولكن كافة تلك الجهود ذهبت أدراج الرياح!!! ويبدو أن عين العطف البريطانية كانت عوراء وكانت آذانها صماء، إذ اكتفت بريطانيا بعين العطف على اليهود كما ورد في وعد بلفور.



الجزء الثاني

الفصل الأول

تقسيم فلسطين - القرار ١٨١ - ١٩٤٧/١١/٢٩



لما كانت بريطانيا قد عملت بصورة حثيثة دؤوبة على تمكين اليهود في فلسطين، وتوفير كافة أسباب القوة العسكرية والاقتصادية وفتح أبواب الهجرة لليهود إلى فلسطين من كل حدب وصوب وتمكين اليهود من شراء الأراضي مع التمكين الإداري والتنظيمي واعتماد اللغة العبرية كلغة رسمية، ومع استمرار القلاقل والاضطرابات في فلسطين بين اليهود والعرب من جهة وبين الثوار العرب وسلطة الانتداب من جهة أخرى، ومع تهيئة الأوضاع للتقسيم بناء على تقرير لجنة بيل عام ١٩٣٧ وتقرير لجنة وودهد عام ١٩٣٨، فقد وجدت بريطانيا الوقت مناسباً لاستكمال تحقيق خططها الاستعمارية الصليبية في زرع كيان غريب يكون تابعاً لها في الشرق الأوسط، وحاجزاً فاصلاً بين إفريقيا وآسيا العربيتين، ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية، وإنشاء هيئة الأمم بدلاً من عصبة الأمم، فقد طالبت الأمم المتحدة بإعادة النظر في صكوك الانتداب التي منحتها عصبة الأمم للإمبراطوريات الأوروبية، واعتبرت حالة الانتداب البريطاني على فلسطين من أكثر القضايا تعقيداً فقامت هيئة الأمم بإنشاء لجنة UNSCOP الخاصة بفلسطين، التي طرحَتْ مشروعين، الأول تقسيم فلسطين إلى دولتين عربية ويهودية والآخر اتحاد كونفيديرالي بين الدولة اليهودية والدولة العربية وفي الحالتين وضعت القدس تحت إدارة دولية.

وقامت هيئة الأمم بقبول مشروع التقسيم مع إجراء بعض التعديلات على الحدود المشتركة بين الدولتين العربية واليهودية على أن يسري القرار منذ اليوم الأول لانسحاب بريطانيا من فلسطين.

وبالرغم من أن نسبة العرب إلى اليهود كانت ٦٧%-٣٣% (أي ٢-١)[١] فقد أعطى القرار ٥٦,٥% من مساحة فلسطين لليهود، وشملت مساحة الدولة اليهودية المقترحة الشريط الساحلي من أسدود إلى حيفا عدا مدينة حيفا، وأغلبية صحراء النقب عدا بئر السبع، وقد أعرب جميع أعضاء جامعة الدول العربية (باستثناء شرق الأردن) بوضوح عن معارضتهم التقسيم قبل أن تتخذ الجمعية العامة للأمم المتحدة قرارها بذلك[٢] ولعل رفض شرق الأردن الاعتراض على التقسيم كان متوافقاً مع اتفاق رئيس وزرائها توفيق أبو الهدى مع أرنست بيفن وزير الخارجية البريطاني أثناء اجتماعهما الذي عقد في شهر ١٩٤٨/٢ الذي نص على ضم بقايا فلسطين إلى شرق الأردن[٣].

كما كان هناك اتفاقٌ مسبقٌ وكاملٌ بين الهاشميين والحركة الصهيونية وكان جوهر الاتفاق أنه عندما يسرى مفعول قرار التقسيم وينتهي الانتداب البريطاني على فلسطين فإن دولة يهودية (إسرائيل) سوف تعلن على الفور في الجزء المخصص لليهود بموجب قرار التقسيم، وأما بالنسبة للجزء المخصص للعرب فإنه يضم إلى شرق الأردن فلا يكون هناك داع لدولة فلسطينية تنشأ بين إسرائيل وبين نهر الأردن [٤].

تم التصويت على قرار التقسيم وأيدته ثلاث وثلاثون دولة وعارضته ثلاث عشرة دولة وامتنعت عن التصويت عشر دول، ومارس الرئيس الأميركي هاري ترومان الضغط على كثير من الدول بصورة مباشرة وغير مباشرة وكان من وسائل

---

(١) كان تعداد سكان فلسطين عام ١٩٤٦ م ١٩٧٢٠٠٠، منهم ١٣٦٤٠٠٠ عربياً، و٦٠٨٠٠٠ يهودياً.

(٢) وليد الخالدي- فلسطين وصراعنا مع الصهيونية وإسرائيل- ص ٢٨٠.

(٣) وليد الخالدي- فلسطين وصراعنا مع الصهيونية وإسرائيل- ص ٣٢٥.

(٤) محمد حسنين هيكل- العروش والجيوش- ج١- ص ٣٠.

الضغط أن المليونير الأميركي هارفي صامويل فاير ستون ملك صناعة المطاط، مارس الضغط على ليبيريا التي صوتت بالتأييد حيث تم التصويت مساء ١٩٤٧/١١/٢٩ وتم اعتماد القرار.

بطلان قرار التقسيم من الناحية القانونية:

يعتبر قرار التقسيم باطلاً وغير قانوني للأسباب الآتية:

١- حسب القوانين العالمية - اتفاقيات جنيف:

لا يجوز للأشخاص المحميين التنازل عن حقوقهم- المادة ٨ من الاتفاقية الرابعة.

٢- وبحسب القوانين الدولية فإنه بعد الانتداب يجب تسليم الأرض والبلاد لأهلها وليس لشعب آخر.

٣- إن التقسيم جاء رغبة للدول الاستعمارية المتنفذة في العالم وفقاً لظروف موازين القوة في تلك الفترة حيث أملت التقسيم بريطانيا وأميركا وفرنسا وصمتت روسيا، وجميعها كانت الدول المنتصرة في الحرب العالمية الثانية.

٤- إن الجمعية العمومية رفضت إحالة فرضياته إلى تحكيم محكمة العدل الدولية.

٥- استناده إلى شرعية الانتداب ووعد بلفور وشرعية خلافة الأمم المتحدة لعصبة الأمم.

٦- تجاهل التقسيم صوت ورأي أصحاب الأرض الفلسطينيين والعرب في حق تقرير مصيرهم.

٧- التقسيم لم يكن ممثلاً للإرادة الدولية؛ لأن الدول الأربع المنتصرة في الحرب هي التي فرضته ضد رأي الأغلبية العالمية سيما الدول العربية وإفريقيا وآسيا التي كان أغلبيتها غير ممثلة في حينه.

٨- ليس من صلاحية هيئة الأمم أن تقسم بلداً ما ضد إرادة أكثرية شعبه.

٩- إن تقسيم أي بلد ما، يتعارض مع روح ميثاق هيئة الأمم ذاته.

١٠- إن قرار التقسيم كان توصية و لم يكن ملزماً.

لذلك كان رفض الاعتراف به من قبل العرب الفلسطينيين وكافة أحرار العالم يقوم على قواعد متينة من الحق الطبيعي ومن قواعد القانون الدولي ومنطق العدل.

رفض العرب القرار واتخذت الجامعة العربية بعض القرارات كان أهمها:

١) أصدروا مذكرات شديدة اللهجة لأميركا وبريطانيا.

٢) إقامة معسكر في قطنه لتدريب الفلسطينيين.

٣) تكوين جيش عربي أطلق عليه اسم جيش الإنقاذ بقيادة فوزي القاوقجي.

٤) رصد مليون جنيه لتسليح الفلسطينيين والدفاع عن فلسطين.

ومع اعتراض بريطانيا وكون معظم الدول العربية تدور في فلكها وتحت نفوذها فقد تراجعت الجامعة العربية وأغلقت معسكر تدريب الفلسطينيين في قطنه واكتفت بتجهيز جيش الإنقاذ مع تحديد قواته بـــ ٧٧٠٠ مقاتل في حين كان عدد القوات اليهودية أكثر من سبعين ألف مقاتل من الهاجناه وقوات الشرطة والفيلق اليهودي الذي أسسته بريطانيا مسلحين جميعاً بكافة أنواع الأسلحة الحديثة والفتاكة أمام مجموعة غير متجانسة من المقاتلين العرب لم يزد عددها عن عشرة آلاف مقاتل معظم سلاحهم قديم وفاسد بالإضافة إلى أن القيادة المركزية للقوات العربية كانت بأمرة قائد الجيش الأردني جلوب باشا (الإنجليزي) الذي كان في الواقع ينفذ مخططات بريطانيا لإنشاء إسرائيل.



الفصل الثاني

حرب ١٩٤٨



لم تكن الدول العربية في وضع يمكنها من الدخول في حرب حقيقية لمواجهة اليهود ومنع احتلالهم لفلسطين وإعلان دولتهم إسرائيل، ففي الوقت الذي كانت فيه الجيوش والثوار العرب خليطاً غير متجانس يفتقر إلى الأسلحة الحديثة والتدريب والقيادة الواحدة التي تجمع بين هؤلاء وتوحد الهدف لهم وتنسق العمليات بينهم مع افتقار الإرادة لدى الحكام العرب للقتال بالإضافة إلى افتقار الإرادة والقرار من قبل القادة الإنجليز المسؤولين عن الجيوش العربية متمثلة في جلوب باشا الذي كان يقود الجيش الأردني ومسؤولاً أيضاً عن باقي الجيوش العربية التي دخلت من الأردن سواءً الجيش العراقي أو السوري أو جيش الإنقاذ أو المتطوعين العرب، على الرغم من ذلك كانت الجيوش والثوار العرب تلهبهم الحماسة وتحدوهم الإرادة والتصميم على القتال، وعلى الجانب الأخر كان عدد المقاتلين اليهود يربو على سبعين ألف مقاتل من الهاجناه والفيلق اليهودي وفيلق الشرطة كانوا جميعاً مسلحين بأحدث أنواع الأسلحة مع التدريب العالي الذي توفر لهم سواء داخل فلسطين أم من خلال الجيوش الأخرى التي كانوا يخدمون فيها قبل مجيئهم إلى فلسطين وكانوا يقاتلون تحت قيادة سياسية واحدة تعرف وتقاتل من أجل هدفها بالإضافة للدعم اللامحدود من قبل الدول الكبرى وفي طليعتها بريطانيا وأميركا.

ولعل في تسليط الضوء على بعض ما كتب لمن كانوا شهود عيان في ميـــدان القتال لخير وسيلة لتقييم الحالة والموقف آنذاك.

موقف مصر:

ففي مصر، اجتمع إلياهو ساسون مع إسماعيل صدقي عام ١٩٤٦ رئيس وزراء مصر آنذاك الذي أكد له موافقة مصر على قرار التقسيم، وطار بعدها ساسون إلى الشونة الجنوبية - بالقرب من نهر الأردن- ليجتمع بالملك عبد الله ليخبره بموافقة الجامعة العربية على التقسيم، فما كان من الملك عبد الله إلا أن طلب من ساسون معونة مالية قدرها خمسة وثلاثون ألف جنيه، الدفعة الأولى عشرة آلاف جنيه، والدفعة الثانية خمسة وعشرون ألفاً لضمان ولاء العشائر السورية ولتحقيق مشروع سوريا الكبرى(١).

ويذكر اللواء المرحوم صادق الشرع أنه تم إبلاغ قادة الجيش الأردني بأنه تم الاتفاق مع القيادة البريطانية في قاعدة السويس على شحن كمية من الذخائر - للمدفعية والهاون - وأنها حملتها على باخرة متجهة إلى العقبة، ولكن السلطات المصرية صادرت الذخائر والأسلحة قبل إبحار الباخرة وذلك بأمر من الملك فاروق(٢).

وفي الواقع فإن هذا الادعاء من قبل بريطانيا سواء أكان صحيحاً أم كاذباً فإنه يدين الإنجليز أولاً وآخراً ولا يدين الملك فاروق وذلك للأسباب الآتية:

١. إن بريطانيا كانت الحاكم بأمره في مصر ولا تحتاج لموافقة الملك فاروق لشحن أي أسلحة من مكان لآخر حيث تقع كامل المنطقة تحت سيطرتها.
٢. إن بريطانيا التي حاصرت قصر الملك فاروق بالدبابات لإرغامه على تعيين رئيس وزراء وفق رغبتها في واقعة ١٩٤٢/٢/٤ لأقدر من باب أولى على شحن أسلحة من منطقة لأخرى.
٣. على فرض صحة الإدعاء الإنجليزي فقد كان بإمكان الإنجليز شحن أسلحة لو أرادوا لنجدة الجيش الأردني من قواعد أخرى في العراق وفي قبرص.

---

(١) محمد حسنين هيكل - جيوش وعروش - ج١ ص٣٥ - ٣٦.

(٢) صادق الشرع - حروبنا مع إسرائيل - ص ٦٤.

٤. الجيش العربي الأردني وباقي الجيوش والمقاتلين العرب كانوا مكبلين بقـــرارات القادة الإنجليز ولو أطلق لهم العنان للقتال الحقيقي لتغير مسار الأحداث وتغيرت خارطة الشرق الأوسط.

٥. كان بإمكان الإنجليز التدخل بمنع وصول الأسلحة لليهود وهذا بدوره نجدة غير مباشرة للعرب؛ لسيطرة الإنجليز على كافة المنافذ البريـــة والبحريـــة والجويـــة الموصلة لفلسطين.

وهذا الإدعاء يكشف خبث الإنجليز في محاولة استغفال العـــرب مـــن جهـــة وإيقاع بعضهم ببعض من جهة أخرى لتبقى بريطانيا هـــي المـــسيطرة والموجهـــة للزعامات الدمى في المنطقة ويعكس رغبتها في عدم إتاحة الفرصة للجيوش العربيـــة والجيش العربي الأردني بالذات للتقدم وتحقيق أي مكاسب فوق مـــا هـــو مقـــرر ومخطط ضمن خطة التقسيم وضمن رغبتها ليتمكن اليهود من السيطرة على البلاد، وفي الوقت الذي كان الثوار والفلاحون الفلسطينيون العرب يقارعون الاحـــتلال البريطاني والمستوطنين اليهود كانت قرينة يوسف قطاوي باشا كـــبيرة وصـــيفات القصر الملكي (أي الملكة نازلي) حتى سنة ١٩٤٨ تجمع التبرعات لمساعدة اللاجئين اليهود للوصول إلى فلسطين[(١)].

موقف شرق الأردن:

وفي شرق الأردن كان رئيس وزرائها توفيق أبو الهدى قد اجتمع في ١٩٤٨/٢/٧ مع آرنست بيفن وزير خارجية بريطانيا بحضور جلوب باشا وطالب أبو الهدى خلال الاجتماع ضم الضفة الغربية للأردن تجنباً لاحتلالها من قبل إسرائيل وتجنباً لإعلان دولة فلسطينية من قبل المفتي الأمر الذي يضر بالمصالح البريطانية!!

---

(١) محمد حسنين هيكل- الجيوش والعروش- الجزء الثاني- ص ١١٢.

وقد طلب منه بيفن أن يكون دور الأردن منع أي جيش عربي آخر يتجاوز حدود التقسيم المخصصة لليهود فما كان من أبو الهدى إلا أن رد عليه "لكم أن تطمئنوا حتى لو أردنا فإننا لا نملك الوسائل لذلك" بل أن بيفن طلب من جلوب باشا أنْ يتوقع من الجيش العربي ما هو أكثر وهو أن يمنع أية قوات أخرى غيره من اعتراض تنفيذ قرار التقسيم بالنسبة للجزء المخصص للدولة اليهودية، وعلى صعيد الجيش الأردني (الجيش العربي) فقد كان ذلك الجيش تحت قيادة القائد الإنجليزي جلوب باشا الذي كان في الحقيقة ينفذ سياسة التقسيم و لم يكن معنياً البتة بإخراج اليهود منها أو تحريرها.

كان جلوب باشا يتصل مع الهاجناه للسكوت على دخولها القدس واتفق معها على عدم تحريك الجيش الأردني تجاهها وإعطاءها فرصة لتثبيت سيطرتها على القدس الجديدة في مواقعها، وأن أي تدخل للجيش الأردني (إذا اضطر لذلك) سيكون نوعاً من التمويه وليس أكثر(١).

ويذكر الأستاذ محمد حسنين هيكل أن الملك عبد الله أرسل الجنرال جلوب باشا قائد الجيش الأردني برسالة إلى وزير خارجية بريطانيا أرنست بيفن يخبره فيها أن المشكلة في فلسطين التي تضع علينا وعليكم كثيراً من الهموم لا يمكن حلها من خلال الجامعة العربية ولقد كنا متفقين معكم على أوضاع معينة رتبها معكم رئيس الوزراء توفيق أبو الهدى باشا ومضمونها تنفيذ قرار التقسيم بالإنصاف، يأخذ اليهود حقهم ونأخذ حقنا ولكن العرب الآن كعادتهم على وشك أن يفسدوا كل شيء(٢).

ويضيف المرحوم اللواء صادق الشرع في كتابه حروبنا مع إسرائيل في حسرة عن طبيعة القتال مع اليهود في حرب ١٩٤٨: أي قتال هذا الذي كنا نحلم به بعد

---

(١) محمد حسنين هيكل- جيوش وعروش- ج ١ ص ٤١ - ٤٢.

(٢) محمد حسنين هيكل- جيوش وعروش- ج١ - ص ٣٨.

أن عرفنا أننا سوف نذهب لحماية جزء من وطننا فقط ضمن حدود التقسيم الذي فرضته هيئة الأمم وقسمت وطننا بقرار منها بيننا وبين اليهود؟، وأي معركة تلك التي سوف تخوضها الجيوش العربية وهي متفرقة ومنفصلة عن بعضها ولا تخضع لقيادة واحدة ولا تدار عملياتها ضمن خطة عامة واحدة وبهذه الصورة استمرت استعداداتنا وتحضيراتنا قبل حلول موعد ذهابنا إلى فلسطين ونفوسنا يملؤُها الحزن وقلوبنا يعتصرها الألم ولكن...؟؟؟ ويضيف أن ضباط الجيش الأردني الإنجليز لم يشتركوا في حرب فلسطين إلا لأنها كانت تهدف إلى تثبيت الأمر الواقع ضمن حدود التقسيم ولأن الحكومة البريطانية كانت قد وافقت مسبقاً على إرسال الجيش العربي للاشتراك فيها ضمن هذه الشروط[1] كما يذكر اللواء الشرع، كيف أن قيادة الجيش الأردني - الإنجليزية - منعت الجيش الأردني من احتلال منطقة الجامعة العبرية ومستشفى هداسا - جبل سكوبس (جبل المشارف) - التي كانت تؤثر تأثيراً مباشراً على مواقع الجيش الأردني في الشيخ جراح وتهدد طرق مواصلاته الخلفية وكانت ذريعة قادة الجيش العربي (الإنجليز) المحافظة على بناية النوتردام وما بها من مخطوطات من التدمير وعدم إثارة مشاعر الأميركيين حيث كانت البناية تابعة لبعض الجمعيات الخيرية الأميركية.

وبالطبع كانت هذه حجج واهية لتمكين اليهود وإتاحة الفرصة لهم لمزيد من المكاسب[2]، ويؤكد الشرع أن فشل الجيوش العربية في فلسطين ليس لأنها متخاذلة ومتقاعسة عن نجدة إخوانها بل كان ذلك لخضوعها لقيادات سياسية مختلفة فيما بينها ومتناقضة في توجهات حكوماتها القطرية وكل جيش يتلقى أوامره من قيادته العليا في بلده الذي كان يتصرف حسب الأهواء والمصالح القطرية بالدرجة الأولى، كما كانت عقيدة جلوب باشا قائد الجيش الأردني تستند إلى أنه لا يوجد عدو

(١) صادق الشرع - حروبنا مع إسرائيل - ص ٧٢، ٧٣.

(٢) صادق الشرع - حروبنا مع إسرائيل - ص ١٠٩.

مسلح يستطيع تهديد المملكة لأن الغرب يحميها كما يكفل ردع أي جيش محلي (سوري لأسباب سياسية أو سعودي لأسباب عائلية) وذلك معناه أن العقيدة القتالية للجيش الأردني هي المحافظة على العرش وعلى النظام العام في البلاد[1].

العلاقات الأردنية المصرية:

بناءً على سياسة فرق تسد التي اتبعتها بريطانيا وإثارة الفتنة والخلافات بين العائلات الحاكمة، كانت الخلافات بين الأسرتين الهاشمية في شرق الأردن والعلوية في مصر على أشدها إلى حد أن الملك عبد الله أرسل رسالة عبر قائد الجيش الأردني جلوب باشا إلى القيادة الإسرائيلية بتاريخ ١٩٤٨/٩/٢٦ كان مضمونها النص الآتي:

((ما الذي تنتظرونه لتصفية الوجود العسكري المصري على الأراضي الفلسطينية؟ وهل تنتظرون لكي نرى المفتي الحاج أمين الحسيني رئيساً لدولة فلسطينية وأنتم تعرفون أنه السند الحقيقي وراء حكومة عموم فلسطين التي تشكلت تحت الحماية المصرية في غزة؟)) وقد أرسل جلوب باشا الرسالة من خلال مندوب إنجليزي هو الكولونيل دير موند جولدي قائد اللواء الأول للجيش الأردني والذي سأله ضابط الاتصال اليهودي عن رأي الملك عبد الله في مستقبل النقب وكان رده أن الملك لا يريد جواراً مع المصريين على الإطلاق، ثم إن أهدافه موجودة في نابلس والقدس والخليل وهو يريد الوديان الخضراء ولا يريد الصحراء التي لديه الكثير منها بدلا عن النقب وكان رد بن جوريون لا أريد الاتفاق مع فأر وأترك خلفي أسداً يزأر[2] (مصر).

كما يذكر الأستاذ محمد حسنين هيكل أن ديفد بن غوريون كان مطمئناً للجيش الأردني من أمامه ومن ورائه فقد كان هذا الجيش مكلفاً بمهمة محدودة في جزء من خطوط التقسيم أداها بنوع من التنسيق لحقه الارتباك في بعض اللحظات إلا أنه رتب

---

(١) محمد حسنين هيكل - عام من الأزمات - ص ٤٤٠.

(٢) محمد حسنين هيكل - جيوش وعروش - ج٢ - ص ٥٢ - ٥٤.

أموره بعد ذلك وبقيت الأوضاع على الأرض بما في ذلك حجز الجيش العراقي وحجبه ثم سحبه بعد ذلك إلى حدود بلاده[1].

وفي خطوة تبرز التصدع في العلاقات العربية يذكر الأستاذ محمد حسنين هيكل أن الملك عبد الله أرسل عن طريق جلوب باشا ضابطاً إنجليزياً هو العقيد جون لوكيت إلى العقيد سيد طه قائد الجيش المصري في الفالوجة **ليقنعه بالانسحاب من ضمن ممرات خاصة إذ تبين أن تلك الخطة كانت للإيقاع بالجيش المصري ونصب كمين له أثناء الانسحاب وإبادته**[2]، **وفي المقابل فإن جلوب باشا قائد الجيش الأردني رفض السماح لكل من الجيش السوري والعراقي من عبور شرق الأردن لنجدة الجيش المصري في الفالوجة**[3].

وقد بلغ الخلاف بين الأسرة الهاشمية في شرق الأردن والأسرة العلوية في مصر إلى الحد الذي حدا بالسفير الإسرائيلي جدعون رافائيل ليكتب خطاباً لأحد الشعراء وهو حاييم لوري يقول فيه بالنص إن الأحوال بين مصر والأردن ساءت إلى درجة أن عبد الله والإنجليز الذين يحركونه من الوراء أصبحوا جميعاً يفضلون وطناً إسرائيلياً كاملاً بشرط ألا يظل هناك وجود مصري على أية حبة رمل في النقب[4].

رواية القائد العربي في الجيش الأردني صادق الشرع:

في مذكراته - حروبنا مع إسرائيل - يذكر اللواء الراحل في الجيش الأردني صادق الشرع أن دخول القوات العربية إلى فلسطين عام ١٩٤٨ لم يكن لتحريرها ولا لطرد اليهود منها بل كان لتثبيت قرار التقسيم وتثبيت الأمر الواقع ومنع اليهود

---

(١) محمد حسنين هيكل - العروش والجيوش - ج ٢ - ص١١٣.

(٢) محمد حسنين هيكل - العروش والجيوش - ج ٢ - ص ٤٦ - ٤٧.

(٣) محمد حسنين هيكل - العروش والجيوش - ج ١ - ص ٤٤٥.

(٤) محمد حسنين هيكل - العروش والجيوش - ج ٢ - ص ١٥٨.

من التمدد خارج المساحة المخصصة لهم[1].

ويشير المرحوم الشرع إلى أن قائد الجيش الأردني آنذاك جلوب باشا أكد ذلك[2].

كما يروي المرحوم صادق الشرع أَن القائد الإنجليزي الزعيم جولدي أمر لواءه بإيقاف الهجوم على مستعمرة الخمسة وإيقاف احتلالها تحت ذريعة توفير الإصابات علماً أنه لم تكن لدى الجيش الأردني سوى إصابة واحدة وشهيد وتدمير مدرعة وكان احتلال المستعمرة في متناول اليد بل إن احتلالها كان ضرورياً واستراتيجياً لموقعها المهم.

الملك عبد الله يطلب من اليهود عدم ترك المصريين في غزة:

ومما يعبر عن مستوى الخلاف بين الهاشميين في شرق الأردن والأسرة العلوية في مصر، برقية كتبها بن غوريون في يومياته وهي: في ١٩٤٨/١/١٦ في العاشرة مساءً خابرني ييجال يادين عاد ديان بعد لقاء مع الملك عبد الله سيحضر إلى هنا غداً العجوز عبد الله يشكو من الإنجليز ويطلب عدم ترك المصريين لا سمح الله في غزة من الأفضل أن نسلمها إلى الشيطان - أن نأخذها نحن[3].

عبد الله التل وجولدا مائير:

يذكر القائد الأردني عبد الله التل في مذكراته أن الملك عبد الله وعد جولدا مائير في محادثاتهما التي جرت في الشونة (المحاذية للحدود الفلسطينية) في ١٩٤٨/٥/١٢ وتعهد بألا يحدث صدام بين الطرفين وأن يقف الجيشان على الحدود التي رسمت لكل منهما[4].

---

(١) صادق الشرع - حروبنا مع إسرائيل - ص ٦٠.

(٢) صادق الشرع - حروبنا مع إسرائيل - ص ٧٠.

(٣) محمد حسنين هيكل - ملفات السويس - ج١ - ص٣٠٤.

(٤) محمد حسنين هيكل - ملفات السويس - ص ٢٥٤.

الملك عبد الله وسوريا ولبنان:

وعن العلاقات بين الملك عبد الله مع سوريا ولبنان فإن الملك عبد الله الذي لم يكتف بمحاولة إبعاد مصر عن التدخل العسكري في فلسطين فقط، وإنما سعى إلى تحذير سوريا ولبنان من الدخول، ففي أواخر مارس ١٩٤٨ وفي لقاء مع السيد رياض الصلح رئيس وزراء لبنان قال الملك عبد الله خلال حديث طويل (لا تغامروا بجيوشكم في فلسطين لأن اليهود أقوى)[1].

العلاقة بين الأُسرتين الهاشمية وآل سعود:

لم تكن العلاقة بين الملك عبد الله في شرق الأردن مع الملك عبد العزيز في الرياض بأحسن منها مع الملك فاروق، فسياسة كيد الأعداء وحسد الأمراء التي غرستها بريطانيا في نفوس الأمراء والملوك العرب، أشعلت الضغينة والخلافات بينهم وهو ما اصطلح على تسميته كيد الأعداء وحسد الأمراء.

لعب الملك عبد العزيز دوراً رئيساً في التنبيه إلى ما كان يعتبره مطامع الملك عبد الله في فلسطين ومن خشيته أن يوسع الهاشميون أملاكهم بما ينقص من قدره، وبما يمكن أن يضيف إلى مكانتهم وهم خصومه، وبما قد يظهرهم حماة المقدسات الإسلامية في القدس ويضعهم في موقع مقارب من حماة الحرمين في مكة والمدينة[2].

وفي رسالة وجهها الملك عبد العزيز إلى الملك فاروق وجدها حسن يوسف (باشا) وكيل الديوان الملكي طريفة في أسلوبها فأحتفظ بنسخة منها في أوراقه الشخصية وكان نصها:

((صاحبنا في شرق الأردن تأبط الشر يبغي يفاجئنا بالمحظور، ملكه لا يصير توسيعه على حساب القضية، وهو يلعب مع الإنجليز والإنجليز يلعبون به وقفه عند حده لازم،

---

(١) محمد حسنين هيكل - عروش وجيوش - ج١ - ص ٤٤.

(٢) محمد حسنين هيكل - العروش والجيوش - ج ٢ - ص ٥٧.

وثوقنا بعد الله في حكمتكم وإلا المصائب تقع علينا وليس عليهم، ما تراءى لنا صدرناه لكم على الحق والصواب والبركة في شبابكم وبلادكم والتوفيق بحمده))[1].

جلوب باشا يخلي اللد والرملة:

ادعى جلوب باشا أن قواته في القطاع الأوسط من فلسطين محاصرة وأنها تحت نيران كثيفة تهددها، الأمر الذي كان مبرراً ظاهراً له لإخلاء اللد والرملة وسحب الجيش الأردني منها دون مبرر وكان ذلك سبباً في تشريد ١٥٠ ألف عربي فلسطيني[٢][٣].

الجبهة العراقية:

كان الجيش العراقي في فلسطين تحت مسؤولية الملك عبد الله وبالتالي تحت قيادة جلوب باشا قائد الجيش الأردني، الذي التزم بخط التقسيم بل بأقل من ذلك، وكان الشعور العام السائد بأن الجيش العراقي أخلى الطريق لاحتلال اللد والرملة بالإهمال أو بالعمد، وفي الحالتين تحت قيادة جلوب باشا وأوامره[٤].

ومع انسحاب الجيش العراقي من شمال وغرب فلسطين، كانت الصفقة، انسحاب العراق من شمال نابلس على أن تدخل القوات الأردنية من المثلث الصغير، وكان الانسحاب العراقي بدون التفاوض على هدنة، فقد كانت الصفقة بين الأردن وإسرائيل على طاولة الهدنة بأن ينسحب العراق وتقبل إسرائيل دخول الأردن المنطقة العراقية شمال نابلس ورام الله مقابل تخلي الأردن عن المثلث الصغير شمال فلسطين[٥] حيث انسحب الجيش العراقي من منطقة المثلث مع البدء بمفاوضات الهدنة بحجة أن

---

(١) محمد حسنين هيكل - عروش وجيوش - ج١ - ص٧٥.

(٢) محمد حسنين هيكل - عروش وجيوش - ج١ - ص٤٤٥.

(٣) محمد حسنين هيكل - عروش وجيوش - ج١ - ص ٣٣٧.

(٤) محمد حسنين هيكل - عروش وجيوش - ج٢ - ص٣٢.

(٥) وليد الخالدي - فلسطين وصراعنا مع الصهيونية وإسرائيل - ص ٧٧.

العراق ليس لها حدود مع فلسطين وهي لا تريد أن تكون طرفاً بمفاوضات الهدنة وكان لانسحاب الجيش العراقي المبكر من الجبهة أثراً بالغ الخطورة على الجبهة الأردنية سببَّ خسران مساحات واسعة من الأراضي والقرى العربية في منطقة المثلث تمكن اليهود من السيطرة عليها[١].

الجبهة السعودية:

لم تكن مساهمة السعودية في حرب ١٩٤٨ بأفضل منها من الدول العربية الأخرى، فالملك عبد العزيز كان خاضعاً تحت تأثير النفوذ الإنجليزي ومشهوراً بعبارته (أعترف بقوتين الله في السماء وبريطانيا على الأرض)[٢].

وكما يروي القائد طه الهاشمي الذي كان رئيساً للجنة العسكرية المنبثقة عام ١٩٤٧ عن جامعة الدول العربية للإشراف على حرب فلسطين فإن الحكومة السعودية أرسلت برقية للجنة العسكرية عن أسلحة معدة لنجدة فلسطين موجودة في سكاكا بالصحراء في شمال الجزيرة العربية فأرسلت الحكومة السورية طائرات فأحضرت تلك الأسلحة لدمشق وسلّمتها للمصنع الحربي التابع للجيش السوري لفرزها وتوزيعها، فإذا هي أسلحة عتيقة رديئة متعددة الأنواع والأشكال فيها الموزر والشنيد والمارتيني... إلخ، وفيها بنادق فرنسية وإنجليزية وعثمانية ومصرية ويونانية ونمساوية وكلها بدون جنجانة وصدئة (خردة) لا تصلح للقتال ومن ضمنها بنادق تعبأ بالكحل من الأمام وهي من مخلفات الجيش المصري في حملته على الوهابيين[٣].

ومع هجوم اليهود في ١٩٤٨/٤/١٢ على طبريا وهو أول هجوم يهودي عام على مدينة عربية فلسطينية، ومع بدء اليهود للهجوم الثاني في ١٩٤٨/٤/١٥ اجتمعت

---

(١) صادق الشرع - حروبنا مع إسرائيل - ص ٢٥٦.

(٢) محمد حسنين هيكل - المقاولات اليابانية - ص ١٨٠.

(٣) عبد الجبار محمود العمر - العين والمخرز - ص ٨١ - ٨٢.

اللجنة السياسية في اليوم ذاته لتقرر إيفاد مبعوث لتوضيح مدى المعونة العسكرية التي يمكن أن تقدمها مصر، غير أن السعودية تبلغ اللجنة قلقها الشديد من وجود القاوقجي في فلسطين[1].

هذا ما كان عليه الحال في الدول العربية المحيطة بفلسطين، بالرغم من حماسة الشعوب العربية مجتمعة للتطوع والقتال ضد اليهود، وحماسة وإرادة الجيوش العربية نفسها، والبلاء الشجاع البطل الذي أبلاه الجنود المشاركون في القتال ضد اليهود سواء الجيش المصري أو الأردني أو العراقي والمجاهدون العرب بشكل عام، إلا أن الإرادة السياسية للقادة العرب كانت في الحقيقة تدعم التقسيم وكانت النية للدول العربية المشاركة في حرب ١٩٤٨ بما فيها الجامعة العربية متجهة لتثبيت التقسيم وعليه تم تثبيت حدود التقسيم، وكبح جماح الجيوش العربية عن القتال، بل وأمرت هذه الجيوش بالانسحاب من مواقعها في أكثر من جبهة، ومنعت من القتال في أكثر من معركة أو موقع.

وعليه فإن مقولة أن الدول العربية حاربت في عام ١٩٤٨ تنكشف أمام هذا الواقع الذي يظلم الجيوش العربية أولاً ثم الشعوب العربية ثانياً لأن إرادة القتال وقرار القتال كانا معطلين لدى القيادات السياسية وبالذات من قبل قائد الجيش الأردني جلوب باشا الذي كان ظاهرياً قائداً للجيش العربي وفي الواقع كان ينفذ تعليمات بلده بريطانيا في التقسيم وفي تمكين اليهود من المكاسب العسكرية والجغرافية وفق رغبة وخطط بريطانيا، كما أن عقيدة أي ملك (على عهدة السيد كمال أدهم) - مدير المخابرات السعودية السابق وصهر الملك فيصل ومستشاره - هي المحافظة على الملك والأسرة وبقاء العرش واستمرار توارثه بسهولة ابناً عن أب وذلك هو ضمان الاستقرار الملكي[2].

---

(١) وليد الخالدي - فلسطين وصراعنا مع الصهيونية وإسرائيل - ص ٥٩.

(٢) محمد حسنين هيكل - عام من الأزمات - ص ٤٤٤.

الفصل الثالث

الكونت برنادوت ١٨٩٥-١٩٤٨:

هو الكونت فولك برنادوت سليل العائلة الملكية في السويد، ترأس الصليب الأحمر السويدي واختارته الأمم المتحدة في مايو - أيار ١٩٤٨ ليكون أوّل وسيط دوليّ بين العرب واليهود واستطاع أن يحقق الهدنة الأولى في فلسطين في ١٩٤٨/٦/١١ كما تمكن من الدعوة إلى مفاوضات رودس التي جرت نهاية عام ١٩٤٨.

كان برنادوت متفهماً للقضية العربية وغير منحاز لليهود، وضع عدة اقتراحات لتعديل قرار التقسيم ليكون أكثر ملائمة وعدلاً للطرفين وكان من أهم التعديلات التي وضعها:

١- ينشأ في فلسطين التي كانت قائمة أيام الانتداب عام ١٩٢٢ اتحاد من عضوين أحدهما عربي والآخر يهودي.
٢- إجراء مفاوضات لتخطيط الحدود بين العضوين.
٣- تحديد الهجرة بطاقة كل عضو على الاستيعاب.
٤- بقاء القدس بأكملها تحت السيادة العربية وتجريدها من السلاح.
٥- إضافة النقب للدولة العربية لضمان ممر بري آمن بين الأردن ومصر، وإضافة يافا والجليل الغربي للدولة اليهودية.
٦- الحق للعرب الفلسطينيين بالعودة واسترجاع أملاكهم التي تركوها دون شروط.

وضع برنادوت تقريره في ١٩٤٨/٩/١٦ وتم اغتياله مساء اليوم التالي في ١٩٤٨/٩/١٧ من قبل العصابات الصهيونية شتيرن والأرغون لأن اليهود لم تناسبهم التعديلات المتواضعة في تثبيت جزء من حق الفلسطينيين في بلادهم كاملة لهم، بل أرادوا وما زالوا يطمحون في ابتلاع كامل الأرض العربية من الفرات إلى النيل.

وهكذا قامت إسرائيل، وهكذا كان الحاجز الذي أرادته بريطانيا بين مصر وسوريا في مكانه وبطريقة مؤلمة وربما أن الملك عبد الله عبر عن ذلك بصراحة محزنة حين قال أمام إلياهو ساسون وموشي دايان إن أهل الشمال (سوريا) تفرقوا وأهل الجنوب (مصر) تمرغت جباههم في التراب.

وهكذا فإن حلم نابليون القديم الذي دعا إليه عام ١٧٩٩ قد تحقق عندما وجه نداءً ليهود العالم لاستيطان فلسطين بعد فشله في اقتحام أسوار عكا وكذلك تحقق حلم بالمرستون ولويد جورج وونستون تشرشل وحلم الإمبراطورية البريطانية، المفعم بالأحلام والأحقاد الصليبية وزرعت إسرائيل وطناً فاصلاً بين الشمال السوري والجنوب المصري وانقسم العالم العربي إلى نصفين وانفصلت آسيا العربية عن إفريقيا العربية بجدارٍ يقف مانعاً يتصدى لفعل التاريخ ويصد تياراته المتجددة[١].

إلى أن يأذن الله بموعد الآخرة كما جاء في كتابه الكريم: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا ﴾ ومن أصدق من الله قيلا... ومن أصدق من الله حديثاً.



(١) محمد حسنين هيكل- المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل- الكتاب الأول- ص٣٠٦.

الجزء الثالث

الحروب الصليبية

قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَـٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [البقرة الآية ١٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَـٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾ [البقرة الآية ١٠٩].

وقال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة الآية ١٠٥].

وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْـَٔايَـٰتِ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [آل عمران الآية ١١٨].

وقال تعالى: ﴿إِن تَمْسَسْكُمْ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكُمْ سَيِّئَةٌ يَفْرَحُوا۟ بِهَا ۖ﴾ [آل عمران الآية رقم ١٢٠].

وقال الرسول ﷺ: "تكاد تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها".

بالإضافة إلى العداء الصليبي الديني للمسلمين، ولما أحرزوه من فتوحات عالمية في غضون سنوات محدودة ومع انتشار الدعوة الإسلامية فقد تعددت أسباب الحروب الصليبية والتي تعتبر بحق أنها ما زالت مستمرة حتى الآن.

الفصل الأول

الإعداد والبدايات:

هناك من يعتقد ووفق الشائع أن الحروب الصليبية في العصور الوسطى انبثقت بعد الخطبة التي ألقاها البابا أوربان الثاني (١٠٨٩-١٠٩٩م) أمام حشود المستمعين من الكهنة والفرسان وعامة الناس في سهل أفيرن في كليرمونت في مقاطعة برغنديا الواقعة في جنوب فرنسا في ١٠٩٥/١١/٢٧ التي دعا فيها إلى إطلاق الحملة الصليبية، إذ شكلت تلك الحملات حدثاً حاسماً في تاريخ المشرق العربي والإسلامي، بل في الصراع العالمي على النفوذ في الشرق الأوسط، والحقيقة أن أول دعوة باباوية لحملة صليبية كانت عام ٨٤٦ م عندما قامت حملة بحرية قوامها ٧٣ سفينة تحمل عشرة آلاف رجل بالإبحار من صقلية الخاضعة لحكم المسلمين آنذاك عبر نهر التيبر ومهاجمة روما واستولت خلال وقت قصير على أوستيا وبورتو ونهبت كاتدرائية القديس بطرس في روما وكاتدرائية القديس بولس على الضفة اليمنى لنهر التيبر، عندها وجه المجمع الكنسي في سنودس في فرنسا نداءً إلى الملوك المسيحيين لحشد قواهم ضد أعداء المسيح، وعرض البابا الرابع (ليو الرابع) جائزة سماوية لمن يموتون وهم يقاتلون المسلمين، وقد رسّخت الكنيسة الاعتقاد بأن رحلات الحج هي طريق الخلاص من الذنوب، حيث تزايد إقبال المسيحيين على المشاركة في الحروب الصليبية، كما تولى الراهب بطرس الناسك التحريض المتواصل، وهو راهب أميان حيث هجر الدير بتكليف من البابا أوربان الثاني لكي يقوم بالدعوة إلى الحملة الصليبية فراح يتجول في أنحاء شمال شرق فرنسا واللورين داعياً إلى حملة البابا واستقطب بمظهره الرث وحماره الأعرج وفصاحته الفقراء في كل مكان.

وكانت هناك جذور أخرى للحروب الصليبية تشكلت بعد هزيمة البيـــزنطيين أمام السلاجقة بقيادة السلطان ألب أرسلان في معركة مانزكرت عـــام ١٠٧١م، والتي أثارت حمية العالم المسيحي الغربي للدفاع عن الإمبراطورية البيزنطية والتصدي للسلاجقة على البوابة الشرقية لأوروبا، حيث تمكن العثمانيون السلاجقة من هزيمة البيزنطيين وأسر الإمبراطور رومانوس الرابع.

كما يرى البعض أن الحروب الصليبية كانت امتداداً لحروب الغرب الأوروبي ضد المسلمين في الأندلس، ويرى البعض أن الحروب الصليبية كانـــت ردة الفعـــل لأوروبا الغربية أمام حركة الجهاد والفتوح الإسلامية بعد وصـــول المـــسلمين إلى إسبانيا والحدود الجنوبية لفرنسا بعد معركة بلاط الشهداء عام ٧٣٢م بقيادة الشهيد عبد الرحمن الغافقي، ويلاحظ أن الدعوة للحروب الصليبية في الحالة الأولى عـــام ٨٤٦م وفي الحالة الثانية عام ١٠٩٥م كانت انطلاقاً من فرنسا الكاثوليكية.

وقد درج المؤرخون على اعتماد ثماني حملات صليبية هي:

١- أربع حملات توجهت إلى بلاد الشام والأراضي المقدسة وهي الحملات الأولى والثانية والثالثة والسادسة، وكانت في الـــسنوات ١٠٩٧، ١١٤٥، ١١٩١، ١٢٢٨م.

٢- حملتان توجهتا إلى مصر هما الحملة الخامسة عام ١٢١٣- ١٢٢١م والسابعة عام ١٢٤٨م (كانت طلائع الحملة الخامسة من المجر والحملة السابعة بقيادة لويس التاسع الفرنسي الذي هزم أمام المسلمين في معركة المنصورة حيث تم أسره في دار ابن لقمان وكان قائد الجيش المسلم ركن الدين بيبرس).

٣- وواحدة توجهت إلى القسطنطينية هي الحملة الرابعة، وكانت عام ١٢٠٤ م.

٤- والحملة الثامنة نزلت في إفريقيا (في تونس عام ١٢٧٠).

وهناك حملة الأطفال عام ١٢١٢م التي انتهت بسقوط زهاء ثلاثين ألف طفل بين أسير وقتيل.

وأرى من وجهة نظري أنّ هناك حملتين إضافيتين هما الحملة التاسعة بقيادة الجنرال أللنبي الذي احتل القدس في ١١/١٢/١٩١٧، وأكد حينها بنفسه علناً أن دخوله القدس هو نهاية الحروب الصليبية.

والحملة العاشرة عندما قامت أوروبا بزراعة إسرائيل بشكل دائم في قلب العالم العربي لتقسيم العالم العربي والإسلامي من جهة ولتكون مخلب قط متقدم لحماية المصالح الغربية في المشرق العربي الإسلامي.

أسباب الحروب الصليبية:

١) الحقد الصليبي على المسلمين بما يمثلونه من دين جديد جاء ناسخاً للديانات السابقة ومهيمناً عليها.

٢) النظام الإقطاعي الغربي، الذي كان يتكون من الملوك والفرسان ورجال الكنيسة والأَقنان عبيد الأرض حيث ظن عبيد الأرض والأَقنان أن الحروب الصليبية ستوفر لهم ملاذاً أفضل مما هم فيه لاسيما أن المشرق هو أرض اللبن والعسل، حيث كانت أغلبية المجتمعات الأوروبية تعيش حالات الفقر والعبودية والذل والهوان، فرأى هؤلاء أن المشاركة في الحروب ستكون وسيلة الخلاص من الحالة التي يعيشونها وأن أي نتيجة بعد الحملة لن تكون أسوأ مما هم فيه.

٣) رغبة المدن الإيطالية مثل جنوه وبيزا والبندقية في الحصول على أكبر قدر من المكاسب المالية من خلال اشتراكها في الحروب الصليبية والسيطرة على تجارة الشرق المتوسط.

٤) رغبة ملوك الغرب الأوروبي في تكوين أملاك لهم في الشرق.

٥) الرغبة في إخضاع الأماكن المقدسة واستعادة القبر المقدس في فلسطين للسيطرة المسيحية وإبعاد السيادة الإسلامية عنها ضمانا لانسياب طريق الحج المسيحي إليها وحماية المسيحيين في المشرق، ولعل هذا السبب المعلن كان خداعاً وتمويهاً

لتشجيع الصليبيين على الانضمام للحملات الصليبية إذ لو كان هذا الادعاء صحيحاً فلماذا توجهت بعض الحملات الصليبية إلى مصر وتوجهت الحملة الثامنة إلى تونس ولا يوجد في أي منهما مقدسات مسيحية؟!

٦) الرغبة في تنصير مسلمي الشرق وتحويلهم عن دينهم الحنيف.

٧) ضعف المسلمين سواء في الخلافة العباسية في بغداد أم في الخلافة الفاطمية في القاهرة وحدوث النزاع بين الخلافتين وتوسع السلاجقة على حساب الإمبراطورية البيزنطية عام ١٠٧١ وتمكن السلطان السلجوقي ألب أرسلان من هزيمة الإمبراطور البيزنطي رومانوس الرابع في معركة مانزكرت، وكانت كنيسة روما هي المحركة الفعلية للأحداث من خلال عدد من البابوات البارزين في مقدمتهم البابا أُوربان الثاني ١٠٨٩- ١٠٩٩م الذي عقد مجمعاً كنسياً في مدينة كلير مونت في فرنسا حث فيها المسيحيين على غزو الشرق واستعادة الأماكن المسيحية المقدسة من المسلمين وإنقاذ المسيحيين الشرقيين من أيدي المسلمين.

٨) إخضاع أراضي المسلمين ومياهها ونهب خيراتها ومواردها نهباً منظماً على حساب أبنائها الأصليين تحت شعار الصليب.

٩) تمثل الحقد الصليبي على المسلمين في أن أرناط رينالد أمير الكرك قام بحملة غادرة على الحجاز عام ١١٨٣ بهدف نبش قبر النبي ﷺ ونقل رفاته (كما كان يعتقد) إلى الأردن حيث مركزه في الكرك إلا أن تلك الحملة فشلت للحماية الإلهية لرسوله الكريم ثم يقظة الأسطول الأيوبي بقيادة حسام الدين لؤلؤ، وكانت نهاية أرناط رينالد على يد صلاح الدين الذي قتله في ١١٨٧/٤/٧[(١)].

١٠) التنافس الاستعماري الصليبي بين كل من بريطانيا وفرنسا التي أرادت كل منهما الحصة الأكبر من الغنائم في الشرق.

---

(١) دكتور محمد مؤنس عوض - الحروب الصليبية - ص ٢٨.

١١) الصراع الداخلي في أوروبا وانقسامها إلى معسكرين واحد مع اليهود يـــرى ضرورة عودة اليهود إلى أرض فلسطين تمهيداً لظهور المـــسيح (البروتـــستانت) وآخر ضد اليهود يرى ضرورة وضع حد لسيطرة اليهـــود وفـــرض قيـــود على حركتهم وأنشطتهم انتهت بطردهم من أوروبا (وكان الكاثوليـــك إلى هذا الجانب).

١٢) كان من الأسباب الرئيسة للحروب الصليبية ردة فعل الدول الأوروبية لاستعادة الأراضي التي فتحها المسلمون في بداية عهد الفتح الإسلامي، وســـقطت مـــن أيدي المسيحيين سواء في سوريا وفلسطين ومصر، وهـــذا يفـــسر أن معظـــم الحملات الصليبية توجهت إلى كل من سوريا وفلسطين ومصر وإلى إسبانيا في وقت لاحق من الحروب الصليبية، حيث تمكن الصليبيون من استعادة إســـبانيا والبرتغال وصقليه فيما فشلوا في استعادة سوريا وفلسطين ومصر.

عوامل نجاح الحملات الصليبية:

١- وحدة جميع مسيحيي أوروبا وتكتلهم أمام هدف واحد وعـــدو واحـــد هـــو المسلمون، فقد تدفق الصليبيون من إيطاليا وبريطانيا وفرنسا وألمانيـــا والنـــرويج والبرتغال واسكندنافيا واتحدوا مع صليبيي بيزنطة وحملوا حملـــة واحـــدة علـــى المسلمين، ففي كليكيه تحالف الأرمن مع بلدوين الثالث ضد المسلمين لتقطيـــع أوصال الدولة النورية، فعندما اختار نور الدين محمود مهاجمة حصن حارم التابع لإمارة أنطاكية تحالف الصليبيون باختلاف مذاهبهم، فقد تحالف بوهيموند الثالث أمير أنطاكية وريموند الثالث كونت طرابلس وقسطنطين كولومان حاكم كليكيه البيزنطي والأمير الأرمني ثوروس الثاني ورينولد سانت فاليري حاكم حارم وترك الجميع خلافاقم من أجل القضاء على نور الدين محمود.

٢- في المقابل، أمام وحدة الصليبيين نجد بدلاً من توحد المسلمين وتكاتفهم أمـــام عدوهم الفرقة والصراعات المحلية بينهم وتبلور الصراع كالعادة على الحكـــم

والسلطة بين الأخوة والأعمام وأبناء الأعمام تماماً كما حدث مع ملوك الطوائف في الأندلس:

أ) فكان النزاع محتدما بين ياغي سيان التركماني حاكم أَنطاكية ورضوان أمير حلب.

ب) وكان هناك نزاعٌ آخر بين الأخوين رضوان ودقاق أمير دمشق.

ج) وكان هناك الصراع بين الأخوين السلطانين بركيا روق ومحمد عام ١١٠٣ والذي استغله بلدوين الثاني صاحب الرها ليتوسع على حسابهم ويقطع الطريق بين حلب والفرات، وكادت خطته تنجح لولا إتحاد المسلمين مرة أخرى بقيادة حكرمش أتابك الموصل وسلمان الأرتقي صاحب ماردين وديار بكر اللذين تصديا لبلدوين الثاني في معركة البلخ أو حران[١]، وقد عرف بلدوين الثاني كيف يستغل الخلافات بين المسلمين ويغذيها لمصلحته، ووجد في دبيس بن صدقة خير معين له في الوقوف في وجه صاحب حلب وإجباره على إطلاق سراح من لديه من الرهائن الصليبيين، فبذل له المال ووعده بإعطائه ملك حلب، وقد أظهر هذا الملك براعة في تفريق المسلمين وضرب الشيعة بالسنة، والعرب بالأتراك لإضعافهم جميعاً وحرص على أن يؤلف جبهة إسلامية تحت قيادته ضد تمرتاش وانضم لتلك الجبهة سلطان شاه بن رضوان الذي عزله الأراتقة عن حكم حلب وهو يطالب في العودة إلى حكمها ومعه طغرل آرسلان أخو السلطان مسعود سلطان سلاجقة الروم في آسيا الصغرى الذي طرده أمراء دنشمند من آسيا الصغرى[٢].

---

(١) تاريخ الحروب الصليبية - حروب الفرنجة في المشرق - أ.د/ محمد سهير طقوش - ص١٩٥ - ١٩٦.

(٢) تاريخ الحروب الصليبية - حروب الفرنجة في المشرق - أ.د/ محمد سهير طقوش - ص٢٥٥.

د) وكان هناك الصراع بين السلاجقة والفاطميين، إذ كان الأفضل بن بدر الجمالي صاحب السلطة الفعلية في مصر، وعندما علم بأن الصليبيين اشتبكوا مع الأتراك السلاجقة المعادين للدولة الفاطمية فكر في عقد تحالف معهم، فأرسل سفارة اجتمعت بزعمائهم أمام أَنطاكيه في كانون الثاني ١٠٩٨م، وعرض عليهم من خلال تلك السفارة مشروعاً للتحالف تضمن البنود التالية:

- ينفرد الصليبيون بحكم أنطاكية وشمال بلاد الشام.

- تحتفظ مصر ببيت المقدس وجنوبي بلاد الشام.

- يسمح للصليبيين بزيارة الأماكن المقدسة في فلسطين وتكون لهم الحرية الكاملة في أداء شعائرهم على ألا تزيد مدة إقامتهم فيها عن شهر واحد وألا يدخلوها بسيوفهم.

- يتعاون الطرفان في القضاء على السلاجقة.

هـ) أما الدولة العباسية فقد خضعت لسيطرة السلاجقة العظام ثم سلاجقة العراق، وقد تدهور نفوذ العباسيين وتفككت دولتهم عندما دبَّ النزاع بين أمرائهم حول الاستئثار بالنفوذ والسلطان.

و) أما دولة السلاجقة فقد انقسمت إلى عدة دول سيطرت عليها النزاعات الداخلية هي:

١ - سلطنة سلاجقة إيران.

٢ - سلطنة سلاجقة خراسان.

٣ - سلطنة سلاجقة الشام، وهذه بدورها انقسمت إلى:

أ - سلطنة حلب.

ب - سلطنة دمشق.

٤ - سلطنة سلاجقة الروم في آسيا الصغرى.

ز) وفي بانياس قام زعيم الحشيشية الباطنية في بلاد الشام خليفة بهرام الداعي إسماعيل العجمي، بتسليم بانياس للملك الصليبي مقابل الحصول على صور[1] كما قام الحشيشية بالتفاهم مع الصليبيين وأرسلوا سفارة للصلح معهم لمواجهة المماليك.

ح) وفي حلب قام الأمير العربي دبيس بن صدقه بتحريض الملك الصليبي على مهاجمة حلب تحت ذريعة أن أهلها شيعة وأن أهلها يميلون إليه مذهبياً وأضاف متى رأوني سلموا البلد لي[2].

ط) وفي صور وبعد أن تولى المأمون البطائحي الوزارة في مصر بعد وفاة الأفضل عام ١١٢٥م أراد أن يستعيد السيطرة الفاطمية على صور فقبض على واليها سيف الدولة مسعود، ذلك القائد المسلم الشجاع المهاب الجانب من قبل الصليبيين، وكان القبض عليه بحجة كثرة الشكايات بحقه من أهل المدينة، وعين مكانه عليها وحشي بن طلائع، وكان ذلك العزل لسيف الدولة فأل شؤم على صور، إذ إن الصليبيين استلموا صور لقمة سائغة وأتاح لهم الفرصة ثانية لمهاجمتها والاستيلاء عليها كونهم كانوا يهابون سيف الدولة لشهامته وشجاعته ولمعرفته بالحرب ومكائدها[3].

ي) وفي مصر تحالف الناصر يوسف الأيوبي مع الصليبيين بقيادة لويس التاسع حيث التقى الجيش المملوكي في العباسة في الدلتا عام ١٢٥١م بقيادة عز الدين أيبك، فهزمهم المماليك وهرب الناصر يوسف من المعركة وراح يلتمس المساعدة من الصليبيين عارضاً عليهم بيت المقدس مقابل مساعدته في استعادة مصر.

---

(١) تاريخ الحروب الصليبية- حروب الفرنجة في المشرق- أ.د/ محمد سهير طقوش- ص٢٥٩.

(٢) تاريخ الحروب الصليبية- حروب الفرنجة في المشرق- أ.د/ محمد سهير طقوش- ص٢٥٤-٢٥٥.

(٣) تاريخ الحروب الصليبية- حروب الفرنجة في المشرق- أ.د/ محمد سهير طقوش- ص٢٥٠.

ك) وفي سنجار تحالف أميرها عز الدين مسعود مع الصليبيين وحثهم على مهاجمة صلاح الدين ليشغله عن إمارته.

ل) وفي مصر تحالف الفاطميون أيضاً مع الحشيشية في بلاد الشام الذي أبدى زعيمها رشيد الدين سنان استعداده لإرسال فدائيين لاغتيال صلاح الدين، وقد أرسل الحشيشية جماعة لاغتيال صلاح الدين الأيوبي ووصلوا بالفعل إلى خيمته إلا أنهم اكتشفوا وانفضح أمرهم.

م) وفى الدولة العباسية أدت الخلافات بين قائد الجيش في عهد الخليفة العباسي المستعصم (وهو أبيك الروانده الصغير) الذي كان سنياً مع وزير الخليفة العباسي مؤيد الدين العلقمي الذي كان شيعياً إلى اضطراب الأوضاع في الدولة العباسية مما حدا بالوزير العلقمي إلى مراسلة المغول وإطماعهم في ملك بغداد.

ن) ومن أوجه الصراع بين المسلمين الذي ساعد على تفتيت وهزيمة المسلمين أمام الصليبيين الصراع بين الملك الأيوبي الكامل محمد وبين الناصر داوود ابن المعظم عيسى الذي كان يسيطر على دمشق والسلطان جلال الدين الخوارزمي **إذ عمد الملك الأيوبي الكامل محمد حينها إلى عرض الصلح على الملك فردريك الثاني فكان من أهم شروطه تسليم بيت المقدس دون قتال للصليبيين، وعلى ضوء ذلك دخل الإمبراطور فردريك الثاني مدينة القدس في ١٢٢٩/٣/١٧ وبلغ من الملك الكامل محمد تملقاً وتزلفاً للإمبراطور الصليبي أن أصدر أوامره لمؤذن المسجد الأقصى بعدم إقامة الأذان تعظيماً للإمبراطور الصليبي الذي (الإمبراطور) استهجن ذلك ورفضه**[1].

ص) بعد قيام الناصر داوود الأيوبي بتحرير بيت المقدس من الصليبيين للمرة الثانية في ١٢٣٩/١٢/٧، جاء الصالح إسماعيل ومنحها ثانية للصليبيين عام ١٢٤٠

(١) تاريخ الحروب الصليبية- حروب الفرنجة في المشرق- أ.د/ محمد سهير طقوش- ص٦٠٣.

بسبب استمرار الصراع بين الأمراء والملوك الأيوبيين، المظفر تقي الدين الثاني صاحب حماة، وأسد الدين شيركوه الثاني صاحب حمص، والصالح إسماعيل صاحب دمشق، وضيفة خاتون الوصية على الحكم في حلب.

٣- تعاون الجاليات المسيحية المحلية مع الصليبيين وبالذات موارنة لبنان والأرمن والسريان في منطقة الفرات وأنطاكية، وكشف خطط المسلمين للصليبيين ومساهمتهم في محاربة وقتل المسلمين مع الصليبيين، حيث قام السريان في حلب وحارم، والأرمن في أنطاكية بكشف خطط المسلمين العسكرية للصليبيين الداخلين إلى أنطاكية كما قاموا بمساعدتهم في قتل المسلمين[١]، وفى صيدا كان حاكمها المسلم قد أعد خطة عسكرية لاغتيال بلدوين الأول الذي كان يحاصر المدينة ويهددها بمساعدة المقاتلين النرويجيين بقيادة سيجورد، إلا أن المسيحيين الوطنيين كشفوا الخطة لبلدوين الأول الذي اعتقل الشخص المكلف بالخطة وأعدمه فوراً[٢]، وفي فلسطين فإن الأدلاء المسيحيين اللبنانيين ساعدوا الصليبيين في الوصول إلى بيت المقدس قادمين من طرابلس عبر القلمون وأنف الحجر والبترون وجبيل[٣]، وفي طرابلس نفسها فإن المسيحيين الوطنيين ساعدوا الصليبيين بقيادة ريموند في حربهم ضد المسلمين في الجبال وداخل طرابلس نفسها[٤]، وفي مصر ساعد الأقباط جيش لويس التاسع في عبور بحر أشموم عن طريق مخاضة سلمون ففاجأوا المعسكر الأيوبي بقيادة فخر الدين يوسف.

وقد كرر الأرمن محاولة غدرهم بالمسلمين في الرها عندما تحالفوا مع جوسلين الثاني لتشجيعه على دخول الرها والغدر بالمسلمين حيث تحالف الجميع (الأرمن،

---

(١) تاريخ الحروب الصليبية- حروب الفرنجة في المشرق- أ.د/ محمد سهير طقوش- ص١٠٦.

(٢) تاريخ الحروب الصليبية- حروب الفرنجة في المشرق- أ.د/ محمد سهير طقوش- ص١٤٩.

(٣) تاريخ الحروب الصليبية- حروب الفرنجة في المشرق- أ.د/ محمد سهير طقوش- ص١٢١.

(٤) تاريخ الحروب الصليبية- حروب الفرنجة في المشرق- أ.د/ محمد سهير طقوش- ص١٧١.

جوسلين الثاني، وبلدوين حاكم مرعش وكيسوم)، إلا أن نور الدين محمود جهز جيشاً كبيراً لحق بالمهاجمين ووضعهم بين فكي كماشة (نور الدين وجيشه من الخارج والحامية داخل القلعة من الداخل).

وفي المقابل فإن المسلمين لم يعرفوا طعم الانتصار إلا بعد أن فطنوا إلى ضرورة الوحدة ضد الخصم الصليبي القادم من البلاد البعيدة، فاتحد الفاطميون في الجنوب المصري بقيادة الحاكم الفاطمي الأفضل مع المسلمين في الشمال السوري بقيادة طغتكين واتفقا على القتال المشترك ضد الصليبيين مما أرهب الملك الصليبي بلدوين الثاني، كما فطن القائد البطل عماد الدين زنكي إلى الخطر الصليبي وضرورة توحيد الإمارات الإسلامية تحت قيادته الذي استرد من الصليبيين أول إمارة أسسوها في بلاد المشرق الإسلامي وهي إمارة الرها، كما أن إنقاذ دمشق من الخطر الصليبي في الحملة الصليبية الثانية جاء ثمرة التحالف الإسلامي الذي تحقق آنذاك بين دمشق وحلب والموصل وأن الدور الذي شغله نور الدين محمود في حماية دمشق والدفاع عنها كان تمهيداً لسياسته التي استهدفت ضم دمشق إلى حلب مدركاً أن وحدة بلاد الشام لا تكتمل إلا بضم دمشق إليها ولهذا سعى جاهداً لضم دمشق، كما تحالف الظاهر بيبرس مع السلاجقة والقبيلة الذهبية في روسيا والإمبراطور البيزنطي لمقاتلة الصليبيين في الشرق.

وهكذا ما اتحد المسلمون شمالاً وجنوباً إلا وكان الانتصار حليفهم ابتداءً من شرف الدين مودود وايلغازي وأقسنقر البرسقي مروراً بعماد الدين زنكي وانتهاءً بصلاح الدين الأيوبي، حيث كان الفتح الأول في كانون الأول عام ١١٤٤م عندما استعاد عماد الدين زنكي إمارة الرها من الصليبيين ثم كان الفتح الأكبر الثاني على يد صلاح الدين الأيوبي في معركة حطين عام ١١٨٧م.

٤- تفكك دولة السلاجقة بعد وفاة السلطان ملكشاه عام ١٠٩٢ بفعل الصراع على السلطة ونشوب الحرب الأهلية بين أبنائه ثم بينهم وبين عمهم تاج الدين تتش حاكم دمشق.

ويذكر أن الأُخوين من الأُسرة الفاطمية شاور وضرغام تصارعا سياسياً فبحث كل منهما عن نصير فوجد شاور حليفه في نور الدين محمود سيد حلب ودمشق ووجد ضرغام حليفه في عموري ملك مملكة القدس[1]، بل إن ضرغام وافق على دفع الجزية للمملكة الصليبية ووافق على دخول مصر في حماية الصليبيين.

في هذه الأجواء من الصراعات والانقسامات بين المسلمين سواء قبل بداية الحملات الصليبية أو أثنائها أو بعدها، تقدم الصليبيون في أولى حملاتهم واحتلوا الرها عام ١٠٩٨م. التي كانت أول إمارة صليبية في المشرق الإسلامي، وكانت في الحقيقة حاجزاً يقي الإمارات الصليبية من أخطار المسلمين، وتوسعت الإمارة على جانبي الفرات من راوندان وعنتاب غرباً إلى مشارف حران شرقاً ومن بهسني وكيسوم شمالاً إلى منبج جنوباً.

الأحقاد والأطماع الصليبية:

لقد كان الاستعمار الصليبي الخصم العنيد اللدود للإسلام وكتابه ونبيه وأتباعه إلا أنّه من المحزن بالرغم من أن الإسلام يكافح في جبهتين مختلفتين ضد الصليبية الحاقدة والصهيونية الطامعة أن يفتحوا عليه جبهة داخلية ليحولوه عن أعدائه الحقيقيين من صليبيين وصهيونيين ويُشغلوا المسلمين في صراع داخلي ويغرس الأعداء بذرة الصراع الطائفي بين المسلمين فيخلدوا هم إلى الراحة والسكينة بينما يطحن المسلمون بعضهم بعضاً بأموالهم وأرواحهم ودمائهم ودسائس الأعداء، فيأتي هؤلاء لقطف ثمار اقتتال المسلمين ويقسموا ثرواتهم ويستعمروا بلادهم ويحاربوا دينهم.

---

(١) د. محمد مؤنس عوض- الحروب الصليبية- ص ٢٤-٤٩.

ومن الجدير ذكره أن شاور انقلب على نور الدين محمود وتحالف مع الصليبيين لمحاربة نور الدين محمود وإخراج قائده أسد الدين شيركوه من مصر (تاريخ الحروب الصليبية)- حروب الفرنجة في المشرق- أ.د/ محمد سهير طقوش- ص ٣٩١.

إنه الاستعمار، أحقاد وأطماع ولن تقوم للمسلمين قائمة إلا إذا إنبرينا وتصدينا له وآثرنا ديننا وأُمتنا على مصالح الأسر والعائلات الحاكمة التي في الواقع جاء بها الاستعمار الصليبي ليعزز موطئ أقدامه في بلادنا.

لقد كان الاستعمار سابقاً وفي العصور الوسطى حتى القرن العشرين عسكرياً أما وقد فطن المستعمرون إلى مخاطر الاستعمار العسكري، فتحوّلوا إلى الاستعمار السياسي الذي يتمثل في الإتيان بزعماء دمى في أيدي الاستعمار ممن يخدمون الاستعمار ضد مصالح شعوبهم وكما يريد الاستعمار المهم أنهم باقون في الحكم هم وأسرهم ينهبون ويسلبون خيرات الشعوب، ومن أشكال الاستعمار والغزو الحديث ما أصبح يتعارف عليه حديثاً بـ(الحرب الناعمة) متمثلةً في السيطرة على مقاليد الأمور في البلاد الضحية من ذلك السيطرة على وسائل الإعلام والمنظمات الطلابية والاجتماعية والمهنية والطائفية والعرقية وتحريكها كلها أو بعضها لإثارة القلاقل في المجتمع وقتما يشاؤون لضمان استمرار سيطرتهم على مقاليد الأمور وضمان استقرار مصالحهم.

وأخيراً لعب الاستعمار على وتر الإسلام بتأسيس المنظمات المتأسلمة التي ظاهرها الإسلام والتمسك به وفي حقيقتها منظمات تم تضليل أفرادها فتواطأ قادتها مع الاستعمار والحكام ذوي المصالح الأسرية والإقليمية لاستغلالهم أسوأ استغلال.

فالخطط الصليبية والاستعمارية هي جر الدول العربية كلها إلى جانب الاستعمار الغربي بالقوة العسكرية سابقاً وبالقوتين العسكرية والناعمة حديثاً كي تعمل في حقله وتقاتل تحت لوائه، هذا الاستعمار الصليبي الحاقد هو واهب فلسطين لليهود، وهو كاسر جناح المسلمين في لبنان والحبشة والصومال والبوسنة والهرسك وتركستان وميانمار وإريتريا بالرغم من أنهم يمثلون الأغلبية في تلك البلدان.

إن الصليبيين وأعداء هذه الأمة يعرفون طبيعة الإسلام، ويرصدون تاريخه القديم والحديث بعين ذئب جائع، يهاجم حيث يتمكن وتسنح له الفرصة، من كل فج وسمع لعوائه طنين رهيب!!.

إن تعاون أوروبا وأميركا على استغلالنا واستذلالنا ليس إلا عوداً على بدء واستئنافاً للضيم القديم وكل قوة تفل شوكتهم فهي مقدورة مشكورة سواء أكانت عربية أم أعجمية سنية أم شيعية غربية أم شرقية مؤمنة بديننا أم غير مؤمنة به المهم كسر شوكة الاستعمار أياً كانت اليد والوسيلة سواء جاءت من روسيا أو كوريا أو الصين أو إيران وغيرها من دول العالم، فمن يساعدنا ضد أعدائنا هو صديقنا وحليفنا حتى وإن كانت له مصالحه وحساباته الخاصة.

ألم يذهب الرسول محمد ﷺ إلى الطائف المشركة لطلب الدعم؟

وألم يطلب الرسول ﷺ الإجارة من مطعم بن عدي في مكة وهو مشرك؟

فكيف إذا كان الحليف مؤمناً بالحق والعدل مع إيمانه بربه ودينه ونبينا؟

إنها الصليبية والماسونية (النورانية) الحاقدة على ترامي الأزمان والأَعصار.

أَلا نرى أنهم من شدة حقدهم على الإسلام والمسلمين يهادنون الوثنيين والشيوعيين وعبدة النار وعبدة البقر وعبدة بوذا ولا يهادنون الإسلام!!

ألا نرى ونلمس صغر الفجوة بل انعدامها أحياناً بين الشيوعية واليهودية والرأسمالية والهندوكية والبوذية، إنهم متفقون دوماً على تهميش المسلمين ومجمعون على قتلهم وإلهائهم وتهديد وجودهم، ألا نرى أن العداوة للإسلام والمسلمين هي القاسم المشترك الأعظم الذي يجمع هذه الملل والنحل المختلفة لمحاربة الإسلام والمسلمين؟

الإسلام هو عدوهم اللدود، بل إنهم يحرضون كافة أتباع الملالي والثقافات في كافة أنحاء العالم على قتل المسلمين ويتواطؤون معهم، في حين أن قتل غير المسلم ولو كان بسبب شرعي أو قانوني على يد عربي أو مسلم تقوم له الدنيا ولا تقعد وتثور ثائرتهم على الإسلام (الإرهابي).

وفى المقابل، فإن الدول العربية اتخذت من هؤلاء الأعداء أصدقاء وحلفاء بالرغم من تحذيرات القرآن والإسلام الواضحة بالحذر منهم، وبدلاً من معاداهم أو حتى الحذر منهم وعدم مصادقتهم فإنهم اتخذوا من إيران المسلمة عدوا لدوداً تفننوا في حربها والدعاية ضدها وضد ما اعتبروه أطماعها بكافة الوسائل!!

متجاهلين الآيات الصريحة في القرآن الكريم: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

ترى ما هي مصلحة المسلمين لدى بعض أمراء العرب في اعتبار إيران المسلمة وحماس وحزب الله ومعهم قطر دولاً أو مجموعات إرهابية وتستبعد إسرائيل من ذلك؟ وما هي مصلحة العرب وبعض دول الخليج في مهادنة إسرائيل ومعاداة إيران وقطر وحماس[1]؟.

انطلاق الحملات الصليبية:

* سقوط أنطاكيا:

تحركت القوات الصليبية من معرة النعمان في ١٠٩٩/١/١٣ وانطلقت ناحية الجنوب مستهدفة احتلال بلاد الشام حتى وصلت إلى القدس وبدأت الحملات الصليبية على امتداد الفترة ١٠٩٥- ١٢٩١ فنُظِّمَت ثماني حملات صليبية، وقام الصليبيون بحصار أنطاكيا عام ١٠٩٥، ومع سقوط المدينة تمكن الصليبيون من دخول فلسطين من طرق مختلفة مستفيدين من البؤر المسيحية في البلاد التي تعاون بعضها مع الصليبيين لاسيما موارنة لبنان[2] والأرمن والسريان[3] حيث وصلوا القدس.

---

(١) كان الأمير محمد بن سلمان قد صرح لصحيفة اتلانتيك يوم ٢٠١٨/٤/٢ بأن إيران وقطر والإخوان المسلمين هم محور الشر أما إسرائيل فبينها وبين دول الخليج مصالح كثيرة كما صرح لنفس الصحيفة بان للإسرائيليين الحق في إقامة دولة على أرضهم في فلسطين.

(٢) دكتور محمد مؤنس عوض - الحروب الصليبية - ص ٤٤.

(٣) تاريخ الحروب الصليبية - حروب الفرنجة في المشرق - أ.د/ محمد سـاهود طقوش - ص٩٥، ص١٠٣، ص١٠٦.

* **سقوط بيت المقدس:**

وصل الصليبيون إلى بيت المقدس في ١٠٩٩/٦/٧م وتولى الدفاع عنها الحاكم الفاطمي افتخار الدولة وحامية قوية من عساكر عربية وسودانية فاتخذ الحاكم الفاطمي إجراءات لحمايتها:

١- طمر ما يقع خارج المدينة من آبار.

٢- ساق قطعان الماشية إلى أماكن آمنة.

٣- ملأ مخازنه بالمؤن وصهاريجه بالمياه.

٤- طرد المسيحيين خارج المدينة.

٥- تقوية التحصينات والتأكد من سلامة الأسوار ودعمها بأكياس مملوءة بالقطن.

٦- أرسل سفارة لطلب النجدة من مصر.

إلا أن النجدة لم تصل، وفى المقابل فإن الصليبيين هم الذين وصلتهم سفن النجدة ففي ١٠٩٩/٦/١٧ جاءت سفينتان جنويتان حيث أفرغت السفينتان حمولتهما إلى البر وسط مناوشات مع الفاطميين القادمين من عسقلان وقد حوصرت القدس لمدة شهر حتى ليلة ١٠٩٩/٧/١٤، فاقتحمها الصليبيون في ١٠٩٩/٧/١٥ وارتكبوا مجزرتهم المعروفة التي قتل فيها زهاء ثمانين ألف مسلم.



الفصل الثالث

تحالف الأسر الحاكمة في مصر والشام مع الصليبيين وصراع الأسر يفت من عضد المسلمين ويقوي أعداءهم عليهم:

أثناء حصار الصليبيين لأنطاكيا، قدم للصليبيين المحاصرين للمدينة سفارة من وفد للفاطميين تعرض على الغزاة التحالف معهم طالما أن العدو السلجوقي واحد وأن يتم تقسيم بلاد الشام بين الجانبين[١] ويذكر الكاتب د. محمد مؤنس عوض أن حكام الأَتابكيات في بلاد الشام والجزيرة خشوا المجاهد المسلم شرف الدين مودود الذي حاصر الرها وتمكن من الانتصار على المملكة الصليبية في معركة الأُقحوانه عام ١١١٣، ويذكر د. مؤنس أيضاً أن حكام الأَتابكيات خشوا من انتصار شرف الدين مودود على الصليبيين بما يؤدي إلى تدعيم مكانته واختلال التوازنات ضدهم فعملوا على قتله والتخلص منه على يد الحشاشين[٢].

وكأن التاريخ يعيد نفسه، فها هي بعض الأسر الحاكمة في الخليج وبعض الدول العربية تتعاون جهاراً نهاراً مع إسرائيل والولايات المتحدة ضد سوريا واليمن وإيران وبدلاً من محاربة إسرائيل صادقوها وأرسلوا مرتزقتهم لتدمير سوريا وتحالفوا مع إسرائيل والمرتزقة في حلف واحد إلى حد أن أميراً بحرينياً أعلن صراحة حق إسرائيل في الدفاع عن نفسها ضد الفلسطينيين، وأن أميرا عربياً أخر هدد بنقل المعركة إلى قلب إيران بدلاً من أن ينقلها إلى قلب إسرائيل!!.

(١) د. محمد مؤنس عوض - الحروب الصليبية - ص ١٨.

(٢) د. محمد مؤنس عوض - الحروب الصليبية - ص ٢٢-٢٣.

الفصل الرابع

فتك الصليبيين بالمسلمين/ مذابح بريطانيا وفرنسا في المسلمين:

في كافة مراحل التعليم الأساسي والثانوي درسنا أن الأتراك أعدموا عشرات من الثوار العرب، ولم يدرسونا أن بعض هؤلاء الثوار كانوا على اتصال مع السفارة الفرنسية ومع الإنجليز ضد أوطانهم وضد المسلمين أنفسهم وإن كانوا الأتراك.

ولم يدرسونا أن السفارة الفرنسية في بيروت هي التي سربت أسماء الوطنيين العرب للأتراك كي يتم اعتقالهم وإعدامهم وبالتالي تتخلص فرنسا منهم من جهة وتزيد في حنق العرب على الأتراك من جهة أخرى، ولم يدرسونا أن بريطانيا أعدمت وقتلت المئات في فلسطين ولم يدرسونا أن فرنسا قتلت ثمانين ألف مسلم في مدغشقر لأن شعبها ثار طالباً للحرية والاستقلال بعد الحرب العالمية الثانية، ودرسونا أن الثورة الفرنسية هي العدل والإخاء والمساواة، ولم يدرسونا شيئاً عن مذابحها في الجزائر وغرب أفريقيا وقتل نابليون لثلاثة آلاف أسير من أسرى بلاد الشام بعد فشله في حملته على عكا، ولم يدرسونا أن فرنسا عملت وما زالت تعمل على طمس الهوية العربية والإسلامية في الجزائر، بل وتشجع الانتماء القومي (العرقي) والتراث والثقافة الخاصة بالأقليات والتي من شأنها تفتيت المسلمين وإضعافهم، فشجعت الأمازيغ في المغرب العربي وقامت بتلميع الفرعونية في مصر والفرانكفونية في كافة الدول العربية والإسلامية التي من شأنها طمس الثقافة والهوية العربية الإسلامية، ومن تلك المذابح:

*** أولاً - بريطانيا:**

بريطانيا وما أدراك ما بريطانيا وما هو خبثها وغدرها بالعرب والمسلمين.

مذابح بريطانيا في كينيا:

١- **قامت بقتل عشرات الآلاف من المسلمين** من قبائل ماو ماو في كينيا لمجـــرد ثورتهم ومطالبتهم بالحرية والاستقلال.

وكعادتها الخبيثة في قلب الحقائق فقد أذاعت بريطانيا أن هناك وحوشاً بشرية تأكل الآدميين أجهزت على البشر.

وأنها وجهت قواتها لإبادة تلك الوحوش هكذا وبكل بساطة بريطانيا الحمـــل الوديع الذي ينقذ الشعوب من براثن الوحوش، "وهل من وحـــش في العـــالم دون بريطانيا وفرنسا ثم تبعتهما أميركا"؟

كما عملت بريطانيا على إبعاد المسلمين عن التمتع بالمناصب العليا، فحرمـــوا من أي منصب رفيع في كينيا بالرغم من أن نسبتهم تزيد عن ٤٠% من السكان.

٢- مذابح بريطانيا في أُوغندا:

أول ما قام به الإنجليز عند دخولهم أُوغندا هو عزلهم الحاكم المسلم ووضـــعوا قانوناً بأَلاّ يتولى الحكم إلا مسيحي.

٣- بريطانيا تتحالف مع فرنسا وإسرائيل ضد مصر:

ولا ننسى غارات الطائرات البريطانية التي وصلت إلى مائة غارة جوية في اليوم على بور سعيد بالإضافة إلى مدافع الأسطول البحري التي دكتها، لماذا؟ لأن الشعب المصري أراد أن يستعيد حقوقه في قناته وأعلن زعيمه جمال عبد الناصر تأميم القناة عام ١٩٥٦ لتعود القناة وإيرادات القناة لشعبها وليس لقوم غرباء يقيموا على بعد أكثر من خمسة آلاف كيلو متر بعيداً عنها.

٤- تنكيل بريطانيا بعرب فلسطين:

لقد مارست بريطانيا شتى وأفظع وسائل التعذيب ضد العرب الفلـــسطينيين دون أن يطبق أي منها ضد اليهود وكان من تلك الوسائل:

١) الزنزانة، وهي الحبس في مكان ضيق مع توفير كسرة من الخبز كطعام يومي.
٢) الضرب بكافة الوسائل بما في ذلك العصي والهراوات.
٣) الإرهاب النفسي بإشهار السلاح فوق الرؤوس والإيحاء للضحية بنية القتل.
٤) الزجاج والمسامير وإرغام الضحايا على السير فوقها.
٥) التعليق على خشبة - خازوق - ويربطون في رجليه أثقالاً حتى يغمى عليه.
٦) ربط إبهام القدم بسلك حديدي وشده حتى تكاد تقطع الإبهام.
٧) ربط الأعضاء التناسلية بحبال وأسلاك ثم يتم شدها حتى يتم إغماء الضحية أو قطع أعضائه.
٨) تقطيع الأَظافر والشعر ونتفه.
٩) صب الماء في الجوف حتى ينتفخ كالقربة ويزداد أَلماً.
١٠) الكي بالنار وإحماء أسياخ الحديد ثم يتم النخس بأطرافه بتلك الأسياخ.
١١) التعذيب بالكهرباء.
١٢) الفعل الشنيع الشاذ.
١٣) سلخ قدمي الضحية وصب الزيت المغلي عليها.
١٤) نسف الرجال بالديناميت كما حصل في قرية الزير.
١٥) الإلقاء في المياه أو البحر حتى يشرف على الغرق ثم يعترف.
١٦) المسكرات والمخدرات وكانوا يجرعونها للقرويين بالقوة كما جرى مع رفاق الشهيد فرحان السعدي.
١٧) إشراك اليهود في تعذيبهم وإذلالهم وكان من الضباط الإنجليز المشاركين والمشهورين في التعذيب ركز - ربنصون - صوفي اليهودي.
١٨) الضرب والإذلال والقتل ونسف البيوت أثناء حملات التفتيش.
١٩) التجويع والتعطيش إلى درجة إجبار الضحايا على شرب بولهم.
٢٠) وضع الضحايا في الكلس المصفى ثم صب الماء عليه حيث تهترئ أجسامهم من فعل النار.

٢١) انتقاء عدد من الشباب بالقرعة وقتلهم أمام أهليهم كوسائل للتأديب العام.
٢٢) منع التجول لساعات طويلة تصل إلى ٢٢ ساعة يومياً ولمدة أيام وأشهر.

٥ - التحريض البريطاني على الوقيعة بين المسلمين:

جون فيلبي وفلسطين ١٨٨٥-١٩٦٠:

كان جون فيلبي ضابطاً سياسياً تابعاً لحكومة الهند، وفى عام ١٩١٥ أرسل في بعثة إنجليزية إلى البصرة لإعادة التنظيم الإداري للمنطقة سيما بعد انسحاب الأتراك وسحب كافة المستندات معهم.

ذهب إلى الرياض عام ١٩١٧ وأعلن إسلامه عام ١٩٣٠، حيث عمل مستشاراً للملك عبد العزيز آل سعود وهو الذي أسس الأخوان وهي القوة الضاربة في جيش عبد العزيز بن سعود سمى نفسه بالشيخ عبد الله، وكان له دورٌ محوريٌّ في إزاحة الدولة العثمانية عن المشرق العربي، وعن الجزيرة العربية والعراق وسوريا وشرق الأردن بشكل خاص.

كلف فيلبي لأن يكون مركز اتصال بين حاكم الرياض والإحساء، وقد وضع فيلبي مخططاً حاز على موافقة تشرشل، وهو يقضي بأن يتولى الملك عبد العزيز آل سعود زعامة البلدان العربية مقابل ترحيل العرب في فلسطين عن بلادهم وإعلان فلسطين كلها وطناً قومياً لليهود وأما حول مصير العرب المهجرين عن بلادهم فيوضع مبلغ عشرين مليون جنيه إسترليني تحت تصرف الملك السعودي كي يعمل على إعادة توطينهم.

ويتحدث الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل في كتابه العربي التائه[1] عن مخطوطات كتبها جون فيلبي وموجهاً خطاباته إلى بيرسي كوكس المقيم البريطاني العام في منطقة الخليج.

---

(١) محمد حسنين هيكل - العربي التائه - ٢٠٠١ - ص ٢٣٢ - ٢٣٤.

وكان تكليف فيلبي "بتوجيه عبد العزيز آل سعود لمهاجمة أمير حائل الموالي للأتراك المسلمين حتى تنكشف القوة العثمانية في نجد ثم العمل على منع عبد العزيز آل سعود من مهاجمة الهاشميين والشريف حسين وأبنائه في مكة، لأَن هؤلاء الهاشميين الحلفاء لبريطانيا سوف يقومون بثورة العرب ضد الأتراك، معتمدين على ولاءات وتحالفات وصداقات لهم في الشام تحمل الثورة ضد الخلافة إلى قرب معقلها الداخلي في تركيا.

يقول فيلبي في أول سطر من خطابه "إنني كتبت بالقلم الرصاص لأني لم أجد غيره في بلاد لم تصل إليها بعد أدوات المدنية الحديثة" ثم يستطرد فيلبي: "ابن سعود رجل يحتاج إلى صداقة بريطانيا وتأييدها حتى يستطيع أن يساعد أهدافها ومطالبها، ومع العلم أن أول ما يحتاج إليه السلاح والمال، والحقيقة أن المال له عنده اعتبار كبير لإيمانه بأن حصوله عليه وعطاياه منه لأنصاره هو المبرر لسياسته أمام هؤلاء الأنصار حتى يقبلوا العمل مع الأجانب (الإنجليز) ضد المسلمين - دولة الخلافة - وهذه مسألة حساسة جداً.

ويقول فيلبي بالنص: طبقاً للقرآن فلا ينبغي أن يكون هناك قتال بين أحباء المسلمين أي الوهابيين (هكذا يقول فيلبي) وبين المسيحيين لأنهم من أهل كتاب، والتسامح معهم توجيه من الله، أما قتال المسلمين الأخيار وجهادهم فلا يكون إلا مع المشركين والكفار وأول الكفار المشركين هم الأتراك العثمانيون وأيضاً الأشراف الهاشميون وباختصار كل المحمديين عدا الوهابيين!!!.

ويضيف فليبي: ليس من شأننا تصحيح الخطأ في هذا الموضوع، **بل على العكس علينا تعميق كراهية ابن سعود لكل المسلمين من غير الوهابيين، فكلما زادت هذه الكراهية للجميع كلما كان ذلك متوافقاً أكثر مع مصالحنا، ويتابع فيلبي في خطابه:**

قدمت لابن سعود مبلغاً قدره خمس وعشرون ألف جنيه ذهباً حملتها معي بتكليف منكم وأفهمته أنها دفعة مقدمة لتمويل حملته ضد حائل، طلب ابن سعود الحصول على زيادة لأن مصاريفه كثيرة والكل يطلب الذهب" انتهى الكلام.

أجل هذه بريطانيا تشجع الفرقة والذبح بين المسلمين لتنفرد هي بعد ذلك بهم وتنهب خيراتهم ومقدراتهم، ولأن ذلك يتوافق مع مصالحها كما ذكر فليبـــي.

هذا ما فعلته عندما حرضت الهاشميين على الأتراك وتشجيع القومية العربية والإيحاء بالبلد العربي الموحد المستقل، وفعلت ذلك بتشجيع آل سعود ضد الكفار والمشركين والمنافقين (المسلمين الأتراك والمسلمين في حائل كما تراهم الوهابية)، وتفعله الآن بعد مائة عام مما فعلته في حائل وشرق الأردن وانقلبت الآية فبدلاً من تحريض العرب على الأتراك راحت تحرض المسلمين السنة على الشيعة وتحذر وتهول من الخطر الشيعي، إنه استعمار صليبي مستمر فهل من مدكر يا أمة العرب؟

٦ - تدخل بريطانيا في صناعة القرار العربي والتحكم في الزعماء الدمى:

أ. الجامعة العربية ودعم الإمارات:

يقول الأستاذ محمد حسنين هيكل في كتابه حرب الثلاثين سنة:

إن شاه إيران راح يشجع هجرة عناصر غير عربية إلى منطقة الخليج وأن مشاعر القلق عمت الجامعة العربية الأمر الذي حدا بها إلى التحوط لذلك فاتخذ مؤتمر القمة العربية الثاني - الإسكندرية ١٩٦٤- قراراً بضرورة دعم العلاقات العربية الأخوية في إمارات الخليج، وقرر المؤتمر إرسال بعثة عربية للمصالحة إلى إمارات ساحل عمان- أبو ظبي- الشارقة- دبي- عجمان- الفجيرة- أم القوين- رأس الخيمة - كما تم إنشاء صندوق عربي لمعونة إمارات الخليج تم من خلاله جمع مليون ونصف مليون جنيهاً إسترلينياً ساهمت بها بالتساوي مصر والكويت والعراق والسعودية.

أتدرون ماذا فعلت بريطانيا عندئذ؟

عملت بريطانيا كل جهدها لمنع وصول المعونة العربية وأرسلت جورج طومسون إلى المنطقة، وبدأت الأخبار ترد بأنه اجتمع بشيوخ الإمارات وأخطرهم (هددهم) بأن الحكومة البريطانية قررت إنشاء صندوق لمعونة إماراتهم وأن هذا الصندوق يتحتم أن يكون المصدر الوحيد لتوزيع المعونات وأن أي مساعدة عربية يجب أن تمر من خلال الصندوق البريطاني، هكذا تريد بريطانيا أن تكون الواسطة بين العرب أنفسهم!! - وعندما حاول بعض زعماء الإمارات أن يبينوا له أنهم لا يستطيعون رفض المساعدات العربية هددهم بالعزل إذا لم يخضعوا لمطالبه، وقامت الحكومة البريطانية بعزل حاكم الشارقة وحاصرت منازل الحكام الآخرين مهددة إياهم بالعزل[1].

ب. واحة البريمي:

ومن أشكال تدخل بريطانيا في صناعة القرار العربي وإذكاء الفتن بين الدول العربية قامت بتحريض سلطان عمان على احتلال واحة البريمي المتنازع عليها مع السعودية علماً أن القادة الإنجليز هم الذين كانوا يقودون الجيش العماني، وذلك نكاية بالسعودية بسبب توقيعها اتفاقية الدفاع المشترك مع مصر.

ومن أشكال التدخل السافر والهيمنة على صناعة القرار العربي لبريطانيا.

ج. محاصرة القصر الملكي المصري:

حادثة ٤ فبراير ١٩٤٢ حيث قام السفير البريطاني في القاهرة مايلز لامبسون الذي عرف لاحقاً باللورد كيرن (الذي منح اللقب مكافأة على خدماته للإمبراطورية) وقد قام السفير لامبسون يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ بتوجيه إنذار للملك فاروق نصه:

"إذا لم أعلم قبل الساعة السادسة من مساء اليوم أن مصطفى النحاس باشا دعي إلى تأليف الوزارة فإن الملك فاروق يتحمل تبعات ما يحدث.

---

(١) محمد حسنين هيكل - حرب الثلاثين سنة - الانفجار - ص ٢٥٤ -٢٥٦.

كانت إملاءات لامبسون على الملك فاروق تتكون من نصين:

أ. استدعاء النحاس باشا وتكليفه بالسرعة الممكنة بتأليف الوزارة.

ب. وثيقة تنازل عن العرش حال رفضه الانصياع لأوامر السفير البريطاني.

يقول لامبسون في مذكراته في الساعة التاسعة مساءً وصلت إلى قصر عابدين مصحوباً بالجنرال ستون ومعنا مجموعة منتقاة من الضباط يمثلون كل أسلحة القوات وكانوا مسلحين حتى الأسنان، في طريقنا للقصر مررنا ببقية قواتنا التي كانت تتقدم في الظلام متجهة إلى القصر لاستكمال حصاره، عند وصولنا صعدنا إلى الطابق الثاني ونحن نسمع أصوات الدبابات وهي تتخذ مواقعها حول القصر، وفي الطريق إلى مكتب الملك حاول كبير الأمناء سعيد ذو الفقار باشا أن يمنع الجنرال ستون من مرافقتي وقد أزحته جانباً ودخلت ومعي الجنرال ستون.

هذا هو إقرار السفير البريطاني في مصر، كيف فرض بقوة الدبابات التي حاصرت القصر ودخل على الملك عنوة وأجبره على قبول شروط بريطانيا بفرض رئيس وزراء عليه وإلا في حال عدم الانصياع فإنه سيرغم على التنازل عن العرش ويتم عزله[1].

٧ - مؤامرات بريطانيا ضد مسلمي الهند ومسارات أخرى للحروب الصليبية وارتدادهم:

مع انكفاء الصليبيين عن المشرق العربي والإسلامي وارتدادهم عنه، عملت أوروبا على البحث عن وسائل أخرى لضرب الإسلام فلما كان الصليبيون قد فشلوا في النفاذ من القلب اتجهوا إلى الأطراف.

---

(١) لمزيد من التفاصيل عن حادثة ١٩٤٢/٢/٤ يراجع في هذا الشأن سقوط نظام للكاتب الكبير محمد حسنين هيكل - ص ١٣ - ٨٣.

عام ١٤٩٢ اتجهوا إلى الأندلس وأَسقطوا دولة الأُمويين وبعد سقوط الأندلس بدأت إسبانيا والبرتغال البحث عن الطريق البحري إلى الشرق، فأكتشف كولمبس أميركا في حين أنه كان يبحث عن الشرق واكتشف فاسكوديا غاما الشرق مع أنه كان يبحث عن الغرب، حيث اجتاح دياغاما والبوكيرك ساحل شرق إفريقيا واستعانا ببحار عربي اسمه أحمد بن ماجد الذي كان قد كشف لهما سر الإبحار عبر الاستفادة من الرياح الموسمية.

وقد لا يعلم الكثير أن اكتشاف أميركا على يد كولمبوس جاء مصادفة غير مقصودة كان أساسها حملة صليبية غير مباشرة في محاولة من الصليبيين للبحث عن حليف في الهند الشرقية لضرب المسلمين وفي هذا السياق، نقتبس من حديث للمؤرخ العالمي هربرت فيشر، يقول فيشر:

"لا يمكن القول بأن الدافع لاكتشاف العالم الجديد لا يتعدى الرغبة في الحصول على التوابل والذهب، إذ اختلطت المشاعر الدينية بالمطامع الاقتصادية، ففي الفاتيكان كانت المشروعات التبشيرية تتناول العالم بأسره، وكانت مشروعات البرتغال وإسبانيا تثير أكبر قسط من الاهتمام، لا لأنها تفضي إلى تنصير الوثنيين فحسب، ولكنها أيضاً ستفضي إلى شن هجوم على المسلمين من ناحية الشرق".

كان المعروف أن نجاشي الحبشة مسيحي، وكان المعتقد أن بالهند دولة مسيحية يحكمها عاهل يلقب بالخان الأكبر، وكان يداعب أوروبا الكاثوليكية أمل كبير في أن تتلقى من هؤلاء الملوك الشرقيين مساعدة فعالة في حرب صليبية ضخمة أخيرة تشنها على المسلمين، تلك هي خطة الهند كما رسمها نقولا الخامس (بابا روما) منذ وقت مبكر يرجع إلى سنة ١٤٥٤م (أي بعد عام واحد من سقوط القسطنطينية بيد المسلمين العثمانيين) في مرسوم باباوي إلى ملك البرتغال، وفي هذا الجو المفعم بالآمال الكبار أقلع كولومبس ليكشف الطريق إلى الهند غرباً".

وليبدأ تنفيذ المخطط الاستعماري كما رسمه البابا نقولا الخامس، لكن القــدر لم يقد كولومبس إلى الهند كما كان يتصور بل قاده إلى أميركا وتأخر تنفيذ الخطة العتيدة إلى أن استولت أوروبا على الشرق الإسلامي وغير الإســلامي في القــرن التاسع عشر والقرن العشرين[1].

وهكذا سقطت دولة المغول في شبه القارة الهندية بنفس الطريقة التي سقطت بها دولة العرب المسلمين في الأندلس!

في الأندلس بثوا النـــزاعات بين الأخوة وأبناء العم فيما عرف بدول الطوائف ليقتل بعضهم بعضاً وينفرد بهم أعداؤهم وفي الهند حرض كلايف وهو فاتح الهند الإنجليزي زعماء الولايات لإنشاء جيش لكل زعيم لحماية نفسه وولايته، ثم استخدم كلايف هذا الجيش لمحاربة الولايات الأخرى وإسقاط حكامها المسلمين.

وهكذا انفرط عقد الحكام المغول المسلمين واحداً تلو الآخر، كما انفرط عقد حكام الطوائف في الأندلس.

كان كلايف يؤمن الأمير على عرشه وميزاته مقابل أن يتم استخدام جيشه في غزو الإمارات الأُخرى، وهكذا تعدد الأُمراء وتعددت جيوشهم وحصد بعضهم بعضاً وفي النهاية كان المستعمر الإنجليزي هو الكاسب الوحيد وكان المسلمون والهنود هم الخاسرين.

ونفس اللعبة تكررت مع زعماء العرب الهاشميين والسعوديين والخليجيين في العصر الحديث حيث تمكنت بريطانيا من العودة الصليبية إلى القلب بعد اختراقها للأطراف من الهند، أجل سقط الجناح الغربي للمسلمين في الأندلس وسقط الجناح الشرقي للمسلمين المغول في الهند وجاء الصليبيون مرة أخرى من الطرفين الغربي والشرقي لاحتلال بلادنا وتقسيمها بينهم.

---

(١) محمد الغزالي - مائة سؤال عن الإسلام - ص ٩٠ - ٩١.

ومع عجز إسبانيا والبرتغال عن تكملة طريق الغزو الاستعماري لبلاد المسلمين فقد تولت المهمة وتابعتها كل من فرنسا وبريطانيا وحتى اللحظة وتبعتهما أميركا بعد الحرب العالمية الثانية.

جاءت بريطانيا ووقعت اتفاقيات الحماية مع الملوك والشيوخ العرب التي كانت تنص في طياتها على أن تتولى بريطانيا حمايتهم من كيد الأعداء وحسد الأمراء.

لقد سلَّم هؤلاء الشيوخ والملوك كل شيء لبريطانيا أثناء الحرب العالمية الأولى وما قبلها وما بعدها وذلك بإبرام المعاهدات معها وإعطائها كل شيء مقابل ضمان الملك والحكم لهم ولأسرهم!! وهذا يكفيهم ولو داس الصليبيون أمة الإسلام ودينها.

وقد تكرر ذلك أيام السادات حينما سلّم في ١٩٧٣/١١/١١ لهنري كيسنجر كل شيء مقابل أن تتعهد أميركا بحمايته من أعدائه في الداخل والخارج[1].

وهكذا من فردناند وإيزابيلا في الأندلس إلى كلايف في الهند إلى لورنس في شرق الأردن إلى جون فيلبي في السعودية وإلى هنري كيسنجر في مصر، صراع على الحكم والعروش واستسلام للغازي المحتل وتسليم للبلاد والعباد وخيراتها مقابل ميزات شخصية فردية لبعض العائلات أو الأفراد... فهل من مدكر؟

٨ - مذبحة دير ياسين في فلسطين:

على مرأى ومسمع من القوات الإنجليزية في فلسطين، بعد معركة القسطل في إبريل ١٩٤٨ واستشهاد القائد الفلسطيني عبد القادر الحسيني في ١٩٤٨/٤/٨، قامت قوة مشتركة من الأرغون وشتيرن[2] باحتلال قرية دير ياسين، ولم تكن القرية مسلحة، بل كان بينها وبين القرية اليهودية المجاورة "غينات شاؤول" اتفاقية عدم

---

(١) محمد حسنين هيكل - عمر من الكتب - زيارة جديدة للتاريخ - ص ٢٧٧.

(٢) عصابات يهودية مسلحة كانت تقاتل العرب الفلسطينيين أثناء الانتداب البريطاني على فلسطين.

الاعتداء وحسن الجوار إلا أن اليهود نكثوا العهد وهجموا على القرية وذبحوا الشيوخ والنساء والأطفال وبقروا بطون الحوامل، وبلغ عدد القتلى الفلسطينيين المدنيين ٣٥٠ فلسطينياً.

٩ - مذبحة قبية ١٤ -١٥/١٠/١٩٥٣:

قبية قرية فلسطينية تقع بالقرب من القدس وكانت تخضع للسيطرة الأردنية في الفترة (بعد إنشاء دولة إسرائيل لغاية حرب ١٩٦٧) تعرضت لهجوم يهودي عليها أدى إلى استشهاد العشرات من أبنائها على يد اليهود الصهاينة وبمباركة وصمت القادة الإنجليز للجيش العربي الأردني ويروي المرحوم اللواء صادق الشرع في كتابه (حروبنا مع إسرائيل، معارك خاسرة وانتصارات ضائعة)، أن القائد الإنجليزي الزعيم إشتن أخفى عن الشرع هجوم اليهود على قبية ومذابحهم فيها وأنه لو أبلغه بذلك لكان بإمكانه الوصول إلى القرية والتدخل لوقف المذبحة وصد الهجوم خلال ساعة واحدة وكان مجموع الشهداء في تلك المذبحة تسعة وستون شهيداً جلهم من المدنيين[1].

كان قائد المجموعة اليهودية المهاجمة للقرية المنكوبة إرئيل - إريك شارون- قائد الوحدة ١٠١ الخاصة، الذي قام بهدم ٤٥ مترلاً، بالإضافة للضحايا الشهداء.

دستور بريطانيا نتاج للحروب الصليبية:

هناك من يقرر أن دستور إنجلترا يعد أثراً من الآثار الناجمة عن الحروب الصليبية لأن ريتشارد قلب الأسد عند عودته إلى إنجلترا طلب مرافقوه منه وضع دستور لتطوير البلاد لمواكبة المشرق وبعد أن تولى أخوه يوحنا الحكم ١١٩٩- ١٢١٦ قامت انتفاضة مطالبة بدستور جديد فتم وضع الماجناجارتا Magna Charta وكان في مقدمة الدستور أن الملك حامي العقيدة.

---

(١) صادق الشرع - حروبنا مع إسرائيل - ١٩٤٧ - ١٩٧٣ - ص ٣٢٦.

١٠ - قامت بريطانيا بتسليم الحكم في إريتريا بعد استقلالها إلى رئيس نصراني هو كاسيوس أفورقي بالرغم من أن نسبة السكان المسلمين تزيد عن ٦٥% من السكان.

*** ثانياً: مذابح فرنسا وتنكيلها بالمسلمين:**

١) مذابح القائد روفيجو في الجزائر:

قام القائد الفرنسي روفيجو بإرسال إحدى بطاريات جيشه الفرنسي إلى جامع القشاوة، لأنه كان أجمل مساجد الجزائر، وقام بتدميره في ١٨/١٢/١٨٣٢ وهاجم أبواب المسجد بالبلطات والفؤوس وقتلَ أربعة آلاف مسلم كانوا داخل المسجد بالسناكي فخروا بين شهيد وجريح حتى إذا صار الصباح وانتهى كل شيء تحول المسجد إلى كاتدرائية، وبعد جامع القشاوه توجه إلى مسجد القصبه.

وفي مذبحة أخرى من مذابح الجنرال روفيجو في الجزائر، جاء في أحد التقارير الرسمية. بناء على تعليمات الجنرال (الفرنسي) روفيجو، خرجت قوة من الجنود في مدينة الجزائر ليلة السادس من أَبريل سنة ١٨٣٢ وانقضّت قبيل الفجر على أفراد القبيلة وهم نيام تحت خيامهم فقتلتهم جميعا رجالاً ونساءً وأطفالاً وعاد الفرنسيون يرفعون رؤوس الضحايا على أسنة رماحهم وكتب مونياك في كتاب له أسماه (رسائل جندي)، يقول: (لقد كانت مذبحة شنيعة حقاً، كانت المساكن والخيام في الميادين والشوارع والأبنية التي انتشرت عليها الجثث في كل مكان وقد أحصينا في جو هادئ بعد الاستيلاء على المدينة عدد القتلى من النساء والأطفال فألفيناهم ٢٣٠٠ قتيل، أما عدد الجرحى فلا يكاد يذكر، لأننا لم نكن نترك جرحاهم على قيد الحياة...)[١].

٢) القس سوشيه الفرنسي في الجزائر:

القس سوشيه هو الوكيل العام لأسقف الجزائر لقد وضع هذا القس كتاباً عام ١٨٣٩ أَسماه رسائل مفيدة ومشوقة عن الجزائر وجه فيه الكلام إلى عاهل فرنسا،

(١) محمد الغزالي - الاستعمار أحقاد وأطماع - ص ٢٤-٢٥.

فقال إن مسيو فاليه رجل عميق التفكير ذو ضمير حي لا تنقصه الحيلة، إنه يحكم الجزائر كأكثر الملوك إطلاقا في الحكم، إنه الرجل الذي ليس لهذه المستعمرة غنى عنه إنه يرغب أن يثبت الدين المسيحي وأن يحترمه الجميع، إنه يريد أن يضاعف من عدد الصلبان والكنائس في الجزائر إن مولاي يستطيع أن يفعل ما يشاء، رجل مثل المسيو فاليه الذي اختار أجمل مسجد في قسطنطينية ليجعل منه أجمل كنيسة في المستعمرة.

وقد وقع الاختيار على القس سوشيه هذا ليكون راعيا للكنيسة التي كانت مسجداً وما أن أطلقت يداه ليعد لنفسه منبراً للوعظ فيها، استولى على منبر الرسول محمد ﷺ الذي أُتي به من مسجد يقال له المقدس وهو آية في النقش العربي، وعلى هذا المنبر النفيس وقف سكرتير الحاكم بوجو يقول إن آخر أيام الإسلام قد دنت وفي خلال عشرين عاماً لن يكون للجزائر إله غير المسيح، ونحن إذا أمكننا الشك في أن هذه الأرض تملكها فرنسا، فلا يمكننا أن نشك على أي حال أنها قد ضاعت من الإسلام إلى الأبد، أما العرب فلن يكونوا ملكاً لفرنسا إلا إذا أصبحوا جميعاً مسيحيين(1)، تلك هي الصليبية الفرنسية التي قادها لويس التاسع منذ سبعة قرون ثم قادها بعده نابليون في مصر وعكا، ثم قادها خلفاؤهم ضد الجزائر منذ عام ١٨٣٠ وصولاً إلى غورو في سوريا عام ١٩٢٠ عندما رفس بجزمته ضريح صلاح الدين الأيوبي قائلاً "ها قد عدنا يا صلاح الدين".

٣) القتل بأسلوب ابتدعوه أسموه جهنم:

كان لدى الفرنسيين طريقة للقتل أسموها جهنم كانوا يلاحقون أهل القرية مع ماشيتهم وأطفالهم فإذا ما لجأ هؤلاء إلى الكهوف قام الفرنسيون بسد أبواب الكهوف وإشعال النيران فيها ليقطعوا الطريق على من بداخلها من الهرب ثم يأتوا

---

(1) د. محمد الغزالي - الاستعمار أحقاد وأطماع - ص ٢٠.

في اليوم التالي ليتفقدوا آثار ونتيجة جرائمهم[1].

إنها الصليبية الحاقدة، إنها متأصلة في نفوسهم وليست محدثة سار عليها آباؤهم من قبل منذ مئات السنين.

٤) مذبحة الطراد الفرنسي ديجواي:

في ١٩٤٥/٥/٨ بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية تم تبادل إطلاق النار بين البوليس الفرنسي وبعض المتظاهرين أثناء عرض عسكري فرنسي احتفالاً بانتصار الحلفاء، إذ أقبل الطراد ديجواي تراون فأمطر مدينة خزاطه وابلا من قذائفه الثقيلة وقامت قوات الجيش بالحملات التأديبية وشنق الوطنيين الأحرار، ثم ماذا؟ جاءت الإحصاءات لتقول إن ٤٠٠٠٠[2] جزائري قتلوا في تلك المذبحة وقد أيد القنصل الأميركي ذلك ببيان من عنده وبعد ذلك يأتي القساوسة والمبشرون لاستضافة أبناء الشهداء وأطفالهم لتنصيرهم ويقولوا لهم في ملاجئ التبشير الله محبة وعلى الأرض السلام وللناس المسرة، وأن شعار الثورة الفرنسية كان قبل تلك المذبحة بمائة وخمسين عاماً هو الحرية والإخاء والمساواة!!! إنه الحقد الصليبي، ألم يقل المسيو جورج بيدو بأنه يجب ألا يُسمح للهلال أَن ينتصر على الصليب؟

ويقول أحد الكتاب الفرنسيين: وإقراراً للحق يتعين علينا أن نعترف نحن الفرنسيين بأن غزونا للجزائر اتخذ مظهر حرب صليبية، لقد كان بإمكان الأتراك العثمانيين إبادة الأقباط في مصر، وكان بإمكانهم إبادة نصارى الشام، ولكن ماذا فعلوا؟ حافظوا عليهم واستقل أَقباط مصر ونصارى الشام بل ويهود العالم الإسلامي قاطبة بتجارتهم وزادت أموالهم وزاحموا المسلمين في التجارة والوظائف معززين مكرمين وهم في معظم أحوالهم في حال أفضل من أحوال المسلمين في نفس بلدانهم.

(١) محمد الغزالي - الاستعمار أحقاد وأطماع - ص ٢٦.

(٢) محمد الغزالي - الاستعمار أحقاد وأطماع - ص ٣١.

٥) مذابح نابليون في مصر:

دخل نابليون مصر، وادعى اعتناقه الإسلام - وزعمَ أنه وجيشه جاؤوا ليردوا للشعب حقوقه المغتصبة، ولكن كيف كان ذلك؟

هب الجيش الفرنسي على قصور وأملاك المماليك ونهبها ثم أعلن عن نظام الفدية للمختبئين من النساء وعلية القوم، وبعد أن ظهر بعض هؤلاء افتدوا أنفسهم بالمال، كان الجيش الفرنسي يعيد اقتحام منازلهم بحجة البحث عن السلاح ومن أجل جولة جديدة من النهب والسرقة -ورد الحقوق كما يزعمون-، ثم ابتدع نابليون نظام السلفة على التجار المصريين ففرض عليهم خمسمائة ألف ريال تدفع سلفة وبعد دفع المبلغ المطلوب تطلب سلفة أخرى بالقوة وهكذا هي حماية الحقوق التي ادعوها..!!

وانطلت حيلة نابليون بإسلامه على كثير من المصريين بمن فيهم عدداً من رجال الأزهر ولكن على الجانب الآخر كان هناك من الوطنيين المصريين من لم تنطل عليه الحيلة أمثال محمد كريم والسيد عمر مكرم.

وعن تظاهره بالإسلام كتب نابليون في مذكراته حين علق على بيانه الشهير الذي أصدره في الإسكندرية وأعلن إسلامه بعد رسو سفينته (بأنه قطعة من الدجل لكنه دجل من أعلى طراز)[1].

٦) إعدام نابليون لأسرى بلاد الشام:

بعد حملته على مصر ومحاولته غزو فلسطين ومحاصرته لعكا، قام نابليون بإعدام ثلاثة آلاف أسير من أسرى بلاد الشام وأَبادهم عن بكرة أبيهم، كانت تلك المذبحة وشعار الثورة الفرنسية في الحرية والإخاء والمساواة لم يجف حبره بعد عشر سنوات من الثورة الفرنسية.

---

(١) بروتوكولات حكماء صهيون - هشام خضر - ص ٥ - ٦.

٧) الأطماع الفرنسية في لبنان:

لا يخفى علينا ما قامت به فرنسا من اقتطاع جبل لبنان من سوريا وجعلت منه بلدا مستقلاً منحت فيه كافة الصلاحيات السياسية والعسكرية والاقتصادية والتجارية والاجتماعية لموارنة لبنان وأعطت المسلمين من كافة المذاهب القشور الشكلية ولعل ذلك كان ترجمة وتطبيقا عملياً لنداء المسيو لامارتين، الذي وقف يتحدث في مجلس النواب الفرنسي قائلاً:

(إنه من الأولى لفرنسا أن تفكر في إقامة دولة مسيحية عند منابع الأردن شاملة لجبل لبنان بشرط أن تكون القدس عاصمتها، وإذا استطاعت فرنسا أن تفعل ذلك فإنه يكفيها ذلك مجداً وعظمة عن أي بقعة أخرى في الأرض).

إن بالمرستون يفكر في جمهورية يهودية ولكن فرنسا يتحتم عليها أن تسعى لإقامة مملكة مسيحية وعاصمتها القدس(١).

وإمعاناً من فرنسا في تنفيذ خطتها في خلق بلد مسيحي في لبنان وإضفاء السيطرة المسيحية المارونية عليه فقد عملت على تزوير نتيجة إحصاء سكان لبنان وأظهرت المسيحيين أكثرية - خلافاً للواقع - من أجل إعطائهم الحكم والميزات على المسلمين(٢).

٨) الهلال يغرق والصليب يرتفع:

إمعاناً من فرنسا بحقدها الأعمى على الإسلام والمسلمين، فقد قامت هيئة البريد الفرنسية، بعد احتلال الجزائر بإصدار طابع بريدي ظهر فيه الهلال الإسلامي، يسقط منحدراً إلى قاع البحر في حين أن الصليب يرتفع أعلى ليغمر بسناه الأفق(٣).

---

(١) محمد حسنين هيكل - المفاوضات السرية ١ - ص ٥٦.

(٢) محمد الغزالي - الأطماع الصليبية - أحقاد وأطماع - ص ٦.

(٣) محمود عبد الرحمن - التنصير والاستغلال السياسي - ص ١٤.

٩) **ديلسبس وقناة السويس:**

وفي القرن التاسع عشر، وبعد الانتهاء من حفر قناة السويس، صرح المهندس الفرنسي ديلسبس صاحب فكرة شق القناة في برقية منه إلى البابا قال فيها "إن الطريق إلى العالم الإسلامي أصبح ممهداً"[(1)].

تهويد وتنصير:

*** أشكال ممارسات قمع ومحاربة المستعمرين لبلاد المسلمين:**

عمل الاستعمار الصليبي البريطاني الفرنسي ومن قبلهما الإسباني على محاربة الإسلام وفتنة المسلمين عن دينهم بشتى الوسائل منها:

١) حرمان المسلمين من التعليم العام وعزلهم وراء سجن من القصور العقلي... وإلهائهم في أمور ثانوية في الدين كخلق القرآن من عدم خلقه، وحقيقة المهدي وإطالة اللحى وإطالة الثوب والموسيقى حلال أم حرام، وإذكاء الفتنة السياسية بين الشيعة والسنة وتحويلها إلى فتنة دينية.

٢) حرمان المسلمين من الوظائف الحكومية صغيرها وكبيرها وحرمانهم من التعليم مع توفير المنح العلمية للمسيحيين، وتشجيع بعض الأسر على تغيير دينها لتفوز بالمناصب كما حصل مع آل شهاب في لبنان الذين ارتدوا عن الإسلام[(2)] والزعيم نيلسون منديلا الذي كان من أُسرة تم تنصيرها بالقوة، وتقريب الأُسر المسيحية في مصر ومنحها الامتيازات كأُسرة مكرم عبيد وبطرس غالي في مصر الذي عُيِّن رئيساً لمحكمة دنشواي عام ١٩٠٦ وأصدر أحكاماً صارمة على المعارضين للاحتلال الإنجليزي لمصر، وقام إبراهيم الورداني باغتياله بعد ذلك عقاباً له لتواطئه مع الإنجليز ضد بلده وشعبه.

---

(١) محمود عبد الرحمن - التنصير والاستغلال السياسي - ص ١٤.

(٢) الرئيس اللبناني فؤاد شهاب كان من نفس العائلة التي ارتدت عن الإسلام إلى المارونية لتفوز بالمناصب.

٣) تشجيع المسلمين على الانضمام إلى الأحزاب العلمانية التي تبعد أعضاءَها عن الإسلام كحزب البعث وحزب الشعب أو الحزب الشيوعي والأحزاب القومية التي كان معظم مؤسسيها من النصارى، مع توفير الميزات لأعضاء هذه الأحزاب من تعليم ووظائف ومخصصات مالية.

٤) الإتيان بأسر حاكمة فاسدة لتبقى أداة طيعة بأيديهم وتنفيذ مخططاتهم.

٥) فتح المدارس والجامعات التبشيرية التنصيرية واستقطاب أبناء المسلمين إليها سيما أبناء النخبة من المسلمين لغرس الثقافة الغربية في نفوسهم وسلخهم عن أبناء جلدتهم ثقافياً واجتماعياً ليكونوا أكثر طوعاً بأيدي المستعمرين.

٦) تسليم الحكم والرئاسة في إريتريا للنصارى بعد استقلالها بالرغم من أن نسبة المسلمين فيها تزيد عن ٦٥% من السكان.

٧) تسليم الحكم والوظائف العالية للمسيحيين وحرمان المسلمين منها في تنزانيا.

٨) تسليم الحكم في السنغال للمسيحيين بالرغم من أن نسبة السكان المسلمين تصل إلى ٩٨% من السكان.

٩) التنصير المسلح.

*** ثالثاً: الحبشة:**

يعتبر حكام الحبشة نموذجاً للتنصير المسلح في شرق إفريقيا ووسطها

١- مذبحة مقاطعة ألقرافي:

بعد عام من عودة هيلاسيلاسي بعد أن أتم مبدئيا استئناف برامجه لتنصير المسلمين جاءت الهيئات التبشيرية السويدية بإيعاز منه إلى مقاطعة ألقرافي فحاول المسلمون بقيادة الشيخ عبد السلام شيخ المقاطعة منعهم من الدخول، فاتهمته السلطات الحبشية بأنه يبيت نية العدوان على المبشرين وزجت به في السجن، ومع انتشار الأهالي مطالبين بالإفراج عنه أمام بيت الحاكم الأمهري الذي أطلق العنان

لجنوده لمهاجمة المسلمين وقتلهم دون تمييز فقتل ٧٨ شهيداً منـــهم وكـــان انتقـــام هيلاسيلاسي بمصادرة ٢٥ ألف هكتار من أراضيهم وضمها للمبشرين.

٢- إبادة قبائل رايا:

كان ذلك عام ١٩٤٢ وكانت التهمة التعاون مع الإيطاليين عام ١٩٣٥ وهي تهمة لفقت لهم افتراء لتبرير قتلهم حيث شاركت الطائرات في مهاجمتهم بالإضافة إلى الجنود ونهبت الأراضي وشتتت طلاب العلم.

وكان الهدف من تلك الحملة القضاء على الممالك الإسلامية في الحبـــشة وتم قتل أكثر من خمسة وتسعين مسلماً معظمهم من النساء والأطفال والـــشيوخ مـــع نسف بيوتهم والاستيلاء على أراضيهم.

٣- مذبحة كمباشا:

بعد عثور السلطات الأثيوبية على جثة جندي قتل من قبل مجهول أرسلت مائة جندي إلى نفس القرية حيث وجد القتيل وقتلوا انتقاماً ثمانين فرداً من أبناء القريـــة ونهبوا أملاكها ومواشيها.

٤- إحراق قرية جرسم:

قامت القوات الأثيوبية بجمع السكان في أكواخ القصب والحشيش وجمع كل ٢٠-٣٠ نفر في الكوخ الواحد ثم أضرمت النيران فيها[1].

وقتلت أكثر من خمسمائة مدني والذريعة أن بعض المقاومين لجؤوا إلى الغابات لمقاومة الظلم الحكومي ضد المسلمين ومن ضمن ذلك ابتزازهم بالضرائب والأموال وإجبار نسائهم على أن تعجن كل امرأة (شوال) طحين وتقدمه للجيش الذي كان يمتهن كرامتهن.

---

(١) نفس أسلوب جهنم الذي اتبعته القوات الفرنسية في الجزائر.

٥- تدمير قرية بحوا:

جردت الحكومة حملتها على القرية لرفض المسلمين العمل في مزارع الحكـــام بدون أجرة وأصدر الإمبراطور أوامره بإبادة القرية وأهلها وزج الآلاف من أهلـــها في السجون.

٦- مأساة هرر:

وفي حلقة أخرى من حلقات مقاومة الظلم والاضطهاد ومطالبتهم بالمـــساواة مع المسيحيين هبت السلطات ضد سكان هرر وأعملت فيهم قتلاً وتنكيلاً وتـــدميراً لبيوقم ومصادرة ثرواهم وأملاكهم وماشيتهم واعتقلت الآلاف، كان ذلـــك عـــام ١٩٤٧ عندما أرسل هيلاسيلاسي ثلاثة ألوية من الجيش اقتحمت المدينة قتلت وفهبت وسلبت وهتكت أعراضاً وصادرت المتاجر والمزارع، واعتقلت الآلاف وتم الاستيلاء على أوقاف المسلمين وضمّها للكنائس واستمرت هذه الفظائع لمدة سبعة أشهر[١].

٧- قتل أربعين مسلماً في عرقبا:

قامت السلطات الأثيوبية عام ١٩٤٩ بقتل أكثر من أربعين مسلماً بسبب النـــزاع على أراضي زراعية بين المسلمين والمسيحيين فانتقمت منهم السلطات شر انتقام.

ولا يخفى علينا المذابح التي ارتكبتها الحبشة بالمـــسلمين في إقلـــيم أُوجـــادين الصومالي الذي استولت عليه بالقوة بمساعدة بريطانيا وفرنسا فامتـــدت مـــذابح الحبشة بالمسلمين إلى قبائل جفجفا عام ١٩٥٠ وقبيلة عيسى عام ١٩٥٦ وقرية قبر دهر عام ١٩٥٩[٢].

---

(١) الاستعمار أحقاد وأطماع - ص ٤٤ - محمد الغزالي.

(٢) لمزيد من التفاصيل عن مذابح الحبشة بمسلمي أوجادين الصومالي تابع الاستعمار أحقـــاد وأطماع- د. محمد الغزالي- ص ٥٣- ٥٥ بالإضافة إلى أن الكتاب يشمل ملخصاً وافياً عن جرائم بريطانيا وفرنسا والحبشة بالمسلمين بوجه خاص وجرائم الصليبيين بوجه عام.

* **رابعاً: مذابح البرتغال بالمسلمين:**

كتب القائد البرتغالي البوكيرك الذي ذهب لاحتلال جوا الهندية إلى مليكه قائلاً: ... وبعد ذلك أحرقت المدينة -جوا- وأعملت السيف في كل الرقاب وأخذت دماء المسلمين تراق أياماً عدة حيثما وجدت لم نوفر منهم نفساً فكنا نملأ بهم مساجدهم ونشعل النار فيها حتى أحصينا ستة آلاف روح هلكت وقد كان ذلك عملاً عظيماً يا سيدي!!!

مذابح إسبانيا بالمسلمين:

محاكم التفتيش:

بعد سقوط الأندلس عام ١٤٩٢ على يد الملك فرناندس وزوجته إيزابيلا انقلب الإسبان على عهدهم للمسلمين، فقتلوا وعذبوا وشرّدوا المسلمين وصادروا أموالهم، وقد اتخذت تلك المحاكم وسائل عدة في التعذيب كان منها:

١) الإعدام والقتل حرقاً حيث تم حرق ٢٠٠ مسلم دفعة واحدة في الساحة الرئيسة بتهمة مقاومة المسيحية لمجرد الاعتراض على تحويل مسجد غرناطة إلى كنيسة.

٢) الحرق على أعواد الحطب وهم أحياء وعلى مرأى ومسمع عامة الناس.

٣) الإلقاء في الماء المغلي لتنسلخ أجسادهم كما ينسلخ الدجاج المسلوق حياً.

٤) الإلقاء بهم من المرتفعات الجبلية، أو في البحر ليترك الضحية إلى مصيره في البحر إمّا أن يغرق ويموت غرقاً أو ينجو إلى الطرف الآخر من البحر إن كان به قوة على ذلك، وبالطبع كان ذلك مستحيلاً من الناحية العملية والجسمية.

٥) إجبارهم على شرب الخمر وأكل لحم الخنزير ليتم التأكد من تحولهم إلى المسيحية.

٦) الكي بالحديد المحمي بالنار.

٧) نزع الأَظافر والشعر.

٨) تقطيع أثداء النساء وألسن الرجال والنساء بالكلابات.

٩) التعليق من الأصابع.

١٠) الإخصاء.

١١) وضع الملح على الجروح ليزداد ألماً وتعذيباً.

*** خامساً: مذابح الصليبيين في بيت المقدس وفلسطين:**

ما إن دخلت القوة الصليبية مدينة القدس حتى استباحوها ولبثوا أسبوعاً في المدينة يقتلون المسلمين، وقد التجأ بعض الأهالي إلى المسجد الأقصى ظناً منهم أن القوات الصليبية ترعى حرمة المساجد غير أن تلك القوات لاحقتهم واقتحمت عليهم المسجد بعد مقاومة شديدة وأعملت بهم السيف حتى غاص الصليبيون بخيولهم في الدم الذي وصل إلى ركبهم وسروج خيولهم وقُدِّرَ عدد الشهداء بين سبعين إلى مائة ألف شهيد وتناثرت الجثث في كل شوارع المدينة وميادينها.

وقام الصليبيون بعمليات سلب واسعة للمدينة وأخذوا من مسجد الصخرة المشرفة أكثر من ٢٠٤٠ قنديل فضة و١٥٠ قنديلاً صغيراً و٢٣ قنديلاً من الذهب وقنديل فضة يزن ٤٠ رطل من أرطال الشام وعمدوا إلى سلب أموال المسلمين وتغيير معالم المدينة وحولوا قبة الصخرة إلى كنيسة أسموها كنيسة السيد ووضعوا فوقها صليباً كبيراً.

وفى قيسارية اجتمع بعض الأهالي في جامع المدينة لكن الصليبيين لاحقوهم وذبحوهم داخل المسجد عن آخرهم ثم ربطوا أرجلهم بالحبال وسحلوهم أمام المسلمين وهم يرددون "هذا محمدكم، هذا عليّكم".

*** ريتشارد قلب الأسد وقتل الأسرى المسلمين:**

ونستشهد هنا بما كتبه ستيفن رنيسمان في الجزء الثالث من تاريخ الحروب الصليبية، بعد شرح رنيسمان مناورات ريتشارد قلب الأسد وتعنت مفاوضيه، قال: (أضحى ريتشارد حريصاً على أن يغادر عكا وأن يزحف إلى بيت المقدس، وصار

الأسرى المسلمون مصدر حيرة له، ثم انشرح صدره للخلاص منهم بعـــد أن دبـــر اعتذاراً رآه مقبولاً، قال: إن صلاح الدين نقض عهده معه ومن أجل ذلك فقد أمر بالإجهاز على ٢٧٠٠ أسير من الأسرى المسلمين الذين بقوا على قيد الحياة مـــن حامية عكا، وأضاف: "... واشتد حماس عساكره للقيام بهذه المجزرة، وحمـــدوا الله في جزلٍ وسرور").

وفي المقابل لندع هذا المشهد الدموي الصليبي ولننتقل مع ستيفن رنيسمان إلى مشهد آخر ذكره في الجزء الثاني من كتابه: (بعدما انتصر صلاح الدين في حطـــين "... وقبل صلاح الدين أن يضع شروط الصلح فعرض بأن بوسع كل مسيحي أن يفتدي نفسه على أساس عشرة دنانير للرجل، وخمسة دنانير للمرأة، ودينار للطفل" ثم قبل صلاح الدين فداء عشرين ألفاً من الفقراء بمبلغ مائة ألف فقط، وعاد وأطلق سراح ٧٠٠٠ أسير مقابل ٣٠٠٠٠ دينار فقط).

*** سادساً: مذابح الغرب في البلقان:**

وفي البلقان بعد انسحاب العثمانيين منها قام الصرب بقتل آلاف المسلمين مـــن النساء والأطفال الذين لجؤوا إلى الجوامع وقاموا بإحراق المسلمين أحياءً وألقوا بهم في النهر مكتوفي الأَيدي وكذلك فعل اليونان في القرى المسلمة، ولا يفوتنـــا مـــذابح الصرب في سبرينيتشا في شهر يوليو (١٩٩٥/٧) إذ قام الصرب بإعدام ٨٣٧٣ من الأطفال والنساء والرجال بالإضافة إلى تهجير آلاف آخرين معظمهم من المـــدنيين المسلمين لا لسبب إلا لأنهم مسلمون.

*** سابعاً: مذابح بلجيكا بمسلمي الكونغو:**

يذكر الكاتب محمود عبد الرحمن[1] أن وزير المستعمرات البلجيكية -رنكين- وزع عام ١٩٢٠ على البعثات التنصيرية البلجيكية وثيقة، وقد كانت هذه الوثيقة

---

(١) محمود عبد الرحمن- التنصير والاستغلال السياسي- ص٣.

سرية في حينها، رغم أن الملك ليو بولد الثاني ملك بلجيكا بــين ١٨٨٠-١٩١٨ أحرق كافة الوثائق قبل وفاته بفترة قصيرة وذكرت تلك الوثيقة أن الملك ليو بولد مارس الإرهاب وقتل في مواطني الكونغو فسقط منهم بين خمسة إلى عشرة ملايين من الأفارقة أكثرهم من المسلمين.

وقد عبر الكاتب الأميركي مارك توين عن سخريته من ذلــك قــائلاً: إن دم الضحايا الأبرياء الذي أَراقه الملك ليو بولد في الكونغو لوصُبَّ في دلاء وُصفَّتَ تلك الدلاء لامتدَّ الصف ألفي ميل[١]!!



(١) محمود عبد الرحمن- التنصير والاستغلال السياسي- ص ٣١.

الفصل الخامس

الإرهاب الصليبي الغربي

يتحدث الغرب الصليبي في وسائل إعلامه عن الإرهاب والعنف الإسلامي، الذي وإن كان صحيحاً في بعض الأحيان فهو في جميع الحالات حالات فردية أو تنظيمية قام الغرب بإنشائها أو استغلالها لتحقيق أطماعه من جهة ولإثارة الرأي العام العالمي على الإسلام من جهة أخرى، لقد أقرت وزيرة الخارجية الأميركية السابقة هيلاري كلينتون بأن أميركا أنشأت المنظمات الإرهابية.

وفى الواقع فإن التاريخ الإسلامي لم يشهد حالة واحدة من الإرهاب والجرائم الجماعية التي ترتكبها الدول بحق الشعوب والمدنيين حتى في ظروف حروب الآخرين وعلى العكس، فإن كافة مذابح الصليبيين ضد المسلمين كانت مذابح ارتكبتها دول وعلى نطاق عالمي واسع ضد الشعوب المسلمة في السلم وفي الحرب.

وفي هذا السياق، وإذا كان الفضل لما شهد به الأعداء، نذكر ما شهد به المؤرخ الفرنسي غوستاف لوبون المتوفّى عام ١٩٣١ عندما قال: إن العالم لم يعرف فاتحاً أرحم من العرب!!.

إن الإنسان لم ينحط في الشرق كما انحط في الغرب و لم يرتكب الفظائع في الشرق كما ارتكبها في الغرب.

مذابح الصليبيين بحق المسلمين في بيت المقدس كانت منظمة ومذابحهم في إسبانيا كانت منظمة ومذابحهم في الجزائر كانت منظمة ومذابحهم في كينيا والحبشة وأَريتريا وأُوغندا كانت منظمة ومذابحهم في ميانمار كانت وما زالت منظمة وما زالت تلقى الصمت الرهيب من الصليبيين، ولو كان العكس، أن يقتل غير المسلم في بلاد

المسلمين بسبب دينه أو عرقه لتحرك العالم بأساطيله وجيوشه ولقاموا بتفعيل الفصل السابع من ميثاق مجلس الأمن، بل إن معظمهم لا ينتظر تفعيل الفصل السابع ويتحرك منفرداً بغطرسته وقوته للتدخل.

لقد كانت ضراوة الإنجليز في فلسطين، والطليان في طرابلس، والفرنسيين في الجزائر والأميركان بالهنود الحمر متشابهة كنبع من عين حمئة تفور بالثارات والضغائن ضد كل من خالفهم في الدين أو في الأعراق أو في اللون.

دفاعاً عن الأُمة لا دفاعاً عن إيران:

كل تلك الجرائم التي ارتكبها الغرب في العالم الإسلامي هي غيض من فيض وجزء من كل من جرائم كانت وما زالت مستمرة وستستمر إلى يوم الدين، ومن المفارقات أنه بالرغم من أن تلك الجرائم البادية للجميع، فإننا نرى الإعلام ومقررات المناهج المدرسية تسكت أو تغفل عنها وفي أفضل الحالات تمر على بعضها مرور السحاب بإيجاز مخل يفقد المعنى والتاريخ.

أما مساعدة إيران لسوريا والعراق فنرى الإعلام العربي يتهافت على محاربتها وإشاعة الذعر من تدخل مجوسي فارسي شيعي ويتفنن الإعلام العميل في فبركة وإذاعة الأخبار الموجهة لتأليب عامة الناس على إيران وعلى الشيعة لضرب عصفورين في حجر واحد كما يقولون زرع بذور الفتنة المستمرة بين المسلمين لتسهيل السيطرة عليهم والتحكم بهم واستنزاف خيراتهم وشبابهم من جهة، ثم يأتي الاستعمار الصليبي (الصديق) ليجني ثمار هذا الاقتتال في السيطرة السياسية والاقتصادية على بلادنا، بعد أن ينجح في تبديد وتفتيت قوتهم وتشتيت جمعهم ثم لتأتي إسرائيل بعد ذلك وتستفرد بالعرب بعد إضعافهم وتواصل خططها في ابتلاع الأرض العربية والتوسع على حساب العرب وفقاً لنظرية الأمن والحدود الآمنة الإسرائيلية التي ابتدعتها منذ نشأتها في سابقة لم يعرف لها التاريخ مثيلاً، إذ إن حدودها هي حيث يصل آخر جندي إسرائيلي وفق نظرية ديفد بن جوريون.

انظروا إلى ما صرح به موشي ديان وزير الدفاع ورئيس الوزراء الإسرائيلي الأسبق في حديث له مع وليام روجر وزير الخارجية الأميركي الأسبق قائلاً:

(ليس هناك أمل في أن يلتقي العرب على هدف واحد، يقولون إنهم أمة واحدة، وذلك مشكوك فيه، وإسرائيل في كل الأحوال تعتمد على فرقتهم أكثر مما تخاف وحدتهم).

أما هؤلاء الصليبيون فهم أصدقاء وأما إسرائيل فهي دولة أبناء عمومتنا وهم أهل كتاب كما تروج الوهابية ويصرح بعض الأمراء العرب، وأكثر من ذلك تسارع بعض الدول العربية لإجراء التحالف العلني أو السري مع إسرائيل بالرغم من احتلالها واغتصابها لفلسطين وبالرغم من تنكيلها بالعرب والمسلمين منذ إنشائها، من تلك المذابح المنظمة ((دير ياسين قبية - خان يونس - الخصاص - قلقيلية، الحسينية - كفر قاسم - مخيم جنين - غزة - الحرم الإبراهيمي - مصنع أبو زعبل في مصر - مدرسة بحر البقر - حمام الشط في تونس - قانا في لبنان))، "كل هذه المذابح مقبولة ويتم السكوت عنها سواء جاءت من الصليبيين في فرنسا أم بريطانيا أم إسبانيا أم الحبشة أم إيطاليا أم إسرائيل أم ميانمار، وماذا عن تنصير المسلمين وبعثاتهم التبشيرية في المغرب والسودان وبلاد الشام ومصر كلها أمور مقبولة ولم نسمع أيا من أجهزة الإعلام العربي التي أرهقت أسماعنا بالتحذير من إيران لم نسمعها تتحدث عن الغرب وأطماعه وبعثاته التبشيرية.

أما مساندة إيران للعراق وسوريا فهي أطماع فارسية وشيعية وأما أن تأتي الأساطيل الأميركية والأوروبية جواً وبحراً من على بعد آلاف الأميال فهي صداقة عربية غربية دعماً للحرية والإخاء والمساواة وفقاً للمفهوم الغربي الذي لم تعرفه الدول العربية في تاريخها الحديث ومنذ الحرب العالمية الأولى مع سقوط الدولة العثمانية.

وأما أن تأتي طائرات وجيوش مائة وثلاثين دولة إلى الكويت لضرب الجيش العراقي وتدمير العراق لتحرير الكويت (مع أنني ضد ما فعله صدام في الكويت) فهذا

أمر مشروع وتعاون دولي وفق ميثاق الأمم المتحدة!!، إن قـوانين الأمـم المتحـدة ومواثيقها يتم تجميدها أو تجاهلها إذا التقت لحظة ما مع مصالح المسلمين، وأقرب دليل على ذلك مئات قرارات الأمم المتحدة التي تخص فلسطين و لم يطبق منها شيء.

كلها أمور مقبولة طالما أن الأُسر التي جاء بها الغرب الأوروبي تمسك بزمام الأمور وبالميزات التي منحها الأوروبيون لهم ومنحوها لأنفسهم وللعائلات المقربة منهم.

ترى لماذا لم تذكر الكتب المدرسية، ولماذا لم تفضح وسائل الإعلام الحديثـة الأساليب الخبيثة والمجرمة للغزاة الصليبيين (حملة مشاعل الحرية والإخاء والمـساواة والديمقراطية) وجرائم هؤلاء في البلاد العربية مع العرب مع أن أفظع الممارسـات العثمانية لا ترتقي إلى أقل درجة من درجات البطش والتنكيـل الـتي مارسـها الصليبيون على العرب والمسلمين في الدول العربية، لماذا الحرص على حشو أدمغـة التلاميذ اليافعين وعامة الناس أيضاً بالمعلومات المغايرة للحقائق؟؟

لماذا تُصَوَّرُ تركيا عدواً وتُزَيَّنُ لنا بريطانيا وفرنسا وأميركا أصدقاءً؟

إن الجواب على ذلك سهل وواضح:

لأن كتب التاريخ ووسائل الإعلام موجهة من قبل حكام جاءت بهم بريطانيا وفرنسا وحمتهم أميركا، بالرغم مما يمارس على هؤلاء الزعماء من ابتـزاز سـافر ومطالبتهم بالدفع للغرب الحامي لهم، وبالتالي عليهم أن يأتمروا بأمرهم للحفاظ على عروشهم وميزات عائلاتهم، وبالتالي لا بأس من إخفاء فظائع الصليبيين والتركيـز على أخطاء العثمانيين، وإن كان من تلك الفظائع ما لم يكن بالإمكان إخفاؤه عن العامة فهو عن حسن نية بريطانيا وفرنسا وأميركا.

المستشرق اليهودي الأميركي برنارد لويس له رأي في كتابة التاريخ إذ يرى:

بعد أن تكون فبركت التاريخ كيف نقدمه؟ الأمر يختلف من دولة إلى أخرى ومن نظام إلى آخر، أكثر الطرق تأثيراً لنشر التاريخ المزيف هي فرضه، دون شـك

حتى في الدول الديمقراطية مازال اللجوء إلى فرض التـــاريخ ممكنـــاً عـــن طريـــق التشريع الانتقائي.

ويتابع برنارد لويس (إن بعضهم يخترع للمستقبل الذي يريده الماضي الـــذي يناسبه لكي تبدو ولادة المستقبل من الماضي والحاضر طبيعية)، ويرى برنارد لويس أنه بعد الفبركة والتزييف ثم الفرض يأتي الضغط والتخويف.

والتاريخ كما يرى برنارد لويس بمثابة الذاكرة للفرد ومن يهمل تاريخه أو من يتغذى على تاريخ مزور أو محرف أو مفروض يعاني فقدان الذاكرة أو العـــصاب، وهذا موقف إن لم نقل خطر بل هو مدمر للمجتمعات والأفراد على حد سواء.

أما نابليون بونابرت فيرى أن التاريخ مجموعة من الأكاذيب متفق عليها، وأما تشرشل فيرى أن التاريخ سيكون رفيقاً له لأنه سيكتبه(١).

يقول الأستاذ محمد حسنين هيكل (٢) أن المستر دانلوب هو واضع نظام التعليم في مصر وهو النظام الذي ما لبث أن امتدت مؤثراته من مـــصر إلى بقيـــة الأمـــة العربية، ودانلوب بدوره جاء به كرومر الذي طالب بإلغاء المـــذاهب الإســـلامية الأربعة في مصر في خطوة خبيثة إضافية في الحرب على الإسلام.

وهكذا من نابليون الفرنسي إلى تشرشل ودانلوب الإنجليزيين إلى برنارد لويس الأميركي، أربعتهم من دول المحور الاستعماري الثلاثي القديم والحديث وهي الدول التي فرضت هيمنتها علينا منذ انهيار الدولة العثمانية، والتي قادت الحروب الصليبية على المسلمين (فرنسا وبريطانيا) ثم تبعتهما الولايات المتحدة.

حرب الصليبيين على المسلمين لن تهدأ حتى يقضي الاستعمار علينا ويستعمر أرضنا وينهب خيراتنا ويمحو ديننا، ويقضي على القرآن من الصدور لا من المطابع

---

(١) برنارد لويس - من بابل إلى التراجمة - ترجمة طلعت الشايب - ص ٧٤٥.

(٢) محمد حسنين هيكل - عمر من الكتب - ص ٨٧.

كما كان قد صرح أَحد نواب بريطانيا أن الإسلام لن ينتهي إلا إذا صرفنا المسلمين عن الصلاة وعن الحج ومحونا القرآن فقام زميل له في المجلس ورد عليه أما القـــرآن فها أنا أمزقه وأتلفه ليرد عليه صاحبه "إنما إتلافه من الصدور لا من الورق يا غبي" أجل إنها سنة الله وقضاؤه ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾.

إن الحرب الدائرة بيننا وبين الصليبيين ليست بحروب من أجل الديمقراطية كما يدعون وليست انتصاراً للشعوب المقهورة كما يدعون وليست لتخليص الشعوب من الحكام الدكتاتوريين كما يدعون وإلا لماذا لم ينصر الشعب الفلسطيني حتى الآن؟ ولماذا لا تقبل تركيا في الاتحاد الأوروبي حتى الآن؟ ولماذا تتم استضافة كافة أعضاء الجماعات الإرهابية في بلاد الغرب وبالذات بريطانيا وتأمينهم تحت ستار الحرية واللجوء السياسي؟ ولماذا تجري حماية سلمان رشدي المفتري على القرآن الكريم؟

ولماذا يتم إغراق صدام حسين أثناء حكمه بآلاف الأطنان من الأسلحة من كل الأنواع والأَوزان بما في ذلك الأسلحة الكيماوية من أجل ضرب إيران المسلمة وإضعاف المسلمين وضربهم ببعضهم وبعد عشرين عاماً في الحكم يهدد ويتوعد بإحراق نصف إسرائيل بالكيماوي ولم يحرق سنتمتراً واحداً بالرغم من أنهم ضربوا مفاعله النووي وبالرغم من أنه هدد بالانتقام المزعوم وكان انتقامه بذهابه إلى الكويت بدلاً من الذهاب إلى القدس وكان انتقامه بإبادة الأَكراد المسلمين بالكيماوي وما كانت تلك الصواريخ التي أطلقها على إسرائيل أثناء احتلاله الكويت إلا ذراً للرماد في العيون لتلميعه بأنه يهدد إسرائيل لاستغفال البسطاء من الشعوب العربية الذين هللوا وصفقوا له، وبدلاً من قيامه بتوحيد العرب تحت راية عربية إسلامية لتحرير فلسطين كما كان يصور نفسه بالقائد المؤمن والقائد الضرورة، فإنه أيقظ الفتنة الطائفية السنية الشيعية التي لم نكن نسمع عنها منذ معركة مرج دابق عام ١٥١٦ ولغاية ١٩٨٠ حين أشعل حرباً عبثية خدمة للاستعمار الصليبـــي تحت ستار العروبة ومحاربة الفرس والعجم.

إن الحرب بيننا وبين الاستعمار الصليبـــي ما هي إلا حلقة جديدة من سلسلة قديمة متصلة الحلقات منذ ثمانية قرون أو أكثر عندما بدأت الحملة الصليبية الأولى ومحاولة الاستعمار الصليبي مرة بعد مرة أن ينفذ من ميناء دمياط إلى أرض مصر ليتخذها قاعدة صليبية، ومنذ مجيء لويس التاسع إلى مصر واعتقاله في دار ابن لقمان في معركة المنصورة، ومنذ أن تحالف الصليبيون على إخواننا في الأندلس وتفننوا في قتلهم وتعذيبهم وإلقائهم من قمم الجبال أحياء وسلقهم في قدور المياه الساخنة كالدجاج وإلقائهم بهم كجذوع الشجر في النار الملتهبة أو في مياه البحر ليغرقوا أو ليسبحوا إن استطاعوا إلى الجانب الآخر من الشاطئ، ومن كان يستطيع ذلك؟

ومنذ أن سقطت القسطنطينية على يد محمد الفاتح وتم تحويل أيا صوفيا إلى مسجد، ظلّت الحرب مستمرة يضحكون علينا بالديمقراطية والسنة والشيعة حتى نذبح بعضنا بعضاً، ألم يقل لورنس العرب "توماس إدوارد لورنس" بأنني حاربت الأتراك بالجيش العربي دون أن أريق قطرة دم واحدة لجندي إنجليزي "والآن هم لا يكتفون بالدم العربي لتحقيق أطماعهم بل أصبح تمويل قتل العرب والمسلمين عربياً صرفاً وأصبح الضحايا مسلمين عرباً وغير عرب والثمار والنتائج والكعكة للدول الاستعمارية إنها سايكس بيكو جديدة.

فهذا المطران الصليبـــي نيل يتحدث عن جهود الصليبيين في العصور الوسطى في التعاون مع المغول على ضرب الإسلام قائلاً: (... عندما سمع العالم الغربي للمرة الأولى عن غزو التتار للعالم الإسلامي استقبل هذه الأنباء بانشراح، لأنه إذا استطاع النصارى التحالف مع القوى المغولية على ضرب الإسلام من الخلف أمكن الخلاص بصورة نهائية من خطر المسلمين، وقد يكون من الأفضل أن يدمر هذان العـــدوان بعضهم البعض، وستصبح الكنيسة بعد إذ الخيار الأفضل)، وذلك ما جعل مطـــران وينشستر يقول للملك هنري الثالث ملك إنجلترا ما نصه ((ليدمر هؤلاء الكـــلاب

بعضهم بعضاً، ويصفي كلاهما الآخر وعندها سنرى الكنيسة الكاثولوكيـــة العالميـــة تتأسس على أطلالهم))[1].

ترى أليس ما خططوا له في العصور الوسطى هو ما ينفذونه الآن ولكن بأيدينا وبأموالنا وليس على يد المغول؟.

لقد غدت بعض الدول العربية والإسلامية تتباهى بتمويل (الإرهاب) وقتـــل المسلمين تحت ذريعة محاربة الدكتاتور بشار تارة والشيوعية تارة أخرى، وتتبارى في إقامة العلاقات مع إسرائيل والاتفاق معها علناً وسراً ضد العدو اللدود (إيران).

والغريب أنهم يتهمون الإسلام بالانتشار بالسيف والتاريخ يسجل أن الإسلام انتشر وما زال في قلب أوروبا وأميركا بقوة عدالته وفطرته السمحة التي لا تفـــرق بين بني البشر ولا تسمح لأحد أن يعتدي على أحد تحت سلطان القوة والجـــبروت كما يفعل الغرب الآن.

ترى لماذا قامت قيامة الغرب ومن والاهم من العرب عندما نشطت إيـــران في العلوم العسكرية والنووية في حين أن الغرب نفسه هو الذي زود إسرائيل بالمفاعـــل النووي على يد فرنسا منذ عام ١٩٥٧؟، ولديها الآن أكثر من ثلاثمائة رأس نووي، ولا أحد يتحرك ضدها حتى من العرب أنفسهم؟

لماذا نتحدث عن الخطر الفارسي والشيعي ونتجاهل الخطر الصهيوني الجاثم على بعد أمتار من حدودنا لأكثر من بلد عربي؟، لماذا نقبـــل دولـــة مـــسيحية مارونية جاءت بها فرنسا في لبنان وهادنها بالرغم من الظلم الذي كان يرزح تحته المسلمون في لبنان في بداية عهده ونرفض النفوذ الشيعي في العراق؟ لماذا نقبـــل بأن يتحول جنوب السودان إلى دولة مسيحية ندعوها للانضمام للجامعة العربية أما إيران فهي الخطر الشيعي؟.

---

(١) محمد الغزالي - مائة سؤال على الإسلام - ص ٢٨٠ - ٢٨١.

وكأن موقف بعض العرب يُخيَّلُ لي لو أنّ إيران قامت بتحرير بيت المقدس لاعترض العرب "الشرفاء" غيرة على المسجد الأقصى من الشيعة، أما أن يبقى في أيدي اليهود فهم أهل الكتاب وهم أولاد عمومتنا وهم أصدقاء وحلفاء وشركاء في الشرق الأوسط الجديد الكبير وبيننا وبينهم مصالح كبيرة كما يصرحون جهاراً نهاراً لمعظم وسائل الإعلام العالمية!!

يا أُمة ضحكت من جهلها الأمم!!

لماذا تم السكوت عن إبادة الأَكراد المسلمين في حلبجة في العراق بالكيماوي على يد البعث العراقي وتمّ التغاضي عن ذلك بل تمت مساعدة من أبادهم من نظام صدام حسين (السنّي) بالمال والسلاح في حين تنقلب الآية ويتم مساعدة الأَكراد (السنّة) "الآن اكتشفوا أنهم سنّة" للانفصال عن العراق بعد أن أصبح تحت النفوذ الشيعي؟

لماذا تهرع الكثير من الدول العربية إلى تأييد أميركا في كل سياساتها في الشرق الأوسط وفي أضعف الأحوال فهي تصمت عمّا تفعله أو عن مواقفها السياسية ضد مصالح العرب والمسلمين، بل إن كثيراً من الدول العربية تحرض أميركا جهاراً نهاراً ضد إيران وضد عدد من القادة العرب كما فعلوا ضد عبد الناصر سابقاً وضد حافظ الأسد بل وضد المقاومة الفلسطينية حالياً، في حين نجد دولة مثل كوريا الشمالية التي لا تملك واحداً بالمئة من إمكانيات الدول العربية تتحدى الولايات المتحدة جهاراً نهاراً وتحث الخطى في تجاربها النووية والهيدروجينية والصاروخية دون أن تجرؤ أميركا على فعل شيء ضدها، علماً أن الدول العربية تملك من الأوراق الاقتصادية لو أرادت استخدامها ضد أميركا لجاءتها مستسلمة متوسلة لها، وأكثر من ذلك فإن بعض الدول العربية تجاهر بنقل الحرب إلى قلب إيران بدلاً من نقلها إلى تل أبيب!!.

ولماذا تؤيد وتتحالف بعض الدول العربية مع أميركا في كل سياساتها العدوانية في المنطقة وتتعاون مع مخابراتها في إرسال السلاح والمال والمقاتلين لتأييد سياستها في

أفغانستان والعراق وسوريا تحت مظلة الحرب على الإرهاب، وهي (أميركا) البعيدة عن حدودنا أكثر من عشرة آلاف كيلو متر في حين أن إيران لو أرسلت الخبراء والمستشارين وحتى المقاتلين للدفاع عن بلادنا ضد الإرهاب فإنهم يسمون ذلك تدخلاً إيرانياً وشيعياً وفارسياً؟، ولماذا نؤيد أو نصمت عن كل جرائم وتدخلات دول محور الاستعمار الثلاثي (بريطانيا وفرنسا وأميركا) في معظم دول العالم العربية والإسلامية على وجه الخصوص في حين ترتعد فرائصنا عند أول إشارة مساعدة أو لنقل (تدخل إيراني) كما يحلو لهم في الدول العربية المجاورة التي يؤثر أمنها بشكل مباشر على إيران كسوريا والعراق؟ رحم الله الشاعر أحمد شوقي عندما حينَ قال:

أحرام على بلابله الدوح   حلال للطير من كل جنس

إن الإجابة على كل تلك التساؤلات أصبحت معروفة ومكشوفة للجميع فقادة تلك الدول العربية المتواطئة والمتعاونة مع أميركا لم يعد يهمهم العربُ ولا المسلمون ولا فلسطين ولا المقدسات، همهم الوحيد ضمان استقرار عروشهم ومصالح أسرهم الحاكمة، وعليه فإن الدول الاستعمارية هي التي جاءت بهم سابقاً (بريطانيا وفرنسا) أو هي التي تحمي عروشهم وتبتزهم جهاراً نهاراً لاستمرار الدفع مقابل الحماية وإلا طارت عروشهم وعليه فإن مصالح هذه الأسر تلتقي مع الدول الاستعمارية الضامنة والحامية لهم أياً كانت المبالغ التي يدفعونها لها مقابل الحماية ولتفعل أميركا وإسرائيل كل ما يشاؤون ضد العرب والمسلمين وقضاياهم !!

لماذا عندما تقوم إيران بإعدام أحد أو بعض المجرمين أياً كان مذهبهم "سنّة أم شيعة" بسبب جرائمهم وتعاونهم مع الموساد الإسرائيلي في قتل علماء إيران النوويين يقوم الإعلام العربي السيئ ضد إيران ويصور إيران مجرمة؟

وعندما تقوم إسرائيل بقتل المدنيين جهاراً نهاراً في فلسطين وفي لبنان وتقوم كتائب "الخلافة" من داعش والنصرة بالإبادة الجماعية للمسلمين رمياً بالرصاص أو قطعاً للرؤوس أو تفجيراً بالمفخخات والانتحاريين فإن الإعلام العربي جله أو بعضه

يصمت؟، لماذا تنشر صور تنفيذ حكم الإعدام بالمجرمين في إيران وتصور تلك الأحكام بأنها امتهان للمسلمين السنة في إيران؟ وفي المقابل عندما تقوم إسرائيل بمطاردة وإعدام العلماء العرب في كل مكان ابتداءً من العالم النووي المصري مصطفى مشرفه واغتياله عام ١٩٥٠ والعالمة النووية سميرة موسى وقتلها في كاليفورنيا عام ١٩٥٢ والدكتور جمال حمدان واغتياله في الجيزة في مصر عام ١٩٩٣ والعالم النووي سمير نجيب واغتياله في أميركا عام ١٩٦٧ والدكتور يحيى المشد واغتياله في باريس عام ١٩٨٠ وسعيد بدير واغتياله عام ١٩٨٩ والعالم التونسي محمد الزواري الذي اغتيل في تونس عام ٢٠١٦ - أيلول، بالإضافة إلى اغتيالها العشرات من رموز المقاومة الفلسطينية واللبنانية، أمثال فتحي الشقاقي في مالطا، وماجد شرار في روما، وثلاثي المقاومة كمال ناصر وكمال العدوان ويوسف النجار في بيروت ومحمود الهمشري في باريس، وأبو جهاد في تونس وجهاد جبريل في بيروت وجميعهم (سنّة) ولم نسمع الإعلام العربي يتباكى على أي منهم كما تباكى على المجرمين القتلة في إيران (لأنهم سنّة) بالرغم من قيامهم بأعمال تخريبية واغتيالات من بينها اغتيال العلماء النوويين الإيرانيين، ناهيك عن قيام إسرائيل باغتيال العلماء الإيرانيين كالدكتور داريوش رضايي نجاد الذي اغتالته عام ٢٠١١ وكلاً من الدكتور مجيد شهرياري والدكتور مصطفى أحمدي روشن وجميعهم علماء نوويون اغتالتهم إسرائيل دون أن نسمع أي إدانة من الأبواق الإعلامية العربية التي ليس لها هم وعدو سوى إيران والشيعة وتنسى أو تتجاهل العدو الحقيقي المتمثل في الكيان الصهيوني الجاثم على أرض فلسطين منذ واحد وسبعين عاماً؟ والأنكى من ذلك أن بعض الدول العربية تقوم بإعادة تسليم المجرمين القتلة الإسرائيليين وإعادتهم معززين مكرمين كما حصل مع فرقة الموساد التي حاولت اغتيال خالد مشعل في عمان وكذا ضابط أمن السفارة الإسرائيلية الذي اغتال مواطنين أردنيين في عمان وضابط المخابرات الإسرائيلي الذي اعتقل أثناء تواجده بين المتظاهرين أثناء ثورة يناير ٢٠١١ في مصر!!

ولماذا عندما ترسل إيران وروسيا جنوداً ومستشارين بالتنسيق مع الحكومة السورية لمساعدتها في مواجهة الحملة الشرسة ضد الدولة وضد المسلمين فإن ذلك يُعَدُّ تدخلاً؟، في حين أن الدول التي تتهمها بالتدخل تقوم بإدخال أو غض الطرف عن دخول عشرات آلاف المقاتلين إلى سوريا بكافة أنواع الأسلحة لتدمير سوريا وتدمير الجيش السوري وعندها فإن ذلك ثورة!! ولماذا يُعتبرُ دخول قوات درع الجزيرة إلى البحرين دعماً للشرعية ومحاربة التمرد في حين أن دخول إيران إلى العراق وسوريا هو دعم طائفي؟

لماذا عندما يقوم مقاوم واحد بمحاولة اجتياز الحدود إلى فلسطين بقطعة سلاح فردية واحدة فإن الأمن العربي وأمن الحدود يقظ ويتم اعتقاله والزج به في السجون في حين يتم دخول الشاحنات المحملة بآلاف الأطنان من الأسلحة جهاراً نهاراً إلى سوريا ولسان حال الأمن العربي في الدول المجاورة لم أسمعْ و لم أَرَ و لم أُشاهدْ؟ وفي المقابل في حال عودة أي مسلح دخل إلى سوريا إلى نفس الحدود التي دخل سوريا منها ابتداء فإن أمن الحدود جاهز لقتله أو اعتقاله فوراً لأنه إرهابي أو مهرب أو خارج عن القانون وفي أفضل الأحوال فهو مضلل أما في سوريا فإن الشخص نفسه كان يُعتبر من قبل من اعتقله ثائراً أو مجاهداً!!! كيف يمكن أن نفهم أو يقنعوننا بأن نفس الشخص يكون مجاهداً في سوريا وعندما يخرج منها فهو إرهابي؟

ولماذا عندما تقوم الطائرات الصليبية البريطانية والفرنسية بدك مدن ليبيا وقتل شعبها الآمن وتدمير منشآتها فإن ذلك مثالٌ للحرية ومن أجل الربيع العربي وبمباركة الجامعة العربية نفسها، في حين أن مساعدة إيران وروسيا لسوريا هو تدخل في الشؤون الداخلية وهيمنة شيعية على سوريا؟

لماذا تعرف الطائرات الحربية العربية الطريق لضرب ليبيا واليمن وسوريا وتتفنن في تدمير المنشآت والمرافق العربية بل والمدنيين العرب والمسلمين؟ وكيف نفهم ذهاب

الطائرات الحربية من السعودية والإمارات وقطر والمغرب والأردن لضرب أو تدمير أهداف في أكثر من بلد عربي تحت مسميات التحالف العربي أو التحالف الدولي والحرب على الإرهاب في حين أن طائرة حربية عربية واحدة لم تذهب لمحاربة الإرهاب الإسرائيلي والدفاع عن غزة في أكثر من حملة جوية وبرية عليها من قبل إسرائيل؟ بل إن بعض الطائرات الحربية العربية جرى تهريبها من بلدها (الأردن) حين اقتربت ساعة المواجهة في حرب ١٩٦٧م حين قامت الأردن بالترتيب مع السفير الأميركي في عمان بتهريب عدد ٢٥ طائرة حربية F١٠٤ وإرسالها إلى القواعد الأميركية في تركيا قبل شهر واحد من حرب ١٩٦٧م؟[1].

لماذا تقوم المخابرات العربية بملاحقة وقتل معارضيها في معظم دول العالم ولا تقوم بمطاردة مجرم إسرائيلي واحد حتى لو مر فيها أو نزل في عقر دارها؟ ولماذا تقوم المخابرات السعودية بتمويل عملية لاغتيال جمال عبد الناصر في خمسينيات القرن الماضي، وقصة الشيكات المدفوعة لعبد الحميد السراج عام ١٩٥٨م في حينه أصبحت معروفة و لم تعد خافية على أحد؟ لماذا وما هي مصلحة السعودية في تمويل عملية لاغتيال المرجع الشيعي اللبناني حسين فضل الله التي لم تنجح وقتل فيها ثمانون مدنياً لبنانياً[2]؟ ولماذا تتم ملاحقة وإعدام وتقطيع جثة جمال خاشجقي و لم نسمع عن مطاردة أي مجرم إسرائيلي أو عدو من أعداء الإسلام كالذي أحرق المسجد الأقصى عام ١٩٦٩م (يروحام كوهين) والذي طعن في القرآن (سلمان رشدي)؟ ترى هل جمال خاشجقي أكثر خطراً على الإسلام من هؤلاء؟

لماذا يتم الصمت عن المساعدة الصليبية لفرنسا لصالح (مجاهدي خلق) وكتائبه التي أنشأتها بالتعاون مع البعث العراقي لمقاتلة إيران وإيذائها وتقوم باستضافة وإيواء

---

(١) محمد حسنين هيكل - عام من الأزمات - كلام في السياسة - ص ٤٣٩.

(٢) محمد حسنين هيكل - المفاوضات السرية بين العرب وإسرائيل - الجزء الأول - ص ١٧١.

ودعم قادتها من مثل مسعود رجوي وزوجته مريم رجوي ولا تقوم بإيواء سرية أو فصيل أو مقاوم واحد عربي أو عالمي أو فلسطيني يعمل من أجل تحرير وطنه أو حتى رفع الظلم كله أو بعضه عن شعبه؟

لماذا تحتجز فرنسا لعشرات السنيين المقاوم جورج عبد الله في حين توفر الدعم لمجاهدي خلق وقادته؟ ولماذا تساعد فرنسا منظمة جيش محمد في باكستان، تلك المنظمة التي ليس لها هدف سوى ضرب إيران وإيذائها؟

لماذا أصبحت إيران الملالي شيعية فارسيةً وعدوة طامعة؟

في حين أن إيران نفسها بشعبها ومذهبها والتي كانت تدعم إسرائيل وتزودها بالنفط، كانت صديقة آنذاك حينما كان يقودها محمد رضا بهلوي صديق العرب -ذو التبعية البريطانية المشتركة- حيث أنّه جاء إلى الحكم أو جيء بآبائه وأجداده من قبل بريطانيا.

لماذا كانت إيران الشاه صديقة وشقيقة عندما كانت تدعم الأَكراد بقيادة مصطفى البرزاني للانفصال عن العراق في حين أن إيران التي تساعد العراق للمحافظة على وحدته وسيادته، وتقف ضد إنفصال الأَكراد عن العراق أَصبحت عدوة؟

لماذا كانت دول الخليج العربي ملاذاً آمناً ومرحباً به لعشرات آلاف الأُسر الإيرانية الشيعية وتم منح معظمها الجنسيات الخليجية أيام الشاه أما الآن فإن إيران بشعبها ومذهبها الذي لم يتغير أصبحت عدوة؟

لماذا نقبل تسمية بحر الروم للبحر المتوسط، وهو ليس ملكاً للروم؟ ولماذا نقبل تسمية بحيرة فكتوريا في إفريقيا وهي ليست فكتورية وليست إنجليزية؟ ولماذا تقبل الهند تسمية بحر العرب وهو ليس ملكاً للعرب؟ ولماذا نقبل تسمية خليج الخنازير في بنما؟ ولماذا تقبل بريطانيا وإسبانيا استمرار استخدام اسم مضيق جبل طارق بالرغم من أن المضيق المذكور لم يعد لطارق ولا لأمة طارق ومع كل ذلك نُصِرُّ على تسمية الخليج الفارسي وهو الاسم التاريخي له بالخليج العربي؟

لماذا يقبل تشرشل التعاون العسكري في الحرب العالمية الثانية مع الشيوعيين الملاحدة في الاتحاد السوفيتي وهم العدو اللدود للرأسمالية الغربية في وقت كانت فيه الشيوعية في ذروة عدائها للغرب الرأسمالي؟، وضدَّ مَنْ كان ذلك التعاون؟ ضد الألمان المسيحيين المتفقين مع بريطانيا في العقيدة، حيث ردد تشرشل وقتها أنه على استعداد للتعاون مع الشيطان ضد عدوه، أما العرب والمسلمون فالمطلوب منهم والمسموح لهم التعاون مع الصليبيين والصهاينة فقط ضد إخوانهم المسلمين (الشيعة)!! ترى هل الصليبيون والصهاينة أقرب لنا في العقيدة والدم والعرق من الشيعة؟ وهل للشيعة في إيران أطماع في بلاد (المسلمين السنة) أكثر مما كانت وما زالت للصليبيين والصهاينة؟

لماذا ولماذا ولماذا كثيرة لا يتسع المجال لتعدادها وحصرها ولكن كما يقول المثل "فإن الشمس لا تغطى بالغربال" إنه الاستعمار الصليبي الذي يلعب في عقول قادتنا ويصور لهم العدو صديقاً والصديق عدواً وقتما يشاء وحينما تتطلب مصالحه ذلك.

بالأمس أقنعوا زعماءنا بجهاد الأتراك (الكفرة) لإسقاط فلسطين والقدس بأيدي الصليبيين، واليوم يريدوننا محاربة إيران (الرافضة الكافرة) والطامعة أيضاً (كما زيّنوا لزعمائنا) لصالح الصليبية والصهيونية العالمية؟

لماذا ننصت وننساق وراء فتن ومؤامرات الاستعمار الهادفة إلى تفتيتنا وتشتيتنا وإضعافنا ونحارب بعضنا بعضاً أحزاباً وجماعات ومذاهب متناحرة ونطرح جانباً أو نهجر قوله تعالى: ﴿ إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَأَنَا۠ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُونِ ﴾؟، ونطرح قول الرسول ﷺ "دعوها فإنها نتنة" وقوله ﷺ "أبدعوى الجاهلية وأنا بين ظهرانيكم" وقوله ﷺ "لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى".

إن أعمال الصليبيين أصبحت تنطق بحقدهم وتآمرهم على المسلمين، ولولا ذلك لظن الناس أن كلامهم عن الحرية والإخاء والمساواة والديمقراطية حقاً، لماذا يعتبر وجود الرومان في مصر والشام طبيعياً وينظر إلى وجود المسلمين على أنه شذوذ وانتشار للإسلام بالسيف؟

لماذا عندما تقوم فرنسا باحتلال الجزائر والمغرب وتونس وإذلال أقاليمها وشعوبها فإن ذلك يكون من أجل مساعدة الشعوب على التنمية والتطوير وليس استعماراً فإذا قامت شعوب تلك البلدان بالمقاومة لقص أَجنحة الإمبراطوريات الداعرة فإن المقاومين مجرمين وخارجين عن القانون ويؤتى بهم للإعدام زرافات وجماعات؟

إن هذا هو المنطق الصليبي على مر العصور وفي كل زمان ومكان منذ فجر الدعوة الإسلامية وانتشارها حقد خسيس في المجال العلمي والديني والاقتصادي والسياسي، إنهم لا يريدون أن تقوم قائمة للمسلمين، إن ألف بينة وبينة لم تمنع الفرنسيين من ذبح أهل الجزائر وإنكار حقهم المبين، ولم تمنع الرومان قديماً من استعباد أهل مصر وجعلهم خدماً ينقلون القمح من مزارعهم إلى السادة في روما، ولم تمنع اليهود من ذبح الشعب الفلسطيني في قبية وفلاحية وقلقيلية وجعبة ونحالين وحوسان والرهوة والقدس ودير ياسين وكفر قاسم وغزة وخان يونس وإبادة الأسرى المصريين عام ١٩٦٧، والقتل الجماعي للمدنيين اللبنانيين في قانا وفي صبرا وشاتيلا، أما أن ينبري الشرفاء لمقاومتهم فهم إرهابيون يتم تجنيد العالم وإعلامه ضدهم.

إن الإجابة على كل هذه التساؤلات هي واحدة هي القوة والبلطجة فالقوة في السياسة الغربية هي حق وفي المثل الإنجليزي Might is right !!!

وفي القانون (الاستعماري) فإن القوة تنشئ الحق وتحميه!

في السياسة وفي النزاع الدولي لا يوجد حق أو عدالة توجد مصالح تنزع وتفرض بالقوة رغم أنف الشعوب المقهورة خارجياً من القوى العظمى المهيمنة وداخلياً من مجموعة عائلات وأسر منتفعة في الأغلب جاءت بها بريطانيا وفرنسا لتحافظ على مصالحها مقابل امتيازاتها العائلية، بالقوة وحدها استطاع اليهود أن يجيشوا عشرات الدول لتأييدهم في أن العرب لا مكان لهم في فلسطين.

بالقوة وحدها عملت بريطانيا على تحويل فلسطين إلى دولة يهودية وطرد أهلها منها، وبالقوة الإنجليزية فإن العرب الفلسطينيين هم سكان محليون لهم حقوق مدنية ودينية في حين أن اليهود الذين يؤتى بهم من كافة أنحاء الأرض هم مواطنون وأصحاب أرض لهم كافة الحقوق المدنية والدينية والسياسية، وبالقوة وحدها جيشت بريطانيا وفرنسا دولاً كثيرة لتأييدها في غزوها لمصر حين انتفضت لاستعادة حقوقها المسلوبة في قناة السويس فأعلنتا حرباً شاملة عليها، وبالقوة فقط فإن إنذاراً روسيا مدعوماً أميركياً كان كافياً لإرغام الغزاة على الانسحاب في معركة السويس سنة ١٩٥٦.

لماذا يعتبر غزو واحتلال المستعمرين الفرنسيين والإنجليز للأراضي العربية لقهر شعوبها ونهب خيراتها انتداباً للتطوير والتنمية ونشر العلم في حين أن من يقاومهم مجرم وإرهابي يتم إعدامه بالخوازيق كما حصل مع سليمان الحلبي الذي هب لنجدة أهله في مصر؟، وكما حدث مع عمر المختار في ليبيا وكما حدث مع مجموعة الثلاثاء الحمراء في عكا على يد الإنجليز في حين أن هؤلاء الذين جاؤوا من على بعد آلاف الكيلومترات لنهب خيراتنا وإذلالنا هم محررون وناشرون للديمقراطية، ولماذا يعامل ظلم العثمانيين المسلمين وأَخطاءَهم تجاه العرب على أنهم العدّو اللدود للعرب وبالتالي يحاربوا أو يقتلوا وتنسف خطوط الحديد في جنودهم في حين أن ظلم وحقد الصليبيين الإنجليز والفرنسيين صداقة وتعاون وثورة؟.

لا شك أن الأُمة الإسلامية وقادتها لم يكونوا على وعي جيد بالخطط والمطامع الصليبية والصهيونية في بلادهم لتمزيقها واستعمارها والتهامها من قبل الطامعين الصليبيين والصهاينة، لقد قاتل العرب إلى جانب بريطانيا في الحرب العالمية الأولى تحت شعار الثورة العربية الكبرى وتوحيد واستقلال العرب وكانت المكافأة سايكس بيكو في الخفاء حينما كان لورنس يضحك على العرب ويسيل دماءَهم ويغدق عليهم الذهب دون أن يُسيِل قطرة دم جندي إنجليزي واحد منهم حسب شهادته في مذكراته ومن ثم كان التقسيم بدل الوحدة وكان الاستعمار والانتداب بدل

الاستقلال وكانت فلسطين مكافأة لليهود، لأنهم كما أوحوا للعرب وزعمائهم آنذاك أقلية يهودية تعيش باحترام وحقوق كاملة في مملكة عربية متحدة، هكذا صور الإنجليز خططهم الخبيثة للعرب وزعمائهم، وقاتل العرب أيضا إلى جانب الحلفاء في الحرب العالمية الثانية وكانت المكافأة أيضاً تقسيم فلسطين وإعلان قيام دولة إسرائيل.

إن خطط المستعمرين الصليبيين قامت على تمزيق الأُمة وتقطيعها إرباً إرباً وجعل كل قطعة وكل فرقة كيانا مادياً ومعنوياً وعرقياً لا صلة له بالآخر لإدامة الصراعات، والخلافات بينهم، وبالتالي تسهيل سيطرة المستعمرين الغرباء عليهم وعلى خيراتهم.

إن مهاجمة الإسلام هدف إنساني بالنسبة لهم!، وفي سبيل ذلك رأينا تعاوناً وثيقاً منظماً بين الكاثوليك الإنجيليين والأرثوذكس، علام يتعاونون؟ على إخماد الصحوة الإسلامية التي لاحت في أمصار كثيرة.

لقد حارب العرب إلى جانب بريطانيا في الحربين الأولى والثانية، وكانت النتائج أن بريطانيا أم الخبائث وأم السموم وهي الأفعى السياسية في العالم دون منازع تبذر بذور الخلافات والفرقة بين الزعماء العرب في الدول السبع التي هبت لنجدة فلسطين عام ١٩٤٨ فإذا الحرب تتمخض عن مهزلة شائنة، وإذا أتباع وعملاء بريطانيا من العرب حكاماً ورؤساء وممثلي جاليات، يخوضوا الحرب لإعلان قيام إسرائيل وليس منعها، ولتثبيت التقسيم الذي أملته عليهم بريطانيا وتواطؤوا عليه سراً مع الزعماء اليهود.

أليست الآية القرآنية واضحة في ذلك: ﴿وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.

في حرب ١٩٤٨ كان النـــزاع والصراع محتدماً بين كل من الملك عبد الله والملك فاروق والملك عبد العزيز والملك غازي وعلى مستوى العائلات كان النـــزاع في فلسطين بين عائلتي الحسيني والنشاشيبـــي وبين المجلسيين والمعارضين والنتيجة أن بريطانيا هي التي تنفرد بقطاف الثمار والنتائج مقابل مزيد من الهزائم والانحدار للعرب.

إن نفوسنا تعتريها الحسرات وتملؤها الغصات عندما نسمع ونرى نفراً من ساسة العرب يبنون مستقبل بلادهم وذراريهم على محالفة الاستعمار الغربي والصهيوني ويقرون في حرارة ورغبة أن تكون مواطنهم مسرحاً لإنجلترا وفرنسا وأميركا وإسرائيل وقواعدهم العسكرية بل وأن تكون تلك الدول موجّهاً لدفة السياسة والمؤامرات في بلداهم ولا غرو في ذلك فهذه الدول إما أنها هي التي جاءت بهم إلى الحكم كبريطانيا وفرنسا وإما أنها هي التي تحمي وتبتز أو تهدد وتبطش كأميركا وإسرائيل.

إن العالم يعج بعصابات المبشرين والمستشرقين المستعمرين الذين يقاتلون الأمة بشتى الوسائل ويقترفوا كافة المنكرات لتشويه الإسلام وسمعة نبيه الكريم ﷺ، وما هؤلاء الذين قاموا بنشر رسوماتهم المسيئة للرسول ﷺ أو بحرق القرآن علانية على رؤوس الأشهاد وأمام عدسات المصورين وأجهزة الإعلام العالمية، إلا جزء من كل ونقطة في بحر الاستعمار العالمي المتلاطم والحاقد بحكوماته العلنية تساندها أجهزة الأمن السرية التابعة لها والتي تتربص بالإسلام والمسلمين ليل نهار ولا تأل جهداً في إيذائه ومحاربته بشتى الوسائل.

إن الجولة الثانية القادمة بإذن الله كما وعد الله في كتابه العزيز: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ لِيَسُـٔۥُواْ وُجُوهَكُمۡ وَلِيَدۡخُلُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَلِيُتَبِّرُواْ مَا عَلَوۡاْ تَتۡبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧]، ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٢]، ﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا﴾ [النساء: ٨٧].

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمۡ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرۡتَضَىٰ لَهُمۡ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعۡدِ خَوۡفِهِمۡ أَمۡنٗاۚ﴾ [النور: ٥٥].

الجزء الرابع

الصراع على النفوذ في الشرق الأوسط

الفصل الأول



الفراغ السياسي في الشرق الأوسط وكيفية ملء الفراغ في السياسة الأميركية:

أوهمونا بالخطر الشيوعي، وأوهمونا بالخطر الإيراني وتدخلوا في مصائر شعوبنا وأوطاننا وأشعلوا الحروب والفتن بيننا وكان آخرها ولا أظنه كذلك وهم الربيع العربي تحت ذريعة الثورات والديمقراطية، والحقيقة أنها هي مصالحهم البحتة، إنهم يتصارعون على الشرق الأوسط ونحن ندفع الثمن انظروا إلى ما قاله أيزنهاور الرئيس الأميركي: إن إنجلترا وفرنسا كانتا تحميان الشرق الأوسط من الهجوم الروسي عليه.

وأنه بعدما حصلت دوله على الاستقلال وأُخرجت الدولتان الكبيرتان منه، أصبح في المنطقة فراغ يجب سده.

أما وزير خارجيته جون فوستر دالاس فكتب في مذكراته الموجودة حالياً في جامعة برنستون أن الشرق الأوسط منطقة فراغ لأن بريطانيا ليس أمامها إلا الرحيل والمنطقة مكشوفة وهي مفتوحة لمن يريد أن يعمل ويعيد ترتيب أوضاعها ولا بد للولايات المتحدة أن تسبق غيرها إليها[1]، **فكيف يُسد هذا الفراغ.**

يُسد في نظر الرئيس الأميركي بمعونة خصوصاً أن المنطقة تعرضت في الفترة الأخيرة لاضطرابات واسعة، ويتابع الرئيس: لقد بلغ الشرق الأوسط فجأة مرحلة جديدة حرجة من تاريخه الطويل المهم، ففي الماضي كانت أمم عديدة في تلك

---

(١) محمد حسنين هيكل - ملفات السويس - ص ٧٢.

المنطقة لا تتمتع بالاستقلال الذاتي الكامل وكان غيرها من الأمم يمارس سلطة كبيرة في المنطقة، وأضاف "لقد كان التطور نحو الاستقلال في أساسه تطوراً سليماً، ولكن كثيراً ما ساد المنطقة الاضطراب، ولقد خلقت تيارات عدم الثقة والخوف والغارات المتداولة عبر الحدود القومية قدراً كبيراً من عدم الاستقرار في معظم دول الشرق الأوسط.

وكأني بالرئيس الأميركي يقول إذا كان نجم بريطانيا وفرنسا الاستعماري قد أَفل بعد الحرب العالمية الثانية فلنخرجهما نهائياً من الشرق الأوسط وليحل النفوذ الأميركي مكانهما، وهذا هو سر ما يجري من صراعات في المنطقة صراع أميركي - أوروبي- أبطاله عملاء كل منهما، وضحاياه المسلمون على كافة مللهم ومذاهبهم وأَعراقهم، هذا هو (الربيع العربي) الذي أرادوه لنا!!!

انظروا إلى التصريح العلني الواضح للرئيس آيزنهاور:

إن غرب أوروبا يرتكز اقتصادياً على الشرق الأوسط، ومن ثم يجب أن نضمن بقاء الشرق الأوسط في أيدينا باسم إنقاذه من التوسع الروسي.

لقد كانت هذه المنطقة دائماً ملتقى طرق قارات نصف الكرة الشرقي، وقناة السويس تمكن دول آسيا وأوروبا من مواصلة التجارة التي لا غنى عنها إذا أريد لهذه الدول الحفاظ على اقتصاداتها القوية المزدهرة فالشرق الأوسط هو باب الطريق الذي يصل بين أوروبا وآسيا وإفريقيا.

ومع انتهاء الحرب العالمية الثانية والدور الذي لعبته الولايات المتحدة في ترجيح كفة الحرب لصالح الحلفاء فقد عملت الولايات المتحدة على إزاحة الدولتين الحليفتين فرنسا وبريطانيا من المنطقة وكانت فرنسا المهزومة والمحتلة من قبل القوات الألمانية تبحث هي الأخرى عن دور في الشرق الأوسط بالرغم من أن بريطانيا ومن خلال الصراع على مدار عشرات السنين معها كانت تسعى لإزاحتها هي الأخرى من المنطقة، ومع تغير الظروف بعد الحرب فلم يكن لدى بريطانيا مانع من أن يكون لفرنسا دورٌ محدودٌ.

ويذكر الأستاذ محمد حسنين هيكل[1] أن الرئيس أيزنهاور أعلن في يناير ١٩٥٧/٥ مسؤولية الولايات المتحدة عن منطقة الشرق الأوسط كما يذكر الأستاذ هيكل، أن السفير الأميركي في القاهرة كافري أبلغه أن مصلحة أميركا هي مع العرب وهي أن تؤيد أميركا خروج المنطقة من النفوذ البريطاني[2].

وهكذا احتدم الصراع بين الدول الكبرى على الشرق الأوسط بين أميركا من جهة، المستعمر الجديد القادم والمزهو بانتصاراته والباحث عن الغنيمة له مع التخطيط لنَيْل إرث الإمبراطوريتين البريطانية والفرنسية، ومع تلك الإمبراطوريتين الآفل نجمهما من جهة أُخرى في حين أن بريطانيا وفرنسا بالرغم من تمسكهما بإرثهما في الشرق العربي فإنهما لم تعودا قادرتين على المواجهة، و لم تكن المواجهة ممكنة بالحرب المكشوفة وبالتالي لجأ الطرفان لتجنيد الشباب المسلم وتضليله عن طريق المنظمات المتأسلمة العميلة التي اتخذت الدين ستاراً لها لإعلان الجهاد ضد الدول العربية وضد المسلمين فيها مع الإجهاز على الجيوش العربية القوية المؤثرة على إسرائيل في حين أنهم لم يطلقوا طلقة واحدة ضد إسرائيل بل إن إسرائيل كانت تزودهم بالسلاح والعلاج تارة وتوفر الغطاء الجوي والمدفعي لهم تارة أخرى.

وينقل الأستاذ محمد حسنين هيكل عن ديك شيني وزير الدفاع الأميركي في عهد الرئيس جورج بوش الابن قائلاً: "**إن الولايات المتحدة تستطيع أن تدخل إلى قلب الشرق الأوسط عن طريق قضية مقاومة الإرهاب وليس عن طريق قضية فلسطين، ويساعد على ذلك في تقديره أن حكومات المنطقة الصديقة للولايات المتحدة ليست مهتمة بقضية فلسطين فتلك معضلة تعود العرب عليها ولم تعد تهزهم تداعياتها، إن ميزان الاهتمام الجدي لهؤلاء الأصدقاء هو حماية نظمهم**

(١) محمد حسنين هيكل - عام من الأزمات - ص ٢٧٨.

(٢) محمد حسنين هيكل - الصحافة والسياسة - ص ١٨٧.

فذلك ما يعنيهم قبل غيره ويستطرد هيكل أن رامسفيلد كان يرى أن الوقت مناسب للولايات المتحدة لضربة في العراق للسيطرة التامة على البترول وأيده في هذا الرأي نائبه ومدير التخطيط الإستراتيجي في وزارته بول وولفوتيزر وهو أن على أميركا ألا تضيع وقتها لا مع قضايا مستعصية على الحل ولا مع مخاوف نظم تهرب من ظلها[1].

وكأنّ الوزيرين، تشيني ورامسفيلد قد اطلعا على الغيب السياسي بل قد اطلعا على خطط أميركا العسكرية والتوسعية المستقبلية في منطقة الشرق الأوسط لسد الفراغ الذي تحدَّث عنه كل من الرئيس الأميركي آيزنهاور في الخمسينيات ووزير خارجيته دالاس، فكأن ما قامت به أميركا عام ٢٠٠٣ من ضربها للعراق ومن قبلها استدراج صدام حسين لغزو الكويت لتجد المبرر لحشد قواتها وغزو العراق ثم تأتي من بعد ذلك لتوجه الضربة النهائية التي تمثلت في الاحتلال العسكري للعراق وقلب الموازين السياسية في الشرق الأوسط، فها هي تحقق التوجيه الرئاسي لأَيزنهاور وها هي توجه ضربتها التي بشر بها رامسفيلد وها هي تطرد وتزيح بريطانيا ونفوذها المتمثل بحزب البعث من العراق.

لقد استفادت أوروبا في هجماتها الحديثة على الشرق دروساً كثيرة من الحروب الصليبية الأولى وهي في حملتها الأخيرة على الإسلام والمسلمين تتبع سياسة أحكم في بلوغ مآربها، وتتخذ طرقاً ماكرة وخبيثة في القضاء على الإسلام، بصمت وهدوء دون أن ينتبه عامة الناس وبسطاؤهم إلى ذلك.

وهل يَصْعُب عليها من أن تخلق جيلاً من المسلمين أنفسهم يقضون على دينهم بالإضافة لغير ذلك من المتاعب والنتائج، وحسبها الآن أن تشعل نار الفتنة وتضلل الشباب عن طريق عملائها من الإخوان وداعش والقاعدة وغيرها، ليطحن المسلمون ويقتلوا بعضهم بعضاً وهي تراقب كيف يقضى على الإسلام بأيدي أبنائه ولصالحها.

---

(١) محمد حسنين هيكل - الإمبراطورية الأميركية - ص ١٨٢.

كان الصليبيون يهاجمون في غارات مباشرة فظيعة دون نقاب أو قناع يلبسونه وكان المسلمون بالرغم من طوائفهم المتفرقة يتنادون لجمع الشمل والدفاع عن الديار والعباد هبَّةً واحدة، وهكذا فشل الصليبيون وتعلموا الدرس أما الآن فلا داعي ليحضروا بأنفسهم، كل ما عليهم تجنيد وإنشاء منظمات تدَّعي حمل لواء الإسلام وتطالب بمطالب المسلمين، ولكن الهدف الحقيقي لما يقومون به لا للإسلام ولا للمسلمين، وكما قالها حسن البنا رحمه الله حينما اعترض على بعض أعمال التنظيم الخاص داخل الجماعة من اغتيالات بأنهم ليسوا بإخوان وليسوا بمسلمين.

وفوق ذلك الوسائل الخبيثة التي تسهل مهامهم العدوانية، منها محاربة الدين واللغة العربية ونشر المدارس الأجنبية لاستيعاب أبناء علية القوم والأَغنياء لتخريج جيل يتحدث الأجنبية ولا يفقه من اللغة العربية إلا القليل ولا يكاد يجيد كتابتها أو حتى قراءة القرآن، وفوق ذلك نشر العادات والثقافات الأجنبية بين المسلمين وتشجيع ذلك من خلال وسائل الإعلام وتقسيم الدول إلى طوائف والطوائف إلى مذاهب وإلى إثنيات مختلفة تتباين من عربي وكردي إلى مسلم ومسيحي وإلى شيعي وسني وإلى درزي وإسماعيلي وإلى كاثوليكي وأرثوذكسي ليسهل الاختراق ويكثر العملاء وتسهل بعد ذلك السيطرة والإطباق على بلاد المسلمين.

وبالإضافة إلى محاربة اللغة العربية، امتد اعتداء الصليبيين والصهاينة على القرآن نفسه، فقد تم الكشف في واشنطن وتل أبيب عن مجموعة صهيونية صليبية غربية تعمل وبشكل علني على تزوير القرآن الكريم من خلال حذف بعض ألفاظه وآياته وإحلال آيات وألفاظ مضادة لها وتقوم هذه المجموعة، واسمها صهيونيست بتسويق هذا القرآن المزيف إعلامياً في أوروبا وأميركا[1].

ولا يخفى علينا محاولات تشويه الإسلام والمسلمين حديثاً بحرق المصاحف علناً وعلى وسائل الإعلام المرئية والكتابات المسيئة للرسول ﷺ في الصحف الغربية على كافة الصعد والأَوساط السياسية والمدنية الاجتماعية.

---

(١) محمود عبد الرحمن - التنصير والاستغلال السياسي - ص ١٠٤.

الفصل الثاني

وهم الربيع العربي

لماذا الربيع العربي ولماذا لا يقولون الربيع الإفريقي أو الربيع الهندي، أو غير ذلك؟

نجد الإجابة على ذلك في تصريح للرئيس الأميركي آيزنهاور عندما تم في الشهر الأول من رئاسته رسم الخطوط الأولى لسياسة إدارته إذ تم تسميتها (معركة القرن)، ومع أن القرن كان في منتصفه، فإن الرئيس آيزنهاور، يشرح في وثيقة توجيه إستراتيجي تحمل توقيعه "إن منطقة الشرق الأوسط هي المنطقة الوحيدة في العالم التي تعيش انكشافاً أمام الاتحاد السوفيتي عسكرياً وسياسياً.

عسكرياً لأن حلف الأطلنطي يغطي أوروبا كما أن حلف جنوب شرق آسيا يدور على جوار الصين لكن المنطقة بين الحلفين هي الثغرة المفتوحة والقلقة، ومن هنا فإن على الولايات المتحدة أن تملأ الثغرة وتسدها وتزيح الاستعمار القديم متمثلاً ببريطانيا وفرنسا، كما أن شعوب منطقة الشرق الأوسط راودها حلم أن تستقل وتنهض بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية، لكن هذه الشعوب فقيرة ومستضعفة، فإذا كان على الولايات المتحدة أن تملأ الفراغ العسكري فإن عليها أن تملأ الفراغ السياسي وبالتالي **فإن عليها أن تأتي بحكام جدد يلبّون طموحات شعوبهم ويمكن للولايات المتحدة أن تعتمد عليهم.**

الربيع العربي نموذج جديد من الحروب الصليبية:

إن الدول السبع الصليبية بقيادة بريطانيا وفرنسا لم تحرك ما أسموه الربيع العربي لمصلحة الشعوب بل تآمروا على الشعوب طمعاً في ثرواتها وخيراتها.

اقرأوا ما كتبه برنارد ليفي في كتابه (الحرب بدون أن نحبها) وهو اليهودي المتعاطف مع إسرائيل والعاشق للصهيونية وقد شرح ليفي في كتابه دوره العملي فيما جرى في ليبيا، فهو يقول بصراحة: إنه صانع ما جرى في ليبيا ومدبره وأنه هو الذي كتب بيانات المجلس الانتقالي في ليبيا وأنه هو الذي حرك دفعات المال وشحنات السلاح من كل مكان إلى ليبيا وهو الذي دعا إلى حشد القوات وهو الذي يكشف أن رئيس وزراء بريطانيا دافيد كاميرون لم يقبل المشاركة في العمليات ضد ليبيا إلا بعد أن حصلت الشركات البريطانية على حصتها من نفط ليبيا مقدماً[(١)]!!.

الغزو من الداخل[(٢)]:

يذكر الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل في كتابه سنوات الغليان بأن وزير الخارجية الأميركي في الخمسينات من القرن الماضي كان يطرح فكرة الغزو من الداخل، وفي مواجهة هذا النوع من الخطر فإن الوحدة الوطنية هي خط الدفاع الأول عن كل مكتسبات النصر وجوائزه وهذا يفسر ما حصل بعد خمسين سنة من طرح فكرة دالاس .بما حصل في الدول العربية من الغزو من الداخل وأطلقوا عليه الربيع العربي.

البروفيسور إيلي جيتز برج:

ورد في كتاب محمد حسنين هيكل بأن البروفيسور جيتز برج كتب تقريراً إلى وزير خارجيته بعد رحلة قام بها إلى مصر تحت رقم ١٠٥٣/٧٦-١٩٥٧ ملف مصر، - جاء في التقرير:

بعد رحلة قابلت في روما الكاردينال سبران الذي تعرفون أنه ليس فقط كبير الكرادلة بل هو أيضاً المسؤول عن الكنائس الشرقية وقد يهمكم بوجه خاص أن تعرفوا أنه كان راغباً في استقبالي لأنه قام في اعتقادي في الفترة الأخيرة بإعادة تقييم

---

(١) محمد حسنين هيكل - مصر إلى اين - ص ٢٦٢.

(٢) محمد حسنين هيكل - سنوات الغليان - ص ١٢٥.

للأوضاع في الشرق الأوسط وإفريقيا، وأنه لم يعد يطيق المخاطر التي تتعرض لها المسيحية من جراء توسع حركة القومية العربية ولقد حدث تحول ملحوظ في الجو المحيط بالفاتيكان في روما.

فقد انتهى خبراء الفاتيكان العاملين مع البابا إلى أن القومية العربية بوجه عام وحليفها الإسلام تمثلان خطراً على الكنيسة، ولا يمكن أن تكون حليفاً محتملاً بحكم أن العرب والفاتيكان معاً يطالبون الآن بتدويل القدس، إن البابا لم يغير رأيه في تدويل القدس ولكنه الآن أصبح يخشى على المسيحية من تيار القومية العربية"[1].

انتهى الكلام في برقية جتزبرج، و لم يقل لنا الرجل مصدر مخاوفه أو مخاوف البابا من مخاطر الإسلام والقومية العربية على الكنيسة أو المسيحية بالرغم من أن الإسلام هو الديانة الوحيدة التي حافظت على سلامة ومعتقدات الأفراد والشعوب في المناطق والدول التي دخلوها إلى حد أن ولاتها كانوا يحاسبون ويعاقبون إذا ثبت إساءة أحدهم أو أي من رعاياهم لغير المسلمين ولعل في قصة ابن عمرو بن العاص مع القبطي في مصر وعقاب عمر بن الخطاب له خير مثال على ذلك ولعل في سمرقند ودخول أهلها الإسلام راضين مطمئنين بعد أن أمر القاضي المسلم الجيش بالانسحاب لعدم اكتمال إجراءات الدخول القانونية شرعياً (دستورياً) لعدم عرض الصلح أو الجزية لدليل آخر، ولعل الحرية التي تمتع بها يهود ومسيحيو الأندلس لمثال ثالث على سماحة الإسلام مع الديانات الأخرى.

وحديثاً نجد العداء يتجدد من بابا روما الذي انطلق من قلعته في الفاتيكان إلى مشارق الأرض ومغاربها، ليحيّي الألوف المحتشدة التي تنتظره، ورؤساء الدول في شرف استقباله، ومن مرت طائرته في أجوائهم أرسلوا إليه تحياتهم العطرة، وربما طائراتهم الحربية لمرافقته في أجوائها، فإذا خطب في نيجيريا ومعظم سكانها مسلمون، تحدث

---

(١) محمد حسين هيكل - سنوات الغليان - ص ١٣٤.

بضيق عن تعدد الزوجات في الإسلام وأومأ إلى منافاتها للأخلاق!! ولم يحدثنا حبر روما (الأعظم) عن مدى مواءَمة الأخلاق لدور الدعارة العلنية المنتشرة في معظم دول العالم الأول والثاني (أميركا وحلفائها في أوروبا الغربية وروسيا وحلفائها في أوروبا الشرقية) والتي تعمل بتصاريح وتراخيص عمل حكومية وتدفع الضرائب للدولة، بل ولم يحدثنا عن الأخلاق ومواءَمتها لشبابيك عرض النساء (Windows Shops) التي تعرض فيها النساء عاريات (إلا من شريطين صغيرين للصدر والعورة)، حيث يمر على تلك الشبابيك (الفاترينات النسائية) راغبو المتع الحرام لاختيار ما يرغبوا منهن بثمن بخس لا يتعدى خمسين يورو أو مائة دولار أميركي ثم ماذا؟ ليأتي الحبر الأعظم ويحدثنا عن عدم الأخلاق في تعدد الزوجات، ولتتهمنا دول العالم ومنظمات حقوق الإنسان بإمتهان المرأة في الإسلام وهضم حقوقها!!!.

بريطانيا وأطماعها في سوريا:

يقول الوزير المفوض البريطاني في السفارة البريطانية في باريس المستربيت في برقية إلى وزير الخارجية البريطانية نقلاً عن المسيو دوبري (الفرنسي): **إن سوريا مفتاح الشرق الأوسط والاتحاد السوفييتي يحاول الحصول على هذا المفتاح ولا بد من تغيير الأوضاع في سوريا إما بحركة داخلية أو بدخول الجيش العراقي إلى سوريا وضمها إلى العراق**[١][٢].

إن ما يؤرق الغرب إدراكه أن يقظة العالم الإسلامي ووحدة دوله سوف تحدث تغييراً في مجرى التاريخ المعاصر لذلك يعمل الغرب على احتواء العالم الإسلامي وإشعال الصراع والحروب وإذكاء فِتَنِ الطائفية والقومية والوطنية بين دوله لإضعافهم وسهولة

---

(١) محمد حسنين هيكل - ملفات السويس - حرب الثلاثين سنه - ١٩٦٧ - سنوات الغليان - الجزء الأول - ص ١٤٥.

(٢) لقد فعلوا الشيء نفسه عام ٢٠١١ تحت مظلة الربيع العربي والفوضى الخلاقة.

السيطرة عليهم وتفتيتهم ثم استنـــزاف ثرواتهم ووضع الحواجز للفصل بين الشعوب الإسلامية وصولاً إلى تبديد الطاقة والإضعاف ومن ثم الاحتواء والهيمنة والاستغلال لثرواتهم، وذلك لاعتقادهم (وهو حق) بالعالمية الإسلامية وأن الزحف الإسلامي قادم لا محالة إلى حصونهم.

فها هي فرنسا وبعد أن فشل المستعمر الفرنسي في زعزعة عقيدة الإسلام في نفوس المسلمين في المغرب العربي، راح الفرنسيون يعزفون على نغمة عربي وبربري في محاولة لسلخ البربر عن الإسلام وعن العرب بعد أن عجزوا في ذلك عن طريق التنصير والترغيب والترهيب وها هو غلادستون كبير وزراء بريطانيا في القرن التاسع عشر يصرح أنه ما دام القرآن موجوداً فلن تستطيع أوروبا السيطرة على المشرق ولن تكون هي نفسها في أمان[(١)].

وغلادستون هو القائل أن العقبة الكؤود أمام استقرارنا في بلاد الإسلام شيئان ولا بد من القضاء عليهما مهما كلفنا الأمر، أولهما هذا الكتاب (يعني القرآن الكريم) ثم أشار إلى الشرق وقال وهذه الكعبة[(٢)].

أما لاكوست وزير المستعمرات الفرنسي فعلل فشل قواته في المغرب العربي قائلاً: "وماذا أَفعل إذا كان القرآن أقوى من فرنسا"[(٣)].

ويرى براون أن الإسلام كان الجدار الوحيد في وجه الاستعمار الأوروبي وكان رائداً للمقاومة الشعبية وللجهاد ضده وهو العقبة الكأداء التي تحطمت عليها قلاع الصليبية وانحنت أمام شموخها هامات المستعمرين[(٤)].

---

(١) محمود عبد الرحمن- التنصير والاستغلال السياسي- ص ٨٠.

(٢) محمود عبد الرحمن- التنصير والاستغلال السياسي- ص ٨٢.

(٣) محمود عبد الرحمن- التنصير والاستغلال السياسي- ص ٨٢.

(٤) محمود عبد الرحمن- التنصير والاستغلال السياسي- ص ٣٧.

ومن هنا بدأ تفكير أوروبا في غزو العرب والمسلمين ثقافياً ودينياً وبالتالي بدؤوا في البحث عن وسائل أخرى لغزو المسلمين غير الوسائل العسكرية بما في ذلك الغزو التنصيري لكافة مؤسساته الطبية والتعليمية والهندسية والاقتصادية والإنسانية.

الإسلام السياسي الأداة الجديدة للصليبية والصهيونية العالمية:

لم يكن الأخوان جون وألان دالاس أول من استغل الإسلام في النفاذ إلى العالم العربي والإسلامي.

١) فقد أدرك الغرب قيمة الإسلام في تحريك جماهير المسلمين والسيطرة عليهم منذ أيام نابليون بونابرت الذي تظاهر بالإسلام أولاً ثم حاول التودد إلى شيوخ الأزهر والاجتماع بهم لمناقشة القرآن والثناء على نبي الإسلام ﷺ ليخرجوا من عنده وقد أبهرهم إيمانه (بل أكاذيبه وخدعه) وراحوا يثنون عليه ويحرموا مقاومته، ويعلنون سرعة فرحتهم بسقوط يافا بأيدي الفرنسيين ويشيعون أن ذلك قدر الله (كلمة حق أريد بها باطل) وأنه مع قدر الله فإن السلاح والمقاومة لا تنفع فاستقيموا يا عباد الله وارضوا بقضاء الله وعليكم بتقوى الله، واعلموا أن الملك لله يؤتيه من يشاء، ولم يعلم هؤلاء المشايخ (وقد يكونوا قد علموا وتجاهلوا) أن نابليون غدر بأهل يافا وقتل الأسرى بعد أن أمّنهم على حياتهم[1].

٢) وخلال ثورة القاهرة الأولى ضد الفرنسيين أخرج علماء الأَزهر بياناً يتهم الثوار بأنهم أَصحاب فتنة كما أدان بعض العلماء سليمان الحلبي قاتل كليبر ونددوا بفعلته واتهموه بصاحب فتنة وأنه عميل المماليك، والبريطانيون من أبرع أساطين الدهاء والنفاق، فكان الإنجليز أكثر سخاء في التقرب من المسلمين ودعم الحركات الإسلامية وتظاهر بعض مسؤوليها بالإسلام كجون فيلبي مستشار ابن سعود، وأنشؤوا القاديانية في الهند التي نادت بعدم جواز مقاومة الإنجليز بل أن

(١) الحملة الصليبية على العالم الإسلامي - يوسف العاصي الطويل - ص ٣٧.

مؤسسها في الهند غلام أحمد اهتم بمدح الإنجليز وحرص على تأييدهم والدعوة إلى طاعتهم والإخلاص لهم وأكد أنه لا يحل الجهاد ضد الحكومة الإنجليزية التي أحسنت إلينا بل على العكس من ذلك على كل مسلم أن يطيع هذه الحكومة، كما دعمت بريطانيا الأخوان في مصر ودعمت حركة التبليغ في الهند أولاً ثم في بريطانيا لاحقاً ودعمت الحركة البهائية في إيران واستضافت لديها تحت ذريعة اللجوء السياسي معظم قادة القاعدة والأخوان واستخدمتهم في تأجيج الفتنة بين المسلمين لتحقيق مآربها في تقسيم وتفتيت العالم الإسلامي والسيطرة عليه إشباعاً لحقدها على الإسلام من جهة وطمعاً في ثروات المسلمين من جهة أخرى وهي التي بذرت بذرة الوهابية وشجعتها على محاربة كافة المذاهب الإسلامية الأخرى.

ويذكر الأستاذ محمد حسنين هيكل، كيف أن مدير المخابرات الفرنسية السابق "دي ميرانش" يظهر اهتماماً خاصا بالسعودية لاعتقاده بأن الإسلام يجب أن يلعب دورا أساسيا في حماية النفط، وكان قوله إنه من حسن الحظ أن أكبر مصدر للنفط هو نفسه بيت الأماكن المقدسة لدى المسلمين، وفرنسا لا ترى صداماً بين الإسلام وأوروبا، وعلى العكس فإن فرنسا من أنصار حوار الأَديان بين الإسلام والغرب وقد بدؤوا بالفعل بجهودٍ مشتركةٍ مع علماء السعودية، وإن كان علماء السعودية قد استشعروا الحرج من هذا الحوار[1].

ويرى الأستاذ محمد حسنين هيكل أن اعتراف الغرب وأميركا بالإخوان المسلمين لم يأت قبولاً بحق لهم ولا إعجاباً ولا حكمة لكنه جاء قبولاً لنصيحة عدد من المستشرقين لتوظيف ذلك في تأجيج فتنة في الإسلام لصالح آخرين لتغيير طبيعة الصراع الرئيس في المنطقة من صراع عربي إسرائيلي إلى صراع إسلامي مذهبي سني شيعي وعربي فارسي، وأن الخرائط الجديدة لا توزع تركة الدولة العثمانية كما في سايكس بيكو إنما تركة المشروع القومي العربي.

---

(١) محمد حسنين هيكل - مبارك وزمانه من المنصة إلى الميدان - ص ٨٧.

أما بريطانيا فكانت أكثر خبثاً ودهاء فها هو جون فيلبـــي - أبو عبد الله- يتظاهر (بإعلان إسلامه ليحافظ على مركزه القريب من ابن سعود ويوجهه حيث يشاء).

وها هي بريطانيا تحرض الهاشميين على الأتراك المسلمين، و لم يفت بريطانيا الخبيثة من تلميع عملائها ممن تعاونوا معها لتحقيق أهدافها فأضفت عليهم هالة من القدسية والعظمة، فمنحت ذلك الشيخ وسام الفارس، وآخرون أحفاد النبي ﷺ وآخر سليل النبي محمد ﷺ وذاك أمير المؤمنين، وذاك خادم الحرمين الشريفين، وذلك الحسيني (نسبة إلى الحسين بن علي عليه السلام) وهكذا جاءت علينا بمجموعة من الأشراف والأولياء، وجميعهم كانوا في الحقيقة في خدمة مصالحها على حساب شعوبهم وأُمتهم وعقيدتهم وأن الثمن البخس مقابل ذلك كان حماية أُسرهم وعروشهم من كيد الأعداء وحسد الأمراء[١].

إن من يركِّبون الثورات العربية بإعلانهم الجهاد ضد الأنظمة الطاغية من على المنابر ويسخّرون لأولئك الذين يحرّضونهم ويفتون لهم هم آخر من يفكر في الجهاد الحقيقي أو حتى الجهاد مع أولئك الذين يضللونهم ويفتون لهم، ترى لماذا لم نسمع أن أحداً منهم ذهب إلى فلسطين؟ ولماذا لم يطلقوا رصاصة واحدة على الإسرائيليين؟ ولماذا لم يرسلوا المجاهدين إلى المسجد الأقصى بدلاً من إرسالهم إلى سوريا والعراق أو على الأقل لماذا لم يرسلوا السلاح إلى فلسطين بدلاً من شحنه إلى سوريا والعراق واليمن وليبيا؟ وهل صدفةً جاء الربيع العربي إلى الدول المؤثرة صاحبة مركز الثقل والمتحكمة في المنطقة ابتداءً من مصر مروراً بسوريا والعراق واليمن ووصولاً إلى إيران؟ إن من يسيطر على دفة الأمور في تلك الدول يسيطر على الممرات المائية ابتداء من باب المندب - قناة السويس- مضيق هرمز- وبالتالي يتحكم في بترول الشرق الأوسط ومن ثم بالنفوذ العالمي بشكل عام.

لقد عجز الغرب الصليبـــي عن إذكاء الفتنة بين المسلمين على مر التاريخ ووجد ضالته المنشودة في هؤلاء المتأسلمين وهم الأقدر على تنفيذ مخططاته.

---

(١) محمد حسنين هيكل- عمر من الكتب- زيارة جديدة للتاريخ- ص ٢٧٧.

ثم كيف لنا أن نفهم من هؤلاء المتأسلمين دعاواهم وفتاواهم الباطلة بضرورة الصبر على الحاكم وإن جلد ظهرك وأخذ مالك علماً أن هذه هي فتاوى السلاطين المقصورة على الحكام في دولهم (دول الفتوى)، في حين أنهم يفتون للشعوب الأُخرى بالثورة على الحاكم الظالم وأكثر من ذلك يفتون بهتاناً وزوراً بقتل جنود الحاكم الظالم وعلمائه وموظفيه وأعوانه، هكذا قال القرضاوي كل ذلك من أجل الديمقراطية التي رفضها كبار علماء بعض الدول العربية لأنها تعطي السلطة للشعب بدل الله في حين أن نفس العلماء أباحوها في الدول الأخرى، بل وجيشوا مئات الألوف من المقاتلين ودفعوا مليارات الدولارات من أجل تلك الأهداف!!.

لقد تنبأ الأستاذ محمد حسنين هيكل بأحداث سوريا عام ٢٠١١ قائلاً:

يجيء الدور بعد ذلك على إقليم الهلال الخصيب، وهو الإقليم الذي أشعر بالخطر الشديد عليه وأخشى أنه الآن مفتوح لخريطة جديدة ترسم له استعداداً للقرن الواحد والعشرين وفي الأغلب قبل انقضاء الربع الأول من ذلك القرن[١] وكأني بالأستاذ هيكل يستقرئ المستقبل، فها هي المؤامرة تحاك لسوريا وللهلال الخصيب وفي الربع الأول من القرن الواحد والعشرين بل في وسط هذا الربع وكما توقع هيكل قبل عشرين عاماً من الأحداث التي أسموها زوراً وبهتاناً بالربيع العربي.

ومن مفارقات القدر أنه بعد مائتين وعشر سنوات من فتاوى علماء الأزهر لصالح نابليون بونابرت طلع علينا من أُطلق عليه رئيس علماء المسلمين المدعو الشيخ القرضاوي ليوجه نداء علنياً عبر محطة تلفاز دولة قطر وأثناء خطبة الجمعة، منادياً أميركا أن تضرب ضربتها في سوريا؟[٢].

(١) محمد حسنين هيكل - مبارك وزمانه - ماذا جرى في مصر ولها - ص ٣٢١.

(٢) من مفارقات القدر أن الطائرات الأميركية التي هاجمت سوريا فجر يوم السبت ١٤/٤/٢٠١٨ انطلقت من قاعة العديد في قطر.

وعلى الجانب الآخر تم في سوريا قتل واغتيال عشرات علماء المسلمين والقادة الوطنيين أو أبنائهم الذين تصدوا للمؤامرة ونبهوا الناس إلى الفتنة وحذروهم منها وفطنوا إلى أطماع أعداء الأُمة من الصليبيين والصهاينة، وكان في مقدمة هؤلاء الشهداء الشهيد العالم الجليل محمد سعيد رمضان البوطي، الذي أهدر الشيخ القرضاوي دمه وحرض على قتله في فتواه المعروفة عبر شاشة التلفزيون القطري عندما قال لمحدثه "يجوز قتل جنود النظام وعلماء النظام وموظفي النظام. "تحت راية الحرية والربيع العربي".

الحملة الصليبية العاشرة:

إذا كان رئيس وزراء بريطانيا لويد جورج قد أبرق إلى الجنرال اللنبي مهنئاً له على دخوله القدس وانتصاره فيما اعتبره لويد جورج الحملة الصليبية الثامنة[١]، فإننا في القرن الواحد والعشرين وبعد مائة عام من حملة أللنبي في مواجهة حملة صليبية جديدة هي الحملة الصليبية العاشرة، لقد غير الغرب الصليبي من تكتيكه واستراتيجيته في غزو بلاد المسلمين والسيطرة عليها، فقد أدرك أن الدخول العسكري المباشر هو خطر كبير على جنوده، ومن شأنه أن يوحد المسلمين في الدفاع عن أوطانهم أمام الغزاة الجدد أيّاً كان مسمّى حملتهم العسكرية، ومرة أخرى التقت الأطماع الصهيونية والصليبية معاً لغزو بلاد المسلمين والتقت أفكار الصليبيين والصهاينة من نورانيين وماسونيين بمخططات وايزهاوبت في السيطرة على بلاد المسلمين، ولكن ليس بالغزو العسكري المسلح كالسابق وإنما الآن بالغزو الداخلي الذي نصت عليه بروتوكولات حكماء صهيون ومخططات وايزهاوبت[٢]، إذ خرجوا علينا بوهم الربيع العربي تحت شعارات رنانة خادعة من ديمقراطية وحرية ومحاربة الدكتاتورية من

---

(١) الحقيقة أنها كانت الحملة التاسعة نظراً لأن الحملة الثامنة كانت عام ١٢٧٠ عندما قام لويس التاسع بالحملة على تونس.

(٢) انظر (النورانيون وروتشيلد واجتماع فرانكفورت ومخططات اليهود للسيطرة على العالم) - الجزء الأول - الفصل الثالث - ص ٣٥.

فئة خاصة من الحكام (بالرغم من أنهم لم يقتربوا و لم يمسوا الحكام الدكتاتوريين الحقيقيين الذين أتوا بهم بدباباتهم ومستشاريهم وجواسيسهم منذ أكثر من مائة سنة).

وقد خرجوا علينا بأشكال من المؤامرات التي أسموها ثورات ومن الخريف الذي أسموه ربيعاً وأطلقوا على تلك المؤامرات أسماءً مختلفة.

ويرى الكثيرون في الشرق والغرب أن التسميات تتعدد وهي واحدة:

الثورات الناعمة، الانقلابات الناعمة، ثورة الياسمين في تونس ٢٠١١ ثورة الورد في جورجيا ٢٠٠٣ وثورة التوليب في قيرغزستان ٢٠٠٥ وثورة البرتقال في أوكرانيا، تلك الثورات التي قامت في العالم عامة وفي الوطن العربي خاصة، ما هي إلا واجهة للحرب الاستعمارية والصراع على النفوذ في الشرق الأوسط وأوراسيا الذي خططت له أميركا وإسرائيل وبريطانيا وفرنسا بل قل هي الحملة الصليبية العاشرة امتداداً للحملة الصليبية التاسعة التي قادها الجنرال أللنبي واحتل فيها القدس في ١٩١٧/١٢/١١ أي قبل زهاء المائة عام حيث قام الأُخطبوط الصليبي الصهيوني الذي يتمثل بالسي آي إيه الأميركية والـــMI٦ البريطانية والمخابرات الفرنسية والموساد الإسرائيلي، مجتمعين أو منفردين باستحداث منظمات إرهابية مقنعة تظاهرت بالإسلام، فزرعوا عملاءهم وجواسيسهم داخل تلك المنظمات ضماناً لهم للسيطرة عليها وإحكام توجيهها وفق مخططاتهم ومصالحهم الاستعمارية، ومن يدري فقد غسلوا أدمغتهم وضللوهم.

وساعد على هذا التضليل شيوخ الفتنة المتأسلمين الذين حرضوا على القتل جهاراً نهارا وأباحوا دماء المسلمين، بل إن الشيخ القرضاوي أفتى علناً بقتل القذافي وقتل جيش وعلماء وموظفي النظام السوري وكل من تعاون معه، ضارباً بعرض الحائط الأخلاق والتعاليم الإسلامية التي توارثها الصحابة عن الرسول الأعظم ﷺ في عدم قتل ناسك ولا راهب ولا شيخ ولا طفل ولا امرأة وكل من لا يقاتل في ساحات القتال، هذا مع الأعداء، فكيف الحال إذا كانت الفتاوى لقتل وذبح المسلمين بمجرد معارضتهم لهم فكرياً وها هو القرضاوي وتلامذته يُحِلُّون قتل المسلمين من كافة الملل والطوائف تحت مختلف الذرائع.

الفصل الثالث

حرب اللا عنف والفوضى الخلاقة



إن ما أسموه الربيع ما هو إلا وهم وخدعة لعامة الناس من العرب والمسلمين مستغلين بذلك الخلل في النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي في معظم الدول العربية وجيشوا وجاؤوا بعشرات آلاف المقاتلين تحت ستار الربيع العربي أو الديمقراطية ومحاربة الدكتاتورية وفي الواقع فإن ما أسموه الربيع العربي ليس له أساس في الواقع، وإنه شعار دعائي الهدف منه عرض وقائع غير متجانسة بشكل إيجابي وإنه ليس إلا وسيلة جديدة من وسائل الاستعمار الغربي ونسخة مبتدعة من سايكس بيكو في عام ١٩١٦ التي خططت لها بريطانيا وفرنسا للسيطرة على المنطقة وتقسيمها وزرع إسرائيل فيها باسم التحرر القومي، وها هو الغرب يعود هذه المرة ليسيطر من جديد على الأوضاع باستخدام الدين، لكي يطيح بجيل من القادة وفرض الأخوان (المسلمين) مكانهم خدمة للأهداف الصهيونية.

ولعل هذا التخطيط الخبيث في استغلال الدين بدأ منذ أوائل القرن الماضي عندما دعمت بريطانيا الأخوان واستخدمتهم في تنفيذ مآربها في مصر وسوريا ودول عربية أخرى ممن لا تدور في فلكها وتحت مسميات مختلفة كالإخوان والإصلاح والسلف والقاعدة والنصرة وغيرها من التنظيمات المتأسلمة.

كما أن أميركا بدورها خططت على لسان وزير خارجيتها جون فوستر دالاس الذي جاهر بأن الدين هو السلاح الأكثر فاعلية ونفاذاً إلى العالم الثالث لأنه الهوية التقليدية لشعوبه، وأُممه ما زالت مع وعيها العذري الفطري، يظلُّ الدين بالنسبة لها عقد سياسي واجتماعي وحيد تقيم به جسراً بين الآخرة والأولى، أما شقيقه ألان دالاس مدير المخابرات المركزية في نفس الفترة من خمسينات القرن الماضي فقد عمل

على اتخاذ شعارات الإسلام لتكون وسيلتها وذخيرة سلاحها، وهكذا تم وضع حجر الأساس لاستغلال الإسلام والجماعات الإسلامية لخدمة المخططات الأميركية[1].

ولعله ليس من الصدفة أنه في العام الذي حددت فيه المخابرات المركزية (عام ١٩٥٣) أن الإسلام هو وسيلة النفاذ للعالم الثالث، تمَّ تأسيس حزب التحرير على يد مؤسسه تقي الدين النبهاني والمتهم بالتبعية لأميركا في ذلك العام.

إن الربيع العربي ما هو إلا كذبة دعائية بعد أن تأكد أن الذين جاؤوا إلى الحكم في تونس وليبيا ومصر هم جماعة دينية وأن نفس الجماعة هي التي تحاول السيطرة على الدولة في العراق وسوريا واليمن.

وأن لطف الله بمصر هو الذي أنقذها من براثن الأخوان بمعجزة إلهية.

إن السؤال الذي يطرح نفسه، إذا كانت القوى الغربية بقيادة أميركا وبريطانيا تدعم الشعوب في تقرير مصيرها وصولاً إلى الحرية والديمقراطية، فلماذا لم نر دولة غربية واحدة تدعم الشعب الفلسطيني الذي يتعرض يومياً لأبشع أنواع القتل والظلم والاضطهاد على مدار مائة عام منذ الحرب العالمية الأولى وحتى الآن؟

ثم ما هو السر الغريب في أن الربيع العربي لم يقع في أي دولة من دول الحكم الوراثي العربية ممن تسير في فلك بريطانيا وأميركا وفرنسا؟

وها هي وسائل الإعلام والفضائيات العربية التابعة لسيطرة الأخوان وأسياد الأخوان كالجزيرة والعربية، تلعب الدور الفاجر العلني في تأجيج الفتنة وافتعال الأحداث وبث الإشاعات وقلب الحقائق والتهويل كل ذلك من أجل إيهام المشاهد البسيط وإقناعه بجدية الربيع وأسبابه والآمال المنعقدة عليه، إن تلك الفضائيات للأسف تساهم بصورة مباشرة بتحقيق أجندات أجنبية تسعى لتفتيت العالم العربي وإخضاعه للهيمنة الاستعمارية الصليبية والصهيونية ومن مفارقات القدر أن الربيع

---

(١) الحملة الصليبية على العالم الإسلامي والعالم- يوسف العاصي الطويل- ص٢١٤- ٢١٥.

أي ربيع يأتي بشمسه من المشرق ولكن ما أسموه الربيع العربي جاءنا من الغرب ضد الفطرة والناموس الطبيعي الأمر الذي حمل فشله معه بإذن الله.

ترى هل من عاقل يصدق أن من خطط وشجع التآمر مع الإنجليز لضرب الأتراك المسلمين وطردهم من الدول العربية ليأتوا ببريطانيا والذين باعوا فلسطين لأبناء العم اليهود المساكين[1]، سيأتون بربيع عربي علماً أن ما من أحد منهم أرسل رصاصة واحدة للفلسطينيين لمحاربة إسرائيل بل أكثر من ذلك إنهم لم يجرؤوا على التصريح (مجرد التصريح) بتسليح الفلسطينيين أو السكوت عن دخول الأسلحة لهم؟

وحرب اللاعنف وضَعَها مهندس ثورات اللاعنف - جين شارب- وهو أكاديمي أميركي سابق في جامعة بوسطن وعميل للمخابرات المركزية الأميركية.

كانت مجموعة المتآمرين والمنفذين أو الممولين الظاهرين من الأفراد مؤلفةً من جورج سوروس والسناتور جون ماكين والمستشار السابق ورئيس مجلس العلاقات الخارجية ريتشارد هاس، وكان على رأس القائمة رأس الشؤم جين شارب وبرز شارب محرضاً للثورات في العالم انطلاقاً من معهد الأبحاث الذي أسسه عام ١٩٨٣ وأطلق عليه اسم ألبرت آنشتاين واتبعت منظمة ألبرت آنشتاين لتحقيق أهدافها الأعمال الآتية:

---

(١) يعد الملك عبد العزيز أول حاكم عربي يقبل بإقامة إسرائيل، ولم يمانع ابن سعود عندما طلب إليه برسي كوكس أن يوقع على جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود إذ كتب بخط يده "أنا السلطان عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود، أقر وأعترف ألف مرة للسيد برسي كوكس مندوب بريطانيا- لا مانع عندي من إعطاء فلسطين للمساكين اليهود أو غيرهم كما ترى بريطانيا التي لا أخرج عن رأيها حتى تصبح الساعة، وعندما سأله برسي كوكس ما رد فعله حول تشريد شعب فلسطين بسبب هذا التوقيع، قال عبد العزيز وهو يضحك بصوت مرتفع تريد أن أغضب بريطانيا لأن عددا من أهل فلسطين سيشرد؟ - الموجز في تاريخ آل سعود الدموي- عبد الجبار محمود العجمي- ص ٧٩.

١) تشجيع الأبحاث والدراسات السياسية حول أساليب العمل غير العنيف واستعمالاتها في الماضي في نزاعات مختلفة.

٢) طرح نتائج البحوث أمام الرأي العام من خلال المنشورات ووسائل الإعلام.

٣) التشاور مع المجموعات المتنازعة حول الإمكانية والإستراتيجية للعمل اللاعنيف.

ويرجع الفضل في نشر أعمال جين شارب إلى تلميذه بيتر آكرمان حيث قام بتمويل جين شارب لنشر أعماله حول العالم.

وهكذا كانت بدايات شارب عن طريق معهد ألبرت آنشتاين، وارتبطت أعماله بالكولونيل روبرت هالفي وغدت حركات اللا عنف أو نضال اللا عنف عملية ممنهجة ومنظمة حيث يتم الضغط على الدولة من الداخل عن طريق الطابور الخامس (بإضعاف أجهزة الدولة) واختراقها وتدميرها وإحراقها وإضعاف النظام في الدولة عن طريق الإضراب ولزوم المنازل ورفض التعامل مع مؤسسات الدولة لإسقاط الدولة في الفوضى (الخلاقة) وتراكم النفقات والديون عليها وبالتالي انهيارها بدون تدخل خارجي.

ومن الظواهر الغريبة في هذه الثورات (المؤامرات) تحالف التكفيريين والجماعات والتيارات الليبرالية المرتبطة بالأجهزة الأطلسية على مختلف دولها وألوانها ولم يكن غريباً أن نشاهد إسرائيل تدعم هؤلاء التكفيريين (المجاهدين) بالأسلحة والعربات المدرعة تارة، وبالإيواء والعلاج تارة أخرى، وضرب الأهداف في الدولة (الهدف) تسهيلاً لأولئك المجرمين لتحقيق أهدافهم التي هي في الحقيقة أهداف صهيونية صليبية "من حيث يدري أولئك (الثوار) التكفيريون أو لا يدرون" **وتحدثت الباحثة والإعلامية الأوروبية المعروفة إشتيلنغ بيرن أن المعركة التي تدور في سوريا منذ عام ٢٠١١ ليست معركة حريات وتغيير ديمقراطي بل هي معركة إقليمية دولية لها أهداف مركبة من أبرزها تعميم نموذج محدد من أميركا وحلفائها يخدم المصالح**

الأميركية والغربية كي لا يبقى أي نظام حكم معارض للسياسة الأميركية وللمشروع الإمبريالي الصهيوني الصليبي للسيطرة على العالم الإسلامي والمشرق العربي (فيما عرف بالشرق الأوسط أو الشرق الأدنى) وهو ما تنبهت له روسيا وسارعت للتحالف مع سوريا لقطع الطريق على هذا الحلف الشيطاني، في الوقت الذي غرقت فيه بعض الدول العربية وحكامها من محرض وممول علني إلى متواطئ صامت يساعدهم في ذلك شيوخ الفتنة ممن أطلقوا على أنفسهم أو أطلق عليهم أولئك المتآمرون هيئة علماء المسلمين وغيرهم من شيوخ الفتنة الذين التقت أفكارهم مع علماء الهيئة وساروا في ركَابها كالقرضاوي والقرني والعريفي والعرعور وغيرهم.

ومن ضمن المؤسسات الصهيونية التي تعمل في هذا الصدد مجموعة الأزمات الدولية بقيادة الملياردير اليهودي الصهيوني المتعصب شديد الكراهية للإسلام جورج سوروس بالتعاون مع المعهد الديموقراطي الأميركي" وثيق الصلة بالمخابرات الأميركية وظهرت شخصية متواطئة معهم تمثلت في برنارد لويس الكاتب والمستشار اليهودي شديد الكراهية للإسلام والمسلمين الذي قام بتشويه صورة الإسلام واستعداء الغرب ضد الإسلام والعرب بما يزيد عن ٦٠ عاماً وقام لويس بعمل مشروع ضخم لإضعاف وتصفية الدول بتقسيم وبلقنة الدول على أسس عرقية وطائفية عن طريق نشر الفتن والفرقة بين الفرق والفئات المختلفة، وظهر ذلك جلياً في الحشد الإعلامي الهائل الذي ركَّز على (الأطماع الشيعية) والإيرانية والفارسية وغير ذلك من المسميات مع إغفال كل الأطماع والمؤامرات والخطر الذي شهده العالم العربي والإسلامي منذ بداية الحملات الصليبية متعددة الأشكال وحتى الآن من أوروبي، فرنسي، بريطاني وإيطالي وإسباني وأميركي وصهيوني.

وهذا ما حصل عن طريق تجييش وتمويل السلفيين والأخوان وكافة المنظمات والجماعات المنشقة عنهم والمتأسلمة المتظاهرة بالإسلام.

ومن ضمن وسائل الإضعاف والتفرقة بين المسلمين نشر الفتن والتفريق بين الفرق والفئات المختلفة من: شيعة، سنة، عرب، كرد، علويين، إيزيديين.

وبالتعاون بين جين شارب والملياردير اليهودي بيتر أكرمان قام الأخير بتأسيس المركز العالمي لاستراتيجية اللاعنف والكفاح السلمي وهو مخطط برنارد لويس لتقسيم العالم العربي والإسلامي، ويعمل ذلك المخطط على دعم احتلال البلاد دون إرسال جندي واحد لأراضيها عن طريق دعم الأنظمة ضد الشعوب ودعم الشعوب ضد الأنظمة، من خلال تأجيج الفتن والقلاقل وتأجيج الصراعات إلى أن تشعل حرب أهلية وحرب شوارع تقوم على إثرها القوات الخارجية بالتدخل لفض النزاع وتقسيم الأوطان بعد تدميرها وإبادتها وتولية عملائها السلطة وبعد وضع كل تلك الاستراتيجيات يأتي دور التنفيذ ويظهر جارد كوهين وهو يهودي صهيوني ورئيس بنك الأفكار بجوجل ليخرج لنا بالفيسبوك ثانية لاستقطاب الأفراد وحشد الجماعات نحو شعارات وأهداف مشتركة ديمقراطية - حرية - عدالة، وحتى يتم صنع الحشد المناسب وينزل الناس للاحتجاج، وما أن يتم الحشد المطلوب حتى يُفاجأ بمفاجآت جين شارب، أقسام تحرق ومبان تشتعل وقتلى من الجانبين وتطور رهيب غير متوقع في كل موقف، ومن أهم الأهداف والوسائل لنجاح العملية هو السيطرة الإعلامية وإنشاء قنوات فضائية جديدة لضمان التضليل الإعلامي المكثف وذكر الحقائق من طرف واحد التي من شأنها استمرار الصراع كي لا يفيق الناس على حقيقة أي موقف واستغلال الطبيعة البشرية في الإعلاميين الذين لهم كراهية شديدة للأنظمة السابقة لاستمرار التصعيد ضد الأنظمة كي لا تكون هناك فرصة للناس لفهم ما يحدث، ولا يفوتنا هنا الدور الإعلامي المشبوه الذي لعبته القنوات الفضائية كالجزيرة والعربية والجزيرة مباشر في التضليل الإعلامي وتزوير الوقائع والأحداث حتى تزيد من تأجيج نار الفتنة وتحريض الناس على حكامهم وتشجيعهم على التدمير والقتل.

وفى نيسان (أبريل) عام ٢٠٠٨ سافر عدد من الناشطين المصريين إلى أميركا للتدريب على الديمقراطية وإحداث التغيير في مصر، وذكرت كثير من الصحف موضوع السفر وارتاب من ذلك عدد كبير من الكتاب وكتب الكثير في ذلك السياق للتحذير من خطورة الموقف والتدبير لقلب نظام الحكم باستراتيجية اللاعنف.

وفى إبريل عام ٢٠٠٨ أعلنت منظمة ائتلاف الحركات الثورية عن تكوين حركة مصرية وائتلاف ثورة من عدد من الناشطين المصريين للإعداد للثورة في مصر في ٢٥ يناير ٢٠١١ واتضح فيما بعد أن أحد الخبراء السابقين بمنظمة ائتلاف الحركات الثورية الأميركية هو برنارد لويس نفسه صاحب خطة تقسيم الشرق الأوسط والعالم العربي والإسلامي.

أقسام اللاعنف:

يقسم شارب أعمال اللاعنف إلى ثلاث فئات: الاحتجاج- الإقناع- اللاتعاون.

ويستطرد شارب في خططه عن دور الجيش في التمرد.

يستطيع الضباط العسكريون المتعاطفون أن يلعبوا دوراً حيوياً في النضال مثل نشر سحب الولاء واللاتعاون في قوات الجيش "وهو ما عرف بالانشقاق" وتشجيع عدم الفعالية المتعمدة وتجاهل الأوامر ودعم رفض ممارسة القمع وتوفير ممر آمن ومعلومات وطعام وتزويدات طبية وما شابهه.

وهذا ما انتشر بصورة واسعة في بداية أحداث سوريا عندما عمد مئات من الضباط والجنود بالظهور على شاشات الجزيرة والعربية معلنين ما أسموه انشقاقاتهم عن الجيش.

ويتابع شارب في أحد فصول كتابه، بأنه لا يجب أن يعتقد أحد أن مجتمعاً مثالياً سيظهر فور سقوط النظام فسقوطه بمثابة نقطة البدء تحت ظروف حرية أفضل لبذل جهود طويلة الأمد لتطوير المجتمع وتلبية حاجاته الإنسانية بشكل أفضل، ستستمر

المشاكل السياسية والاقتصادية والاجتماعية لسنوات طويلة وعلى النظام السياسي الجديد أن يعرض فرصا أمام الناس لكي يكملوا العمل البناء والتطوير السياسي.

ويقدم شارب في نهاية كتابه ما أسماه ملحق أساليب العمل باستخدام أساليب الاحتجاج والإقناع باستخدام اللاعنف منها:

- تصريحات رسمية: خطابات عامة، رسائل معارضة أو تأييد، بيانات عن المنظمات المهنية أو الطلابية أو المؤسسات.

- تصريحات علنية موقعة، بيانات بالمظالم والمطالب: عرائض جماهيرية- مخاطبة الجماهير العريضة، شعارات وكاريكاتيرات ورموز[1]، لافتات وملصقات وإعلانات تظاهرية، نشرات وكتيبات وكتب- صحف- دوريات- تسجيلات وإذاعة وتلفزيون- كتابة في الجو وعلى الأرض.

- احتجاجات جماعية: تفويض أحكام صورية هزلية، جماعات ضاغطة (اللوبي)، اعتصامات، انتخابات صورية هزلية.

- أعمال رمزية عامة: رفع الأَعلام وعرض الألوان الرمزية، ارتداء الرموز الخاصة، الصلاة والعبادة، توزيع أغراض تتضمن رموزاً خاصة، التعري تعبيراً عن الاحتجاج، إتلاف الشخص لممتلكاته، الانتحار بوسائل استثنائية علنية[2]، إلقاء الأفراد الأحياء من على سطح المنازل في الإسكندرية، إلقاء أفراد من الموظفين والجيش السوري من على أسطح المؤسسات وفى مياه الأنهار، استخدام أضواء ترمز إلى مغزى معين، عرض اللوحات الفنية المعبرة، استخدام الطلاء كنوع من الاحتجاج.

استخدام إشارات وأسماء جديدة، استخدام الأصوات كرموز إيماءات بذيئة، ممارسات الضغط على الأفراد: ملازمة المسؤولين، توبيخ المسؤولين، المؤاخاة، الاعتكاف.

---

(١) لعل ما حصل مع شعارات أطفال درعا خير مثال على ذلك.

(٢) لعل في انتحار البوعزيزي في تونس لخير مثال على ذلك.

المسرح والموسيقى: مشاهدة مسرحية تهكمية، تأليف المسرحيات، وعزف الموسيقى، استخدام الغناء، المواكب: مسيرات، الاستعراض، مواكب دينية، الحجيج، قافلة السيارات، تكريم الموتى: الحداد السياسي، الجنازات الرمزية، الجنازات التظاهرية، زيارة المقابر، التجمعات الشعبية، التجمع من أجل الاحتجاج أو التأييد، لقاءات احتجاجية مموهة، عقد الندوات، الخروج من مكان معين.

الصمت، رفض التشريفات، إدارة الظهر.

أساليب اللا تعاون الاجتماعي: المقاطعة الاجتماعية، مقاطعة اجتماعية انتقائية، حجب العواطف، الحرمان - التحريم.

اللاتعاون مع الأحداث الاجتماعية والتقاليد والمؤسسات، تعليق النشاطات الاجتماعية والرياضية، إضرابات الطلاب، العصيان الاجتماعي، الانسحاب من المؤسسات الاجتماعية، الانسحاب من النظام الاجتماعي، البقاء في المترل، اللا تعاون الشخصي الشامل، هروب العمال، الخلوة، الاختفاء الجماعي، الهجرات الاحتجاجية.

أساليب اللا تعاون الاقتصادي:

* **المقاطعة الاقتصادية:** أعمال يقوم بها المستهلكون.

* **مقاطعة المستهلكين:** عدم استهلاك المنتجات المقاطعة، سياسة التقشف، الامتناع عن دفع الأجور، رفض الاستئجار، مقاطعة المستهلكين الوطنيين، مقاطعة المستهلكين الدوليين.

* **أعمال يقوم بها العمال والمنتجون:** مقاطعة عمالية، مقاطعة المنتجين.

* **الأعمال التي يقوم بها الوسطاء:**

- مقاطعة المزودين والوكلاء.
- أعمال يقوم بها أصحاب الأملاك والمدراء.
- مقاطعة التجار.

الامتناع عن تأجير أو بيع الممتلكات، منع التوظيف وإغلاق المؤسسات، رفض المساعدة الصناعية، إضراب عام للتجار.

*** أعمال يقوم بها أصحاب المصادر المالية:**

سحب الودائع، الامتناع عن دفع الرسوم والضرائب، الامتناع عن دفع الفوائد والديون، قطع المخصصات والقروض، الامتناع عن دفع المداخيل الحكومية، الامتناع عن قبول النقد الحكومي.

الأعمال التي تقوم بها الحكومات، الحصار الاقتصادي والمحلي، وضع أسماء تجار على القائمة السوداء، حظر البيع دولياً، حظر الشراء دولياً، الحظر التجاري الدولي.

ومن أساليب اللا تعاون الاقتصادي أيضاً: الإضراب، الإضرابات الرمزية، الإضراب الاحتجاجي، المغادرة الفورية، الإضرابات الزراعية، إضراب المهنيين، الإضرابات الصناعية العادية.

الإضرابات الجزئية، الإضراب التصاعدي، إضراب الصدمة، الإضراب التباطوئي، إضراب التقيد بالأنظمة، الإضرابات الصناعية المزدوجة، الإضراب المعمم، الإضراب العام.

أساليب اللا تعاون السياسي:

سحب الولاء، رفض التأييد العام، امتناع المواطنين عن التعامل مع الحكومة، مقاطعة الهيئات التشريعية، مقاطعة الانتخابات، مقاطعة الوظائف والمراكز الحكومية، رفض الموظفين المعينين، العصيان، الامتثال البطيء، رفض التجنيد، استخدام الهويات الزائفة.

أعمال يقوم بها موظفو الحكومة، الامتناع عن المساعدة، قطع خطوط الاتصال، المماطلة.

التدخل النفسي:

الصياح، الإضراب عن الطعام، التحرك باستخدام العنف، التدخل الجسدي، كالاعتصامات وقوفا أو ركوباً، الاقتحام.

التدخل الاجتماعي:

* **مؤسسات اجتماعية بديلة:** التدخل الاقتصادي: كالاستيلاء على الأراضي باستخدام اللاعنف، تحدي الحصار.

* **الإغراق بالسلع، الأسواق البديلة:** التدخل السياسي: كشف هوية العملاء السريين.

وقد خرج المحلل الأميركي الشهير وليام أنفدال عام ٢٠١١ ليقدم تفسيراً لحركات الاحتجاج التي اصطلح على تسميتها زورا بالربيع العربي:

قال أنفدال: "إن ما يحدث ليس سوى تطبيق حرفي لنظرية تم طهيها على نار هادئة في الغرب وهي نظرية التدمير الخلاق، وأضاف "فن تنظيم الثورات العربية أميركي الأسلوب غايته التدمير الخلاق في الشرق الأوسط، وأضاف أن واقع الأمور يقرر أن الثورات مثلها مثل الحروب لا بد لها من قيادة وتنظيم وخطوط إمداد وتدريب ودعم مادي ومعارك نفسية وإعلامية مما لا يمكن معه - كما يرى الكثيرون- الافتراض بسذاجة أن هذه الثورات ونتائجها جاءت عفوية أو عديمة التنظيم وقد تم استخدام وتوجيه الإعلام بصورة مغرضة لتشويه صورة الحكومة أو الجيش ولتحريض الشعب على النظام، ولعل في الجزيرة وما بثته من أخبار مسمومة ومغلوطة أو محرفة لتخرج في النهاية على العامة بصورة محرضة على الحكومة أو النظام لخير مثال على ما تم استخدامه وتوجيهه من قبل الإعلام ففي السادس من فبراير ٢٠١١ ذكرت قناة الجزيرة أن الصحفي المصري أحمد محمود أصيب بنيران القناصة مع محاولاته تغطية الاشتباكات بين قوات الأمن المصرية والمتظاهرين وإشارةً إلى التصريح الذي أدلت به زوجة الشهيد عملت الجزيرة على دس معلومة مفادها أن محمود ربما قتل من قبل قوات الأمن المصرية كما قامت المحطة سيئة الذكر (الجزيرة) بدور مشبوه في الحرب السرية الخفية التي شنها الناتو وعملاؤه على ليبيا وتونس وسوريا ومصر

واليمن، وقامت بتعزيز الشعور بأن القناصة المدسوسين يعملون لصالح النظام، في حين كان واضحاً إلى أن هناك أيدي خفية توجه أولئك القناصة وتدفع لهم.

ودور الاستخبارات الغربية- الأميركية والبريطانية والفرنسية- ومعها المخابرات الإسرائيلية ومخابرات الدول العربية التابعة للغرب- كان واضحاً بل إن بعض الدول العربية الخليجية- السعودية وقطر- كانت تجاهر في الحث على العنف والقتل ساندها في ذلك مفتو السلاطين أمثال القرضاوي تحت شعار الثورة على الدكتاتورية وإمعاناً في التضليل فقد عمدت الجزيرة القطرية في حملتها المسعورة على نظام القذافي إلى استنساخ الساحة الخضراء على أحد المواقع القطرية وتصويرها بطريقة هوليوودية مؤثثة بممثلين كومبارس أخرجتهم للعالم في ثوب شعب ثائر.

ومما يمكن ملاحظته أنه خلال (وهم الربيع العربي) وعلى خلاف ما حدث في تونس ومصر، خرج عراب ما يسمى بثورات الربيع العربي الصهيوني برنارد ليفي هنري من الخفاء وباشر بنفسه الإشراف على مجموعات الموت المرتزقة التي انتشرت في كامل ليبيا.

الأسباب المفتعلة والحقيقية لأحداث الربيع العربي:

إذا كانت هناك أسباب حقيقية لثورات الشعوب العربية على أنظمة الحكم فإنه من اللافت للنظر أن تلك الثورات اندلعت في وقت واحد أو في تزامن وتسلسل مخطط وموجه، وفي مناطق عربية دون غيرها (لم يحدث أي تمرد في دول أنظمة الحكم العربية الوراثية) بالرغم من أن الظلم والدكتاتورية في بعض تلك الدول أسوأ منه بكثير مما هو في مصر أو تونس أو اليمن أو حتى سوريا.

وهذا التزامن الذي وقعت فيه تلك الثورات والأحداث لم يكن صدفة أبداً ولكي يكره الشعب حكومته وليثور على حكامه من الواجب إراقة الدماء ولأن السلطات تستخدم اللاعنف من خراطيم المياه والعصي والهراوات والغاز المسيل للدموع فإن

تلك الوسائل لن تساعد على تفاقم وإشعال الفتيل وبالتالي رأى المخططون لتلك الأحداث أن ظهور قناصة ملثمين مجهولين على أسطح المباني العالية وهم يطلقون الرصاص على المتظاهرين والمحتجين لينجحوا في إصابة بعضهم بمقتل سيمكن من إشعال فتيل الأزمة.

لقد شاهدنا وسمعنا إبان تلك (الثورات) كيف أن وسائل الإعلام تتحدث عن سائح أو صياد خنازير أو صحفي ألقت السلطات القبض عليهم في أدوار تحريضية مشبوهة لتبدأ بعد القبض عليهم، حملات مسعورة لإطلاق سراحهم ولتخويف السلطات والتستر على دورهم الحقيقي في ترهيب السكان وقتل المدنيين.

إنه لمن المؤسف ومما يثير الأسى والشجن أن الدول العربية والإعلام العربي في جله يتعاملون مع الدول الاستعمارية المخططة والممولة والمحرضة على تلك المؤامرات التي أسموها ثورات وربيع، كدول صديقة وحليفة، في حين أنهم يحرضون ويعادون ويشجعون على بث الكراهية ضد إيران من خلال ما ابتدعوه بالخطر الشيعي ونسوا أو تناسوا أن الخطر الصليبي على الأمة ما زال موجوداً يغدر بالمسلمين متحالفاً مع الصهيونية العالمية في ترجمة عملية لحديث الرسول ﷺ "تكاد تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى الأكلة على قصعتها".

ولمن يريد الاستزادة من التفاصيل عن مخططات وأساليب الغرب في تحريك ثورات اللاعنف ضد العالم العربي والإسلامي فإنني أُحيل إلى كتاب السيد مجدي كامل - جين شارب- مهندس ثورات اللاعنف والدور الأميركي في شيطنة الربيع العربي الطبعة الأولى- ٢٠١٤.

ومن الغريب أنهم أسموها ثورات اللاعنف وثورات الربيع العربي في حين أنهم في الحقيقة حولوها إلى حرب دموية تدميرية وساقوا للدول العربية عشرات آلاف الشباب المضلل فكرياً من الأخوان وكافة الفصائل والحركات المتأسلمة وبدؤوها

باللاعنف وأنهوها بالقتل والتدمير والذبح والحرق وكافة أشكال وصور القتل والإبادة وصولاً لأهدافهم الاستعمارية طالما أن من يدفع الثمن هم المسلمون وشبابهم ودماؤهم وكذا فإن التمويل من خزان المسلمين المالي على حساب شعوبهم الرازحة تحت الظلم والفقر والقهر والبطالة!!

حقيقة الصراع في الشرق الأوسط وفي سوريا تحديداً:

ومن هذا المنطلق والواقع يذكر الكاتب الكبير محمد حسنين هيكل في كتابه سنوات الغليان "منذ وقت مبكر قبل السويس وحتى ما قبل ثورة سنة ١٩٥٢ كانت سوريا هي البؤرة الفوارة للصراع على الشرق الأوسط وفيه، كانت هي قلب العالم العربي في نفس الوقت الذي كانت فيه القاهرة هي موقع القوة فيه، وإذا كان ضرب موقع القوة هو الهدف النهائي فإن الاستيلاء على القلب ظل قبل كل المواقع وبعد كل المواقع مطلباً دائماً، وأن الصراع على أقدار المنطقة هو نفسه الصراع على مصائر سوريا[١]".

لم تتوقف المؤامرات والحملات الاستعمارية على المسلمين وعلى سوريا بالذات منذ بدء الحملة الصليبية الأولى وحتى الآن، إن وضع سوريا الجغرافي والمركزي جعلها هدفاً للسيطرة عليها إذ إن من يتحكم بها يتحكم ويسيطر على الشرق الأوسط برمته، وبالتالي يضمن السيطرة على منابع النفط والممرات المائية من قناة السويس إلى باب المندب إلى مضيق هرمز.

لقد شهدت سوريا صراعاً على النفوذ بين الدول الاستعمارية التقليدية بريطانيا وفرنسا من جهة والولايات المتحدة من جهة أُخرى، وعملت كل دولة من الدول الثلاث على تحريك وتمويل عملائها أفراداً ودولاً وأحزاباً للسيطرة على سوريا.

ولنا في حقيقة الانقلابات والصراعات السياسية المتعاقبة التي شهدتها سوريا في نهاية الأربعينات من القرن الماضي وحتى الآن خير مثال عملي وترجمة لتلك الأطماع.

---

(١) محمد حسنين هيكل - حرب الثلاثين سنة - ١٩٦٧ - سنوات الغليان - ص ٢٣٦.

فقد شهدت سوريا انقلابات متعاقبة خلال نفس السنة أحياناً وخلال بضعة أشهر من الانقلاب السابق أحياناً أُخرى تمثل في انقلاب حسني الزعيم على شكري القوتلي ثم سامي الحناوي ثم أديب الشيشكلي وعودة شكري القوتلي، ودور الدول الاستعمارية في كافة هذه الانقلابات بتحريك الضباط أحياناً وبتشجيع العراق ولبنان على استمالة البعض أو تحريض البعض ضد الآخر أحياناً أخرى وكذا الاغتيالات والإعدامات التي حصلت سواء لحسني الزعيم ورجاله أو لعدنان المالكي وغيرهم لخير مثال على التدخل الاستعماري في سوريا قبل ما أسموه الربيع العربي.

كان لبريطانيا رجالها داخل سوريا كما كانت توجه العراق بزعامة نوري السعيد وقتها ضد سوريا وكان لفرنسا عملاءَها، وكان لأميركا عملاءها أيضاً، كانت السعودية ليست بعيدة عن الساحة السورية وكذا العراق ومرة أخرى بعد زهاء ستين عاماً عادت تلك الدول وتحالفت مرة أُخرى على سوريا من خلال وهم ثورات اللاعنف والربيع العربي.

كان نوري السعيد يدعم الضباط المنشقين أو الهاربين من الجيش السوري أمثال العقيد محمد الصفا وعصام مريود ومصطفى الدواليبي وأسعد أطلس ومحمد الرفاعي وعرفت تلك المجموعة باسم القيادة العامة لقوات سوريا الحرة والآن بعد ستين عاماً أنشؤوا الجيش السوري الحر وبدلاً من العراق الذي تآمر مع بريطانيا ضد سوريا في عهد نوري السعيد فقد دخلت على خطى التآمر بعض دول الخليج العربية، وظهر ثنائي الحمدانين في قطر وأردوغان في تركيا مولين ومحرضين(1).

ولسنا بصدد استعراض تفاصيل الأحداث والتدخلات الاستعمارية في سوريا على مر التاريخ الذي يطول بنا الحديث فيه إلا أننا وجدنا لزاماً أن نربط بين الشخصيتين

---

(١) في الأغلب أن تلك الدول المساندة لضرب سوريا كانت أدوات ووسائل تمويل وتحريض والمخططين هم الصليبيون والصهاينة.

لتفنيد مزاعم الربيع العربي الكاذب ومزاعمهم بأن ما تشهده الدول العربية ثورات على الدكتاتورية ومن أجل الحرية ما هي في الواقع سوى شكل حديث من أشكال التدخل والصراع على النفوذ والسيطرة على العالم العربي والإسلامي.

وأحيل هنا إلى كتاب أندروراثمل - ترجمة محمد نجار - لمزيد من إلقاء الضوء على الصراع والحرب السرية على سوريا منذ أربعينات القرن الماضي الذي اقتطف منه فقرة واحدة تبين كيف كانت المؤامرات تحاك على سوريا منذ خمسينيات القرن الماضي وأن الهدف النهائي لتلك المؤامرات سابقا ولاحقا كان تدمير الجيش السوري، يقول الكاتب أندرو راثمل[1].

"... فإن الخارجية البريطانية ضغطت على نوري السعيد من أجل تبني سياسة أكثر قدماً[2] ليجعل هناك نفوذا ملموسا في سوريا واعتبرت الخارجية البريطانية قيام علاقات سورية عراقية أوثق على أنه أمر محبب جداً بالنسبة لبريطانيا كما سعى لإيجاد طريقة ما من أجل خلق نظام موال للعراق في دمشق، ولتحقيق هذا فإن لندن اقترحت أن يقوم رئيس الأركان في كل من العراق وبريطانيا بعمل خطة من أجل تدخل محتمل، وكشف النقاب عن تلك المحادثات السرية كما يلي:

سيبحث مع نوري السعيد الطرق والوسائل لمد النفوذ العراقي على سوريا وسيتضمن هذا كل شيء ابتداء من تقديم المساعدة الاقتصادية إلى تدمير الجيش السوري **وكملجأ فإنه يجب أن نكون مستعدين لتطويع وتمزيق سوريا**[3] وفي غضون ذلك يجب أن نمهد الطريق لذلك سواء بالرشوة أو غيرها بحيث يكون الجيش السوري الهدف الرئيس لذلك وتهَيَّأ القوات العراقية بسرعة من أجل تنفيذ ذلك والقيام

---

(١) اندرو راثمل- الصراع على النفوذ في الشرق الأوسط- ص١٦٦- ١٦٧- ترجمه محمد نجار.

(٢) كما وردت في الكتاب وقد يكون قصده حزماً أو أكثر فعالية.

(٣) هذا ما نفذوه عام ٢٠١١.

بوسائل دعائية وإعلامية في سوريا وبذل جهود لمساعدة الاقتصاد السوري من قبل العراق (بتقديم القروض مثلاً).

ومرر السفير البريطاني في بغداد هذه النصيحة لنوري السعيد مقترحاً عليه تقديم المال للصحف السورية والتأثير على السياسيين سواء كان ذلك بالرشوة المباشرة أو غير مباشرة بطريقة ما كما اقترح من أجل تحقيق ذلك "التعاون مع تركيا بهذا الشأن".

هذا ما خططت له بريطانيا قبل ستين عاماً لسوريا، أليس ما يجري الآن هو امتداد لتلك الخطة الشيطانية واستمراراً في محاولة تدمير سوريا للسيطرة عليها وبعد ذلك يحذروننا من الخطر الشيعي الفارسي؟!!

ولا نرى ملاذاً ولا مفازاً لهذه الأمة إلا بأحداث الثورات الحقيقية على الأنظمة الفاسدة التي جاءت بها بريطانيا وفرنسا سابقاً وأميركا لاحقاً ووفرت لها الحماية كل من أميركا وإسرائيل تالياً، لأن أنظمة تلك الدول سيضعون الإسلام والمسلمين في كفة وعروشهم في كفة أخرى وسيستمرون في التواطؤ ضد شعوبهم وضد دينهم طالما أمَّن لهم الغرب الصليبي الأمن والاستمرار لأسرهم الحاكمة أياً كان الابتزاز والثمن.

ولعل إرهاصات انهيار تلك الأنظمة وحدوث التحول الإيجابي في العالم العربي والإسلامي بدت تلوح في الأفق وظاهرة للعيان وما هو انتصار الشعوب في العراق وسوريا وانهيار المشروع الاستعماري في تقسيم العراق وسوريا والتورط في حروب وتدخلات عبثية إلا من الإرهاصات المبشرة بقرب انتصار الأمة وصحوتها من سباتها الذي فرض عليها لقرون عديدة سواء من أنظمة الحكم الوراثية المستبدة أو من قبل الأنظمة الدكتاتورية التي جاء بها الغرب وفرضها على رقاب المسلمين عندها يفرح المؤمنون بنصر الله، ألا إن نصر الله قريب.





الخاتمة

لماذا وهل من أمل؟

بعد استعراض بعض مراحل الصراع على الشرق الأوسط وامتداد الحروب الصليبية أو ما يحلو للصليبيين أنفسهم تسميتها بحروب الاسترداد، ومع سقوط الدولة العثمانية وتآمر وتضافر جميع الدول الأوروبية ضدها، ومع وعد بلفور وتسليم الإنجليز فلسطين لليهود بعد انسحابهم منها يبرز السؤال:

لماذا حصل ذلك؟ وهل من أمل في التصحيح والعودة بالأمة العربية والإسلامية لمصاف الدول المتقدمة وقيادة العالم؟

أما الشق الأول من السؤال، لماذا؟ فلعلني أزعم أن الكتاب أجاب الإجابة الشافية عن ذلك وخلاصتها استمرار الأطماع والأحقاد الصليبية والصهيونية في ثروات وخيرات الشرق والحقد الدفين على الإسلام منذ بزوغ الدعوة الإسلامية في القرن السابع الميلادي كونها جاءت دعوة شاملة للعالمين وناسخة ومهيمنة على الديانات الأخرى.

أما الشق الثاني من السؤال هل من أمل؟ فالإجابة عن ذلك بالإيجاب والإيمان اليقيني بأنه إذا كان لكل جواد كبوة فإن هذه الأمة العربية والإسلامية ستنهض ولو بعد حين وإنَّ نهوضها لن يكون بعيداً إن شاء الله.

إن هذه الأمة لديها الإمكانيات الاقتصادية والموقع الجغرافي والقدرات المالية والبشرية وقبل كل شيء لديها العقيدة التي تستطيع لو أحسنت استغلال هذه المقومات إخضاعَ أميركا وكافة دول الاستعمار الغربي بدلاً من تبديد ثرواتها خدمة للعائلات الحاكمة وتنفيذاً لأطماعهم هنا وهناك أو خضوعاً لابتزاز هذا وذاك.

إن هذه الأمة ابتليت في أغلب الأحوال بحكام جاءت بهم بريطانيا في الأغلب وبنسبة أقل فرنسا ثم حمتهم وخضعوا بعد ذلك لابتزاز أميركا وإسرائيل، ومع زيادة

الوعي وانتشار وسائل الاتصال والإعلام المرئي والمسموع وحديثاً ما يطلق عليه وسائل التواصل الاجتماعي وهي (تسمية أزعم أنها خاطئة)، وعليه فإن الخطوة الأولى للصحوة العربية والتخلص من نير المستعمرين **هي التخلص من الحكام المستبدين الذين جاء بهم الاستعمار وفق عقد** (**صفقة متبادلة**) **لحماية عروشهم وملكهم مقابل خنوعهم وخضوعهم لمطالب الدول الاستعمارية وابتزازها وتهديداتها**، ومن يرفع صوته منهم أو يتمرد يتم عزله واستبداله بآخر من نفس الأسرة بانقلاب من خلال الابن أو الأب أو الأخ أو العم والأمثلة على ذلك كثيرة وأصبحت معروفة، إن مثل هذا الاستبداد واحتكار السلطة وتثبيتها بمختلف الوسائل انعكس في نتائجه من الظلم والجهل والفقر والبطالة وتحالف التعصب الأعمى حسب درجات الانتفاع لكل عصبة وسوء توزيع الثروة والفساد الإداري على كافة المستويات وفي مقدمتها إفساد الشعب وإلهائه بالمشاكل الاقتصادية والاجتماعية حتى يبقى بعيداً دوماً عن الاحتكاك والوصول إلى هرم السلطة والتعرض لها.

إن الإتيان بحكام منتخبين انتخاباً حراً نزيها من قبل الشعب (وفق آلية معدة مسبقاً من أهل الحل والعقد) من شأنه أن يتيح لمن يأتي بهذه الطريقة أن ينهج سبل العدالة والحرية الأمر الذي سينهض بالمجتمع وأدائه سواء للقطاع العام أو الخاص وسيتم الاستغلال الأمثل للموارد الاقتصادية وتحقيق أعلى نسب للنمو الاقتصادي، كما أن الحكام المنتخبين انتخاباً حراً نزيهاً سيكون باستطاعتهم (بما يتوفر لهم من إمكانيات) مقارعة كافة الدول الاستعمارية، ولعل لنا في إيران أكبر مثل على ذلك، إذ إنَّ إيران استطاعت في مدة وجيزة بعد ثورتها قطع شوطٍ كبيرٍ من التقدم العلمي والاقتصادي والعسكري وهي الآن تقارع الولايات المتحدة والدول الغربية الخمس مجتمعة رأساً برأس وتفرض عليهم شروطها الحقة وترفض بل تتحدى بكبرياء وإصرار إملاءاتهم وشروطهم فكيف سيكون الحال لو أن الدول العربية حذت حذو إيران واستغلت إمكانياتها المالية والبشرية في مقارعة الاستعمار مجتمعاً؟

إن حزباً سياسياً يضم بضعة آلاف من العناصر المسلحة كحزب الله في لبنان استطاع عندما توفرت له الإرادة والاستعداد مقارعة أكبر جيوش المنطقة منفرداً وإن رجالاً كرجال القسام والجهاد الإسلامي في غزة استطاعوا التصدي للجيش الإسرائيلي بمفردهم في أكثر من مواجهة فكيف سيكون عليه الحال عندما تتحد إرادة وقدرات مصر وسوريا والعراق وتركيا وإيران ودول الخليج العربية بقدراتها المالية الهائلة.

إنَّ دولةً إسلامية ستعود إلى الواجهة أكبر من كل الدول السابقة ابتداءً من الدولة الأموية مروراً بالدولة العباسية وانتهاءً بالدولة العثمانية، وقد يكون ذلك حلماً في الظروف الحالية ولكنه وفقاً لما نرى ونشاهد من دلائل وإرهاصات أقرب للتحقيق من أي فترة سابقة، فالإطاحة بنظام الشاه الإيراني ونظام صدام حسين لم يكن يوماً أسهل من الإطاحة بغيرهم من الحكام المستبدين الذين ليس لهم هم سوى المحافظة على العروش والسلطة وإن كان من وسائل ذلك التعاون ومحاباة الأعداء ضد إخوانهم المسلمين كما نرى حالياً تعاون وتواطؤ وهرولة الكثير من الحكام العرب للاتفاق والتطبيع مع إسرائيل ضد إيران.

إن حكاماً يأتون بالانتخاب الحر النزيه ستكون لهم حاشية ومستشارون نزيهون أيضاً وستنتشر العدالة في كافة مناحي الحياة وسيكون من مصلحتهم ومصلحة أمتهم دخولهم التاريخ لتحقيق الوحدة العربية والإسلامية وتحقيق التكامل الاقتصادي بين الدول العربية والإسلامية وفتح الحدود وإلغاء التأشيرات والحماية الجمركية وفرض الرسوم والضرائب الجمركية على السلع الأجنبية التي لها بدائل عربية وإسلامية وتشجيع الصناعة للسلع التي ليس لها إنتاج بعد في المصانع العربية والإسلامية لتحقيق الاكتفاء الذاتي الاقتصادي الذي سيقود بالضرورة إلى الاستقلال والاكتفاء الذاتي صناعياً وعسكرياً وعندها فقط، **عندما يتحقق الاكتفاء الذاتي العسكري سيكون بإمكان الدول العربية والإسلامية التصدي لأي قوة على وجه الأرض كائناً من**

كانت ولن يكون الحكام العرب بحاجة لحماية عروشهم ومناصبهم من قبل الدول الأجنبية والخضوع لابتزازها وتهديدها ونهب خيراتها وأموالها لأن الحماية الحقيقية ستكون من الشعب الذي سيتصدى للدفاع عن بلده وعن حاكمه الوطني ضد أي تدخل أو تهديد خارجي ملكاً كان أم أميراً أم رئيساً.

إن المبايعة الحرة غير المفروضة بالسيف والذهب، والانتخاب النزيه للحاكم سيصحبه حتماً بالإضافة إلى الحرية والعدالة (وهي موجودة لدينا قبل الغرب الذي يدعي تصديرها لنا بألف وأربعمائة عام)، بناء شخصية عربية وإسلامية مسؤولة بلغتها وثقافتها ولباسها وتعليمها واقتصادها وصناعتها والابتعاد عن تقاليد الغرب وبدعه ومثله المدنية والحضارية الخادعة.

مبايعة حرة كتلك التي جاءَت بحاكم كعمر بن عبد العزيز عندما ولي الأمر بالوراثة فخرج للمسجد الجامع منادياً الناس: "لقد ابتليت بهذا الأمر على غير رأي مني وعلى غير مشورة من المسلمين وإني أخلع بيعة من بايعني فاختاروا لأنفسكم" فردوا عليه بصوت واحد بلى إياك نختار يا أمير المؤمنين".

أجل هذا هو الانتخاب المطلوب والمبايعة المطلوبة وليست مبايعة تحت حد السيوف التي فرضها معاوية بن أبي سفيان لابنه يزيد وليست المبايعة التي فرضها بعض ملوك العرب في العصر الحديث بحد السيوف بعد قتل عشرات الألوف من مواطنيهم ثم أغدقوا بعدها بالذهب على مناصريهم لتثبيت ملكهم وعرشهم.

ذلك الذهب الذي كانت تدفعه لهم بريطانيا التي جاءت بهم والذي كانت تسرقه وتستولي عليه دون وجه حق من مصر والهند وباقي مستعمراتها، والذين كانوا يدفعونه لمناصريهم لضمان تأييدهم وقتال المسلمين في الجزيرة العربية أو في بلاد الشام تنفيذاً للأهداف والأطماع الإنجليزية الخبيثة.

رحم الله عبد الله الكواكبي عندما كتب في مؤلفه طبائع الاستبداد يقول: "... إن المستبد يتحكم في شؤون الناس بإرادته لا بإرادهم وبحكم هواه لا بشريعتهم، ويعلم من نفسه أنه الغاصب المعتدي فيضع كعب رجله على أفواه الألوف المؤلفة يسدها عن النطق بالحق ومطالبتها به، والمستبد يود أن تكون رعيته بقرة تحلب وكلاب تتذلل ولا تتملق وعلى الرعية أن تدرك ذلك وتعرف مقامها منه هل خلقت خادمة له أو جاءت به ليخدمها فاستخدمها...".

ولعل الكواكبي كان يقصد وضع العقب وليس الكعب.

ومن الحكام من يحاول استجلاب صورة للشورى بين شبه من ديمقراطية الغرب، شبه التمثال بالجسد الحي كما وصفه الشيخ محمد عبده في قوله "لو حدث أن إنساناً عرض وجهة نظره غير أن يرى الحاكم يتعرض للتلف، فإن أمام كل لفظ يقوله نفي عن الوطن أو إزهاقٌ للروح أو تجريدٌ من المال"!!.

إن سيطرة الأسرة الكبيرة واغتصابها لمنصب الخلافة أو الرئاسة أو الملك بالقوة مكن رجالاً جهلة من الظفر به لا فقه لهم في كتاب ولا في سنة ولا علاقة لهم بشورى أو استنباط وإنه لمن المحزن أن يقود العباقرةَ والأكفياء شتى الملل والنحل وأن يقود بعض المهازيل الجهلة أمة الرسالة الخاتمة، أولئك الجهلة المستبدّون الذين يحولون الشعوب إلى فئات من منافقين متذللين، ممن يبيعون دينهم بعرض من الدنيا كذلك الذي نافق أحد الحكام بقوله:

ما شئت لا ما شاءَت الأقدار ... فاحكم فأنت الواحد القهار
وكأنك أنت النبي محمد ... وكأنما أنصارك الأنصار

وشتان بين ردة فعل الملك المنصور محمد بن عامر في الأندلس عندما رددها أمامه أحد الشعراء المنافقين حيث أمر بجلده ونفيه، وبين بعض الزعماء في عصرنا الحديث مما يغدقون العطايا والمنح على المهللين والمطبلين لهم بل ويقربوهم في الحكم والمناصب والعطايا.

إن الصحوة الإسلامية حقيقة قائمة ولكن الإعداد لسحقها وتبديدها حقيقة أبرز للعين وأرهب للنفس، وقد أكد ذلك المستشرق الألماني باول شيمتز في كتابه الإسلام قوة العدالة العالمية حين قال: "إن انتفاضة العالم الإسلامي صوت نذير لأوروبا وهتاف يجوب آفاقها، يدعوها للتجمع والتساند لمواجهة العملاق الذي بدأ يصحو[1].

إن الأمثلة على صحوة الأمة من كبوتها وقرب تحقيق هذا الحلم أصبحت حية وملموسة وقريبة التحقيق، فالولايات المتحدة كانت يوماً ما مستعمرة تابعة للتاج الإنجليزي وهي الآن مهيمنة ليس على التاج الإنجليزي فقط بل على كل تيجان العالم، وروسيا خسرت يوماً ما معاركها ضد اليابان وضد الدولة العثمانية وهي الآن أقوى منهما مجتمعتين وقبل خمسين عاماً كان حلم الفدائي الفلسطيني أن يعبر الحدود متسللاً بالكلاشينكوف والقنبلة اليدوية والآن أصبح بإمكان المقاومة الفلسطينية ضرب كل هدف داخل فلسطين المحتلة بالصواريخ بعيدة المدى، وقبل أربعين عاماً كان القادة الإسرائيليون يتبجحون بأن لبنان تكفيه الفرقة الموسيقية في الجيش الإسرائيلي لإخضاعه وتأديبه والآن أصبحت المقاومة اللبنانية ممثلة في حزب الله هي القوة الضاربة التي تهدد إسرائيل باعتراف قادتها العسكريين، وقبل مائة عام أو يزيد كانت بريطانيا تذل الصين وتفرض عليها شروطًها بعد حرب الأفيون وتقتطع منها هونج كونج في معاهدة مذلة لمدة مائة عام، وقبل انتهاء المعاهدة بفترة وجيزة كان القادة الصينيون يصرحون أن القوات الصينية ستكون في قلب هونج كونج في اليوم التالي لانتهاء المعاهدة حال عدم انسحاب بريطانيا صاغرة، وقبل خمسين عاماً لم يكن معظم العرب والمسلمين يتوقعون أن بإمكان القوات المصرية اقتحام خط برليف حتى لو حاولت فستكون القناة مقبرة لها قبل عبور الجانب الشرقي من القناة، وكان العبور وكانت الكفاءة العسكرية المصرية البالغة الدقة والتخطيط والتنفيذ ما أبهر معظم القادة العسكريين العالميين، ولولا استجابة

---

(١) الدكتور محمد الغزالي - مائة سؤال عن الإسلام - ص ٤٢٨.

السادات للسياسة الأميركية واكتفاؤه بتحريك القضية عوضاً عن تحرير الأرض لكان بالإمكان إنجاز أضعاف ما تم إنجازه في حرب ١٩٧٣، وفي الأردن فإن الجيش الأردني استطاع مع ثلة من الفدائيين الفلسطينيين، إيقاع هزيمة مذلة في الجيش الإسرائيلي في معركة الكرامة الخالدة في غور الأردن في ١٩٦٨/٣/٢١ بعد أقل من سنة من هزيمة ١٩٦٧، وذلك عندما توفرت الإرادة والعزيمة للقتال للقائد الشجاع المرحوم مشهور حديثة الجازي، بالرغم من شح الأسلحة والعتاد وقلة الإمكانيات وانعدام التوازن العسكري مع العدو، وقبل سبعين عاماً كان قائد القوات الأميركية في الحرب الكورية الجنرال دوجلاس ماك آرثر يهدد ويطالب قيادته السياسية بضرب كوريا بالقنبلة النووية والآن فإن الولايات المتحدة لا تجرؤ على ضرب كوريا الشمالية بقذيفة مدفعية واحدة!!!.

وقبل خمسين عاماً كانت إيران الصديق رقم واحد لإسرائيل والمزود الوحيد لها بالبترول وهي التي زودت دبابات وطائرات العدو الإسرائيلي بالوقود اللازم أثناء حرب ١٩٦٧، والآن فإن إيران هي العدو اللدود رقم واحد لإسرائيل والمزود رقم واحد بالأسلحة لكل من يقاتل إسرائيل، وفي عام ١٧٠٠ تمكنت السويد بقيادة الملك كارل من هزيمة الجيش الروسي والآن فإن روسيا باستطاعتها احتلال السويد خلال أيام إن لم نقل خلال ساعات.

إن إسرائيل بحجمها الجغرافي والبشري لم تكن يوماً ما بأقوى ولا أعظم من تلك الدول التي انهارت وخرجت من نطاق الإمبراطوريات والعظمة وخضعت لهيمنة من كان تحت إمرتها يوماً ما.

وفي الوقت الذي كانت فيه وسائل الإعلام قبل عقود من الزمن تستخدم لمصلحة الحاكم الظالم المستبد وتوجيه الناس وثقافاتهم ووعيهم لخدمة سياسة الحكم الأتوقراطي المستبد في معظم الدول العربية فإن وسائل الإعلام حالياً أصبحت ذات

تأثير عكسي لصالح المواطن العادي وتنويره، ولم يعد باستطاعة أي نظام مستبد إخفاء الحقائق عن شعبه وفرض معلومات أو أحداث مزورة لأن لدى المواطن العادي من وسائل الإعلام والفضاء المفتوح ما يتيح له معرفة الحقيقة قبل وصولها أحياناً إلى الحاكم نفسه، وكمثال على ذلك فإنه في الوقت الذي نجح فيه إعلام الحكام المستبدين إخفاء أسرار اغتيال الكثير من معارضيهم مثل المعارض المغربي المهدي بن بركه والمعارض الليبي منصور الكخيا والمعارض السعودي ناصر السعيد فقد عرف عامة الناس في شهر (تشرين أول) أكتوبر ٢٠١٨ أسرار اغتيال الصحفي السعودي جمال خاشجقي قبل كثير من أركان الحكم في السعودية.

إن العالم يتغير والزمن يدور عملاً بقوله تعالى ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾.

ذلك سيكون الطريق إن شاء الله وهو آتٍ وقريبٌ لا محالة، وعندها سيفرح المؤمنون بنصر الله وستقوم قائمة العرب والمسلمين ثانيةً إن شاء الله ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُۥ بَعِيدًا ٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبًا﴾ صدق الله العظيم.



